جمهورية العراق
وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة القادسية - كلية الآداب

المقامات في العصر العثماني (المطبوعة) دراسة تداولية

أطروحة دكتوراه مقدمة من الطالبة

جنان جاسم خضير

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة القادسية ،وهي من متطلبات شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها/ لغة

بإشراف

أ.د لمى عبدالقادر خنياب

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَايُلَقَّاهَاإِلاَّالَّذِينَ صَبَرُوا وَمَايُلَقَّاهَا إِلاَّذُوحَظٍّ عَظِيمٍ﴾

صدق الله العلي العظيم

فصلت الآية ٣٥

اقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ(المقامات في العصر العثماني (المطبوعة) دراسة تداولية) قد جرت تحت إشرافي في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة القادسية وهي من متطلبات شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لغة .

التوقيع:

المشرف: أ.د. لمى عبد القادر خنياب

التاريخ : ٥ / ٤ /٢٠٢٢م

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

التوقيع:

أ.م.د. ثائر عبد الكريم البديري

رئيس القسم

التاريخ : / /٢٠٢٢م

الإهـــداء:

إلى مدد السماء الذي عرفتُ به معنى الحياة ...

رفيقي الذي تحمل شطحاتي،وكوابيسي ،ولؤمي...

سندي في رحلة الحياة والبحث ،الذي غادرني قبل تمام الغاية وبلوغ الهدف...

نعمتي التي فقدتها سريعًا زوجي...(**أحمد**)...حيٌ في قلبي يُرزق....

الباحثة

الشكر والعرفان

بعد شكر الله تعالى والثناء له، أزف آيات من الشكر إلى كلِّ من قوّم عملي وأعانني على اكمال مسيرتي واخص بالذكر منهم عمادة كلية الآداب في جامعة القادسية متمثلةً بعميدها الاستاذ الدكتور**(ياسر الخالدي)**، وإلى اساتيذي في قسم اللغة العربية كافة،وأخص بالذكر مشرفتي التي أفاضت عليّ بكرمها وجهدها حتى استوى عملي على الشكل الذي ارجو به رضا الله اولًا ورضا القارئ ثانيًا الاستاذة الدكتورة **(لمى عبدالقادر الإبراهيمي)**.

ولا أنسى ان اقدم الشكر والامتنان لكلِّ من قدم لي العون والدعم في مشروعي هذا من موظفي المكتبة المركزية في جامعة القادسية وموظفي مكتبة كلية الآداب.

واجد من الوفاء عليّ أن أزجي عرفاني وتقديري إلى اخوتي وزملائي الباحثين الذين شاطروني همَّ البحث وأفاضوا عليّ بمنن المساعدة والعطاء من كتب أو أبحاث أو نصائح ،والى كل من كانت له يدٌ كريمةٌ ولسانٌ جميلٌ في اتمام هذا البحث فجزاهم الله عني خير الجزاء.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ،ب،ج
التمهيد: نظرة في المتن ومنهج الدراسة	١-١٦
الأول: فن المقامة في العصر العثماني	١-٧
المقامة، النشأة والتطور	١-٤
المقامة، طبيعتها، خصائصها الخطابية	٤-٧
الثاني: التداولية، المفهوم والمنهج	٧-١٦
أولًا: المقاربة التداولية، المفهوم والنشأة والاجراء	٧-١١
ثانيًا: اللسانيات التداولية وأفق تحليل الخطاب الادبي	١١-١٢
ثالثًا: التداولية والخطاب التخيلي	١٢-١٦
الفصل الاول: الاشاريات التداولية في المقامات العثمانية	
توطئة	١٨-٢٠
المبحث الأول: الاشاريات الشخصية	٢٠-٤٣
أولًا: الضمائر	٢٠-٣١
- تحول الضمير في المسار التخاطبي	٣١-٣٣
ثانيًا:أسماء الاشارة	٣٣-٣٩
ثالثًا: اشارية النداء	٣٩-٤٣
المبحث الثاني: الاشاريات السياقية	٤٣-٦٤
أولًا: الاشاريات الزمانية	٤٣-٥١
١- مشيرات الحدث التخاطبي الدالة على القبلية	٤٤-٤٦
٢- مشيرات الحدث التخاطبي الدالة على التزامن	٤٦-٥٠
٣- مشيرات الحدث التخاطبي البعدية	٥٠-٥١
ثانيًا: الاشاريات المكانية	٥١-٥٦

ثالثًا: الاشاريات الاجتماعية	٥٦-٦٢
الفصل الثاني: الأفعال الكلامية في المقامات العثمانية	
المبحث الاول: الأفعال الكلامية المباشرة وأصنافها	٦٤-١١٩
توطئة: نظرية الأفعال الكلامية المفهوم والنشأة	٦٤-٧٠
أولًا: في مفهوم الفعل الكلامي	٦٤-٦٥
ثانيًا: الأفعال الكلامية تأسيسًا وبناءً	٦٥-٧٠
أولًا: الاخباريات	٧٠-٧٨
ثانيًا: التوجيهات	٧٨-٩٦
ثالثًا: التعبيريات	٩٦-١٠٨
رابعًا: الاعلانيات	١٠٨-١١٤
خامسًا: الوعديات	١١٤-١١٩
المبحث الثاني: الافعال الكلامية غير المباشرة	١١٩-١٣٥
توطئة	١١٩-١٢١
أولًا: الافعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن التوجيهات	١٢١-١٢٩
ثانيًا: الافعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الاخباريات	١٢٩-١٣٣
الفصل الثالث: قواعد التخاطب اللساني في المقامات العثمانية	
توطئة	١٣٥-١٣٧
المبحث الأول: الاستلزام الحواري	١٣٧-١٥٠
١- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكمّ	١٣٩-١٤٣
٢- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكيف	١٤٣-١٤٥
٣- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الطريقة "الأسلوب"	١٤٥-١٤٨
٤- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة المناسبة (الملاءمة)	١٤٨-١٥٠
ثانيًا: المبادئ المتممة والمستدركة على مبدأ التعاون الغرايسي	١٥٠-١٥٩
١- مبدأ التأدب (التهذيب)	١٥١-١٥٣
٢- مبدأ التادب الأقصى	١٥٣-١٥٤
٣- مبدأ التواجه (الوجه)	١٥٤-١٥٩
المبحث الثاني: متضمنات القول (المضمر)	١٥٩-١٧٩

اضاءة مفهومية	١٥٩-١٦١
أولًا: الافتراض السابق	١٦١-١٧٢
١- الافتراض السابق الوجودي	١٦٥-١٦٧
٢- الافتراض السابق الواقعي	١٦٧-١٦٩
٣- الافتراض السابق المناقض للواقع	١٦٩-١٧٠
٤- الافتراض السابق البنيوي	١٧٠-١٧١
٥- الافتراض السابق المعجمي	١٧١-١٧٢
ثانيًا: الاقوال المضمرة	١٧٢-١٧٨
الخاتمة	١٧٩-١٨١
المصادر	١٨٣-٢٠٤
الملخص باللغة الانكليزية	
العنوان باللغة الانكليزية	

المقدمة

الحمد لله الذي جعل المقامات لأهل الكرامات حمدًا يزلفنا إلى مقامه الأسنى، ويتحفنا ببركات أسمائه الحُسنى ،والصلاة والسلام على النبي الأعظم وعلى آله الكرام وصحبه الأخيار.

أمّا بعدُ:

فهذه بضاعةٌ مُزجاة جاء بها جُهد المقلّ، وهي الحصيلة التي استطعت الخروج بها من رحلة البحث المضنية هذه في ظلّ متاعب الحياة، وعقباتها القاسية، فمنذُ أنْ قدّر الله لي بفضله السماح بكتابة أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه، وأنا أنقب في كتب الأدب العربي الذي جعلته هدفًا لدراستي؛ لِما عُرف به من أفانين القول في الشعر، والنثر، والخطابة، والمثل، والحكمة،والمقامة... وما اتّشح به تاريخه الممتد الطويل فصاحةً ،و بلاغةً، وبيانًا ،وجمالًا، وبهاءً ،وإمتاعًا، وقد رأت الدراسة أنّ النَثْرَ بابٌ واسعٌ من أبواب الأدب العربي لا يستطيع أن يقوم به فردٌ بعينه ولا تستوعبه دراسةٌ واحدةٌ توفيه حقّه؛ لذا فقد وقع الاختيار على موضوع المقامة، الذي لا أغاليإنقُلت:إنّه من أطرف الفنون الأدبية وأغناها، إذ ينتقل فيه قارئُه بين ألوان من الأدب لا يكاد يخلف واحدةً منها، ففيه ما شئتَ من شعرٍ ونثرٍ، وحكمةٍ، وقرآنٍ، وحديثٍ، ومثلٍ....إلخ، وقد وقع الإختيار علىمرحلةٍ من مراحل الأدب العربي تجاوزتها أنظار معظم الدارسين ،وأهملتها اغلب أقلام الكتّاب والباحثين ألا وهي حقبة (العصر العثماني)، فهو من العصور المظلومة التي لم تنلْ حظّها من عناية الدارسين واهتمامهم، إذ ما زال الكثير منهم ينظر إليه بوصفه عصَر جمودٍ وانحطاط ثقافي وفني، على الرغم من أنّ التاريخ حفل بكمّ هائل من المؤلفات والموسوعات التي تركها علماء هذا العصر.

ومما شجعني لطرق أبواب هذا الموضوع وسبر أغواره أنّ الدراسات التي تناولت هذا العصر عامةً كانت قليلة أمّا تلك التي تناولت فن المقامات، فتكاد تكون نادرة جدًا، إذ لم أجد خلال بحثي موضوعًا مستقلًايُعنى بالمقامات العثمانية بصورة خاصة ما عدا دراسةً واحدةً تناولت التشكيل البلاغي في المقامات العثمانية للباحث (مجدي عايش عودة أبو لحية)،وهي كما يتضح من عنوانها بعيدة كلّ البعد عن موضوع هذا البحث منهجًا ودراسة؛ مما شجّعني على خوض مضمار البحث في هذا الفن الأدبي في العصر العثماني، فجاءت دراستي للمقامات المؤلفة في هذه الحقبة عسى أن أملأ بعضاً من الفراغ في الدراسات العربية ولا سيّما في هذه الحقبة.

فعكفتُ على جمع ما تسنى لي الوصول اليه من هذه المقامات التي جمعها خيطٌ واحد هو أنّها أُلفت في هذه الحقبة – حقبة العصر العثماني – بالرغم من اختلاف مؤلفيها، مقتصرةً في ذلك على المقامات المطبوعة، والمنشورة منها فحسب،إذ مازال هناك كمًّا من التراث العربي عامةً ، والأدبي خاصةً مخطوطًا ينتظر من يشمر ساعد الجدّ لتحقيقه وإثراء مكتباتنا العربية به؛ولأنّالاتجاه التداوليقد حازفي

العقود الأخيرة مرقاةً عالية؛لتجاوزه دراسة الجملة المنعزلة عن سياقها إلى دراسة النص برمته مع النظر في ملابساته المقامية ؛فقد شكّل هذا الأمر دافعًا للباحثة لاختيارها المنهج التداولي لقراءة هذه المدونة واخضاعها للدراسة على وفق آلياته ، فاستوى العنوان (المقامات في العصر العثماني (المطبوعة) دراسة تداولية).

وعلى وفق هذا المنحى طفقت استجلي نصوص هذه المدونة مادةً البصر لكل ما يهديني الى فكّ مغاليقها، مشتغلة على استجلاء ابعاد الدرس التداولي فيها، فكان انتقائي للخطابات وتحليلها ومناقشتها على أساس وضوح هذه الأبعاد محاولةً قدر الإمكان تجنب تكرار التمثيل بالنصوص، لكن الحاجة قد تفرض أحيانًا ذلك، ولاسيّما أنّ بعضًا من هذه النصوص يتضح فيها أكثر من بعدٍ تداولي واحد، مما تضطر معه الباحثة الى تكرارها في أكثر من موضع.

وبعد تقصي موارد البحث وتتبعها، وتصنيفها، جَعلته في خطةٍ مناسبة جاءت على فصولٍ ثلاثة يسبقها تمهيدٌ وتقتفيها خاتمة، فجاء التمهيد في عرض مفاهيم البحث ومنطلقاته فكان بعنوان (نظرة في المتن ومنهج الدراسة) تناولت فيه أولًا :الحديث في فن المقامة في الادب العربي عامةً وفي العصر العثماني خاصة، وأشرت إلى أهم أعلامها،وعرضت فيه ثانيًا لمفهوم التداولية من ناحية التعريف والنشأة والوظيفة وتحليل الخطاب الأدبي على وفق مساراتها.

أمّا الفصل الأول فجاء بعنوان: (الاشاريات التداولية في المقامات العثمانية) ويشمل مبحثين: عنونت المبحث الأول بـ(الاشاريات الشخصية) تحدثت فيه على أنواعها، فضلًاعن تحول الضمير في المسار التخاطبي وماله من أبعاد تداولية، وجاء المبحث الثاني بعنوان: (الاشاريات السياقية) تحدّثت فيه عن الاشاريات الزمانية، والمكانية، والاجتماعية، ووظائفها التداولية في المدونة محلّ الدراسة، أمّا الفصل الثاني الذي جاء بعنوان: (الأفعال الكلامية في المقامات العثمانية) فقد عرضت فيه انجازية الأفعال الكلامية متخذة طريقين لرصد هذه الانجازية: الأفعال الكلامية المباشرة وأصنافها، وقد توخى البحث في دراستها تصنيف سيرل ومنهجه في تصنيفها، وجاء المبحث الثاني الذي رصدته للأفعال الكلامية غير المباشرة وما حملتهٍ من مقاصدٍ وغايات جنح المتكلمون إلى تضمينها كلامهم، وجاء الفصل الثالث بعنوان: (قواعد التخاطب اللساني)، والذي ضمّ مبحثين:أخلصت الأول منهما للحديث عن مبدأ الاستلزام الحواري وتحدثت فيه عن خرق مقولات مبدأ التعاون، ثم عرجت كذلك على المبادئ المتممةلمبدأ التعاون والمستدركة عليه،وعرضت في المبحث الثاني متضمنات القول بفرعيها (الافتراض السابق، والقول المضمر)،هذا وقد سبقت كلّ فصلٍ من فصول الرسالة بتقديم توطئةٍ لها صلتها بالموضوع المراد الشروع بدراسته، ثم اعقبتُ هذه الفصول الأربعة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي أسفر البحثُ عنها ،واقتفتها قائمة بأهم مصادرالبحث ومراجعه التي أفاد منها.

وفي ختام ذلك أجدني ملزمة بأن انوه بجهد أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة (لمى عبد القادر خنياب) التي أدين لها بمسيرتي العلمية في مرحلة الدكتوراه عامة، وبهذا البحث الذي شاء الله –بمنّه وتوفيقه- أن أشرفت عليه خاصة، ولِما أحاطتني بجليل مكرماتها، وجميل عطفها ،فقد كانت ملاحظاتها العلمية السديدة وتوجيهاتها القيّمة أنْ قوّمتْ أوَدًا، وجنبت زللًا، فإن كان في الباحثة والبحث من فضيلةٍ فللهولأستاذتي ،وإن كان فيهما خطلٌ فهو من تقصير الباحثة، والله وحده مَن يتولى جزاءها خير الجزاء إن شاء الله.

ولا يفوتني هنا ومن باب الوفاء والاعتراف بالفضل لأولي الفضل بالثناء على أساتيذي الافاضل في قسم اللغة العربية في كلية الآداب سائلة المولى أن يهبهم الصحة والسلامة للقيام بواجبهم المقدس، والشكر موصولٌ أيضًا للعاملين في مكتبة كلية الآداب، والمكتبة المركزية في جامعة القادسية الذين يسروا لي سبل الحصول على المصادر والمراجع المطلوبة.

وفي الختام فإنّ عملي هذا هو خلاصة جهد جهيد لشهور طوال تخللها العناء والمتاعب في خضم هذه الحياة وصعابها، والظروف الصحية والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي مرّ بها البلد خاصةً والعالم عامةً، وفي ظل ما عانيت من هذا المرض اللعين (كورونا) وما رافقه من فقد الأحبة وما تركه من غصةٍ وألم وضياع، أضعه بين يديّ الأساتيذ الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، فإن كان صوابًا فهو قصدي ورجائي وهو بتوفيق الله تعالى ،وإن أخطأت فهو من نفسي وحسبي أني سعيت بكل طاقتي،والله الموفق،وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

التمهيد

نظرة في المتن ومنهج الدراسة

الأول: فن المقامة في العصر العثماني:

- **المقامة ،النشأة والتطور:**

تُعد المقامة من الأجناس النثرية في الأدب العربي الأطول عمرًا، والأقدر على القيام في وجه الدهر على مدى يقرب من عشرة قرون... فلو حُفظت كلّ نصوص المقامات ثم طبعت ونشرت بين الناس لشكلتْ تراثًا أدبيًا نثريًا ضخمًا[١]،فهي من الفنون التراثية الأصلية التي اتفق الدارسون على نشأتها في العصر العباسي وتحديدًا نهاية القرن الرابع الهجري الذي شهد ميلاد هذا الجنس الأدبي[٢]، الذي عُدّ معادلًا في ميزان تاريخ الأدب العربي لجنس الشعر[٣].

وعلى الرغم من اختلاف النقّاد والدارسين حول نشأة المقامة وأصلها وتضارب الأقوال حول مبتدعها إلّا أنّ الأمر المُجمع عليهأنّ بديع الزمان الهمذاني هو الذي أرسى أصول هذا الفن في صورته الفنية الرائعة بعد أن فاد من محاولات سابقيه الذين اقتدى بهم من أمثال ابن دريد وابن فارس، وقد عُدّ رائد هذا المجال وزعيمه المُجيد، بل لقد التصق اسم المقامات في أذهان الناس باسم الهمذاني[٤].

وقد كانت المقامة ومنذ أن ابتدعها الهمذاني تعتمد على بناء فني يتمثل بقيامها على الشخصيات من راوٍ وبطل، فضلًا عن اعتمادها على الكُدْية والتسول، أو الألغاز والأحاجي كأصلٍ من أصولها القائمة وموضوعًا من مواضيعها الرئيسة[٥]، وظلت محتفظة بشكلها ومضمونها وأصولها الفنية وتقاليدها الأدبية التي أرساها الهمذاني ووضع شروطها التي تحققت بعد ذلك وبلغت ذروتها في مقامات الحريري[٦]،لكنّها تجاوزت ذلك في العصور اللاحقة لتعبر عن أحداث العصر والفتن والحروب، وتظهر هموم المجتمع والكتّاب، ومعالجة مواضيع واقعية حية منتزعة من الحياة والعصر الذي يعيش فيه الأديب[٧]، وظل سَيلها يتدفق من لدن الهمذاني إلى العصور اللاحقة بعده، فعرفت رواجًا كبيرًا وغزت البلدان العربية كلّها وذاع صيتها شأنها شأن القصيدة ،فما يمر عصرٌ أو قرنٌ من دون ظهور مقامات

---

(١) فن المقامات في الأدب العربي، عبد الملك مرتاض، ١٦٠.

(٢) ينظر:في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، ١٦٧.

(٣) ينظر: نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي(٦٥٦هـ)،نبيل خالد رباح ، ٣٠٩.

(٤) ينظر: المقامة، شوقي ضيف، ٣٠٩.

(٥) ينظر: نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، ٣٢٦.

(٦) ينظر: جماليات التشكيل البلاغي في المقامات العثمانية "أطروحة دكتوراه"، مجدي عايش عودة أبو لحية، ٤٨.

(٧) ينظر: الأدب في العصر المملوكي، محمد زغلول سلام، ٩٩/٢.

جديدة لم يكن مبتدعوها بأقل درجةٍ في كتابتها ممن سبقهم، فكثرت وزاد إقبال الكتّاب والأدباء عليها، وهم بذلك يواكبون تطور المقامة العربية، ولكنّ القليل منهم من جَهَدَ لأجل المحافظة على صورتها المعروفة عند رائديها ،لتكون بعد ذلك بمثابة سجلٍ تاريخي للحوادث التي اعترت المجتمع ونقلها بتفاصيلها كافة، فاكتسبت أهمية تضاهي أهمية الشعر في نقل الأحداث[١].

وما أن بدأ العصر العثماني حتى يطالعنا هذا الفن الذي ظل حيًّا دفاقًا طول تلك المدة التي استمرت قرابة الأربعة قرون من (١٥١٦-١٩٢٣)[٢]، لينجب لنا كُتابًا أبدعوا فيه، فتركوا لنا إرثًا أدبيًا جمًّا في هذا المجال، فكان أن نهلت مقاماتهم من السياسة مرةً ،ومن الدين ثانيةً، ومن الجانب السلوكي والأخلاقي مرةً ثالثة ،وعرجت على الوصف والغزل والمفاخرات والمناظرات مرةً رابعة مقدمةً لنا لوحةً متكاملة عن هذا العصر وسجلًا تاريخيًا له.

ولم ترزخ المقامات في هذا العصر كلها تحت نير التقليد بل كان للأديب الحرية في تخير بنية مقاماته وموضوعها وفكرة عرضها وأساليبها ،إذ لم تعد المقامة ذلك الفن الذي يجب أن يلتزم بالكُدْية أو التسول والاحتيال، بل تناولت أغلب مقامات هذا العصر واقعًا سقطت منه تلك الأصول ولم تعد عمودًا رئيسًا في بنائها، إذ كان هناك تصرفٌ واضحٌ في شكل المقامة ومضمونها إلى حدّ مصادفة مؤلفات لم نكن لنعدها مقامات لو لم يلصق مؤلفها بها تسمية المقامات، فظهرت على الساحة الأدبية مقامات مختلفة الأنماط بعضها أخذ طابع النقد الديني والاجتماعي والسخرية مع إخضاعها لروح العصر وللموضوعات الاجتماعية والنهضوية ومحاولة تحطيم شكل المقامة التقليدي كمقامات أحمد فارس الشدياق[٣]،أو طابع المناظرة الذي اعتمد فيه كاتبه على شخصيات غير إنسانية رامزة كمقامة المناظرة بين الماء والهواء لمؤلفها أحمد البربير[٤]،أو المناظرة بين الليل والنهار، أو الغربة والإقامة لمؤلفها محمد المبارك

---

(١) ينظر: الأدب في العصر المملوكي،١٠٢/٢.

(٢) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني،مفيد الزيدي، ٥، ومنهم من يؤرخ نهايته بالعام ١٩١٦ ومنهم من يجعل نهاية الحرب العالمية الأولى نهاية للحكم العثماني، ينظر:تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦)،د. إبراهيم خليل احمد، ٥.

(٣) هو أحمد فارس بن يوسف الملقب بالشدياق ،كان أديبًا ولغويًا وصحفيًا ومترجمًا (ت١٣٠٥هـ-١٩٤٨م) ،له مقامات ضمّنها في كتابه (الساق على الساق) وجعلها فصولًا من فصوله ،فضلًا عن مقامة أخرى نُشرت ضمن كتاب كنز الرغائب حملت اسم المقامة البخشيشية ،ينظر: الأعلام /خير الدين الزركلي(ت١٣٩٦هـ)، ١٩٣/١، وكتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق ،أحمد فارس الشدياق،،٨٣،و ٢٣١،و٤٦٤،و٦٠٦،وكنز الرغائب ،منصور فهمي ، ٧٠.

(٤)هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف بن محمد البربير (ت١٢٢٦هـ-١٨١١م)،من أشهر أدباء العصر العثماني ومن رواد المقامة فيه في القرن الثامن عشر الميلادي ،له مقامات طبعت منها مقامته المسماة (مقامة المفاخرة بين الماء والهواء) من نمط المقامات الذي يقوم على المناظرة ،وهي رحلة من رحلات الخيال يجول فيها بفكره وخياله

الجزائري[١]،أو طابع المقالة أو القصة الصريحة كمقامات عبد الله فكري باشا[٢]،أو طابع السيرة كمقامات شهاب الدين الخفاجي[٣]،ومقامات ابن ميمون الجزائري[٤]،ومنها ما أتخذ شكل المذكرات ووصف الرحلات كمقامات ابن حمادوش[٥]،ومنها ما كانت مؤلفة لمناسبة شخصية،أو لغرض من أخص خصائص القصيدة العربية التقليدية وهو المدح ،محققين بذلك الأغراض الشعرية في الأساليب النثرية

ليجد نفسه أمام مفاخرة بين الماء والهواء أوجدها حبّ انفراد كلّ منهما عن صاحبه بالرياسة ،ينظر:الأعلام للزركلي ١٥٥/١،وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ،عبد الرزاق بن حسن بن ابراهيم البيطار(ت١٣٣٥هـ) ، ٢١٧/١-٢١٨،وفن المقامات بين المشرق والمغرب ،د.يوسف نور عوض ، ٣٤٦.

(١) هو محمد بن محمد المبارك الجزائري (ت١٣٣٠هـ،١٩١٢م)،أديب ولغوي صوفي،له مجموعة من المقامات نُشرت منها ضمن كتاب المفاخرات والمناظرات مقامتان:(مقامة نضرة البهار في محاورة الليل والنهار)،و (ابهى مقامة في المفاخرة بين الغربة والإقامة)،ينظر:الأعلام للزركلي ،٧٧/٧،والمفاخرات والمناظرات ،عني بها: د.محمد حسّان الطيّان، ١٢١.

(٢) هو عبد الله فكري باشا بن بليغ بن عبد الله بن محمد (ت١٣٠٦هـ-١٨٨٩م)،وزيرٌ مصري ،له كتبٌ ومؤلفات ،ومن مؤلفاته في الفن المقامي :(المقامة الفكرية في المملكة الباطنية)وهي سياحة فلسفية في بواطن النفس الإنسانية،وله أيضاً مقامتان طبعتا ضمن كتاب الآثار الفكرية ،الأولى :(مقامة في حسن الوفاء)،والثانية:(مقامة العمال والبطال)،ينظر:الأعلام للزركلي ١١٣/٤،وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٩٦٨/٢،وفن المقامات بين المشرق والمغرب ٣٦٨.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عمر بن شهاب الدين الخفاجي المصري(ت ١٠٦٩هـ-١٦٥٩م)،له مؤلفات عدة ،ويضم أشهر كتبه (ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا)عدداً من المقامات تدل على علو كعبه في هذا الفن ،جعلها معرضاً لسيرته الذاتية ورحلاته في التنقل من بلدٍ لأخر بحثًا عمن يعرف حقه وقيمة العلم والعلماء منتقدًا من خلالها المفاسد الاجتماعية والسياسية ،ينظر:الأعلام للزركلي ٢٣٨/١،وفن المقامات بين المشرق والمغرب ،١٤٤-١٤٥.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ميمون الجزائري من أعلام العصر العثماني ،ولم يُعرف تاريخ ولادته أو وفاته ؛لقلة ما كتب عنه ،من أشهر كتبه:(التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)ضمّنه مجموعة مقامات بلغت ست عشرة مقامة يركز فيها على الحديث عن والي الجزائرمحمد بكداش الذي تولى حكم الجزائر (من١٧٠٧م إلى ١٧١٠م)،وعن ومناقبه وإنجازاته فجعلها قالبًا لعرض سيرة الوالي المذكور،وقد خالفت مقاماته المقامات العربية في خلوها من راوٍ ؛لأنّه كان هو الراوي للأحداث،ينظر:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،أبو القاسم سعد الله ،١٣٧ ،والتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،ابن ميمون الجزائري، ١١٢.

(٥) هو عبد الرزّاق بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري ،صيدلي وطبيب وأديب ،وفلكي ومنطقي ،ألف في هذه العلوم جميعها،عاش في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي،ولد سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م وتوفي بعد حوالي تسعين سنة تقريبًا،له ثلاث مقامات ضمّنها كتابه الموسوم بـ(رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمى لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)،وعلى غرار مقامات ابن ميمون نجده قدخالف المقامات العربية في تركه إتخاذ راوٍ لأحداث مقاماته إذ كان هو الراوي لها،فضلاً عن قلة الحوار بين الشخصيات ،ينظر:رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال،عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ،٩-١٠.

كما في مقامات الورغي[١]، ومقامة نقولا الترك المسماة المقامة الديرية[٢]،غير أننا لا نعدم في قبال ذلك من اقتفى آثار رواد المقامة فسار على نهجهم مقلدًا غير مبتعدٍ عن الأصول المقامية، فجاءت مقاماته محاكاةً لمقامات الهمذاني والحريري، واخص بالذكر هنا مقامات الشيخ ناصيف اليازجي[٣].

وعلى الرغم من أنَّأغلب أدباء هذا العصر لم ينتهجوا منهج سابقيهم أو يقتفوا آثارهم في التعامل مع الأصول الفنية للمقامة كالبطل والكدية، بيد أنَّهم تمسكوا بالصنعة اللفظية التي مثّلت شكلًا خاصًاتوارثه كتّاب المقامات منذ نشأتها في القرن الرابع الهجري مرورًا بمختلف العصور والبيئات كالسجع والمحسنات البديعية[٤]،فكانت طابعًا إنّمازت به المقامة وقد تعاطاها كثير من أدبائها إظهارًا لبراعتهم وتفننهم الكتابي،ولعل مرد ذلك إلى أنَّ ((نشأة المقامة في القرن الرابع الهجري هو الذي طبعها بطابع عصرها، عصر الزينة والاختضاب، وقد فرضت هذه الحقيقة نفسها على المقامات في مختلف العصور، ولا تعرف المقامة كمقامة إلا بالتزامها بالسجع والمحسنات البديعية))[٥].

- **المقامة ، طبيعتها، خصائصها الخطابية:**

تتخذ المقامة شكلًا أدبيًا مغايرًا لأشكال الكتابة الأخرى ؛إذ تشكل خطابًا جامعًا لمختلف فنون القول والكتابة المتداولة في الأدب العربي[٦]،ففضلًاعن حضور البنية السردية فيها التي شكّلت الخصيصة الذاتية لها[٧]،إذ عملت هذه البنية على تحقيق آلية التشكيل الجمالي والفني حينما نمقت الأسلوب وأفعمته بألوان البيان ومضارب البلاغة والبديع والصنعة اللفظية ،مما وسم المقامة بشعرية اللغة السردية التي

---

(١) هو محمد بن أحمد الورغي(ت١١٩٠هـ-١٧٧٦م)،كان ناثرًا بارعًا وشاعرًا متفوقًا ،له ثلاث مقامات طبعت ضمن كتاب مقامات الورغي ورسائله ولكلّ مقامة مناسبة وغرض كُتبت لأجله ،ينظر:الأعلام للزركلي، ١٥/٦،ومقامات الورغي ورسائله ،تحقيق:عبد العزيز الفيزاني ،٧.

(٢)هونقولا بن يوسف الترك (ت١٢٤٤هـ-١٨٢٨م)،شاعر وناثر ومؤلف تاريخي،له مجموعة مقامات مخطوطة بلغت أحدى عشرة مقامة ،نُشرت منها المقامة المسماة (المقامة الديرية) ضمن كتاب (علم الأدب) للويس شيخو اليسوعي ،ينظر:الأعلام للزركلي ٤٧/٨،ورواد النهضة الحديثة ماروف عبود ،٥٢.

(٣)هو ناصيف بن عبد الله بن جنبلاط بن سعد اليازجي (ت١٢٨٧هـ-١٨٧١م)،ألف في علومٍ شتى من صرفٍ ونحو وبيان ولغة ومنطق وتاريخ وشعر،ويُعد مؤلفه (مجمع البحرين) مؤلفًا في الفن المقامي ضمّ ستين مقامةً بارى فيها مقامات الحريري فقلّد أسلوبه مبنى ومعنى ،ينظر:الأعلام للزركلي، ٣٥٠/٧-٣٥١،ومجمع البحرين ،الشيخ ناصيف اليازجي ٣٣٦.

(٤) ينظر: نقد النثر في تراث العرب النقدي، ٣٢٧.

(٥) أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، د. محمد رشدي حسن، ٢٠.

(٦) ينظر: المقامات والتلقي ،بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث،نادر كاظم،، ٧٧.

(٧) ينظر: المقامات ،السرد ،والأنساق الثقافية ،عبد الفتّاح كليطو ،٩٧.

تعني عمومًا((تسلل الأساليب الشعرية إلى نصوص تميزت بانفتاحها على لغة الشعر))[١]،فهي أيضًا – أيّ المقامة- مساحة كتابة تتداخل فيها أجناس أدبية شتى آتية من فضاء القصيدة إيقاعًا وتصويرًا ومن الأشكال النثرية الأخرى من خطابة وحكم وأمثال ووصايا وغيرها[٢] صُهرت كلُّها في بُوتقة واحدة أو فن واحد هو فن (المقامات)،حتى عُدّ الوقوف عند المقامات هو الوقوف نفسه عند منتهى ضروب الأدب[٣]،وتجاوز المقامة للأجناس الأدبية الأخرى بوصفها نصًامنفتحًا على عدد من الفنون الأدبية فتح الباب لتعدد التأويلات للنص المقامي[٤]،حتى قيل:إنَّ المقامة تنفرد عن الأنواع النثرية السابقة لها بـ(شعرية الكتابة المرموزة) [٥]؛ لأنّ المعنى فيها ((يتوارى في أفق عائم؛ ومن أجل الوصول إليه يجب اقتحام عقبة الغريب والمجازات)) [٦]،وهذا أيضًا ما تنبه إليه الثعالبي من قبل حين رأى أنّ المقامات فضلًا عن تفرد ألفاظها وثرائها فإنّها تحمل عمقًا، مشيرًا إلى أنّ المقامات ذات لفظ أنيق قريب المأخذ، بعيد المرام[٧].

يكشف لنا تشابك الخيوط المكونة للمقامة أننا أمام جنس أدبي جديد غير مألوف، تجاوز الأجناس الأخرى، ففي المقامة يختلط الشعر بالنثر، وهذا الخلط يمثل نوعًا لم يُعهد من قبل[٨] ،فالشعر يأتي في ثنايا النثر من دون مقدمات ، ثم يتوقف لينثال النثر ثانيةً وكأنّه استمرار للحوار بين الفنين؛ مما يجعل القارىء يشعر بأنّ الكلام متصل لولا ما فيه من وزن وقافية ،وكذلك تطعم المقامة بصور نثرية تكتسي خصائص الشعر من الشحن العاطفي، والتكثيف الدلالي المتمثل في صور حيَّة مركبة بكلمات مقيَّدة بالسجع؛ لذا فإنّ المقامات تمثل خير دليل على وحدة هذين الفنين وتكامل الأديب فيهما[٩].

وفي ظهور المقامة في هذا الثوب الجديد ما جعل منها طريقًا مساعدًا للتعبير يحتمل العاطفة مع بُعد التصوير، ويرتفع بالنثر إلى صور الشعر وإمكاناته؛ كي لا يقصر نظمه عن نثره ولا يزري كلامه بشعره، وبذلك يمكن القول :إنّ المقامة مثلت حيزًا التقت فيه الشعرية القائمة على التخييل، وعلى إثارة اندهاش القارىء بالصور البلاغية والأساليب المتمردة على المألوف والصنعة اللغوية واللفظية البديعية

---

(١) الشعريات والسرديات قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم ،يوسف وغليسي، ١١١ .

(٢) ينظر:الراوي متكلّمًا في الخطاب المقامي البديعي "بحث" ،رخروخ عبد المجيد ،٣٦٩.

(٣) ينظر:المقامات والتلقي، ٧٧

(٤) ينظر:التجريب وانفتاح النص في مقامات بديع الزمان الهمذاني "بحث"،د.لمياء عبد الحميد القاضي ، ،٧٦.

(٥) ينظر:المقامات ،السرد والأنساق الثقافية،٧٥.

(٦) نفسه والصفحة نفسها. .

(٧) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر،عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ)،٤/٢٩٤.

(٨) ينظر:التجريب وانفتاح النص في مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ٢٨١.

(٩) ينظر: المقامات والتلقي ،٧٧ ،والتجريب وانفتاح النص في مقامات بديع الزمان ٢٨٢.

،وحرفة السجع وتآلف الحروف[١]،مع الخطابية القائمة على الإقناع التي تسمح بحمل الأفكار وشرحها والمحاجة فيها[٢]،فالإنجاز الكلامي في المقامات لا يتم عبثًا بل يأتي لتحقيق غايات ومقاصد وأغراض، ولمّا كانت هذه الأغراض قد تكون تعليمية ،أو اجتماعية، أو سياسية، تأتي لكشف عيوب المجتمع أو الحكام أو القضاة أو طائفة من طوائف المجتمع، أو لأغراض أخلاقية وسلوكية أو دينية يُهدف من ورائها تقديم العظات والنصح الديني الأخلاقي، أو أغراض فكرية ،أو مناظرات ،أو سجالات قائمة على التذاوت والحوار المبني على الاستدلال فإنّ هذا من شأنه أن يُكسي المقامة طبيعة حجاجية، وعليه فإنّ معنى الأقوال في خطاب المقامة لا ينفك عن طابعها الحجاجي؛ لأنّ استعمال الملفوظات اللغوية يكون لمقاصد وغايات محددة، فيكون لها قيمًا مضافة فضلًاعن قيمها الحرفية الإخبارية الوصفية،إذ تتضمن تلك الملفوظات طاقات حجاجية كامنة في بنيتها العميقة؛ لأنّ الحجاجية-التي هي مظهر من مظاهر الخطابية- تنتشر في الخطاب وبصورة مكثفة[٣].

وتُنقل هذه الأغراض أو الأفكار للقارىء على لسان شخصيات المقامات التي تضم في أغلب الأحيان رسائل مُضمّنة للمجتمع تقدم قضايا تحمل روح العصر الذي نشأت فيه وتعطي حلولًا غير مباشرة لكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية والسلوكية ...إلخ ،وذلك بتسليط الضوء عليها من خلال عرضها كحكاية((توحي بواقع وبأحداث قد تكون وقعت ،وبشخصيات يتماثلون مع أشخاص حقيقيين))[٤]، تُقدم من خلال خطابٍ يستحضر إلى الذهن عالمًا منظورًا إليه بكونه واقعيًا يقع في مكان وزمان محددين،ويقدم هذا الخطاب في أغلب الأحيان بتصور معين يمكن أن يكون منظور شخصية أو أكثر ومنظور الراوي أيضًا[٥]،ويأتي الشعر أيضًا في ثنايا النثر حافلًا بتلك الخطابية وذلك باعتماده((المعاني باعتماده((المعاني الخطابية من خلال الاستناد إلى الحجج والبراهين واستعمال الأقيسة العقلية التي هي من صميم النسيج الخطابي))[٦]،فتعتضد بذلك المحاكاة في الأقوال الشعرية بالإقناع في الأقوال الخطابية، والإقناع في هذه بالمحاكاة في تلك[٧]، وبذلك يأتي التخييل في ثنايا النثر، والإقناع في ثنايا

([١])ينظر:لسانيات الخطاب،مباحث في التأسيس والإجراء،د.نعمان بوقرة، ٢٤٢،والبلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،د.محمد العمري ،١٨-١٩

([٢]) ينظر: البلاغة العربية بين التخييل والتداول،٩٥،وخطابية الشعر عند الخوارج في العصر الأموي ،قطري بن الفجاءة أنموذجاً "بحث"،د.غيثاء قادرة ،باسل نزيها، ٢١٨.

([٣]) ينظر:المظاهر اللغوية للحجاج ،٨٩. .

([٤])بنية الخطاب السردي"بحث"،حسناء بنسليمان ،٢٤٧.

([٥]) ينظر:بنية الخطاب السردي ،٢٤٨.

([٦]) الخطابية في شعر الفرزدق ،ميمية في مدح الإمام زين العابدين "ع" أنموذجاً "بحث"،فاتن فاضل كاظم ،٣٩٨.

([٧]) ينظر:منهاج البلغاء وسراج الأدباء،أبو الحسن حازم القرطاجني،٢٩٣.

الشعر، ليحوي كلّ منهما ولو جزءًا يسيرًا من الآخر[١]،وتتداخل المعاني الشعرية التي قوامها التخييل مع المعاني الخطابية التي قوامها الإقناع، فيتقاطع الشعري مع الخطابي في منطقة المحتمل، الاحتمال توهيمًا في الشعري، والاحتمال ترجيحًا في الخطابي[٢]؛لذا يمكن القول: إنّ المقامات تشكل مثالاً بارزًا على هذا التداخل والتقاطع حين جمعت في خطابها بين المتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج[٣]،وبين مخاطبة شعور المتلقي ووجدانه من خلال شعريتها، ومخاطبة فكره وعقله من خلال خطابيتها،وحين شكّلت خطابًا تداخل فيه التخييل والإقناع، فالأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، تكون هذه الأقاويل المقنعة هي العمدة[٤]،فكانت بذلك منطقة وسطى التقى فيها الشعري بالخطابي، والجمال بالمنفعة العملية الآنية ؛مما شكل إغراءً للباحثة في جعلها متنًا للدراسة.

الثاني: التداولية المفهوم والمنهج

- **المقاربة التداولية ،المفهوم والنشأة والإجراء:**

تُعد التداولية*واحدةً من التيارات اللسانية الحديثة المهيمنة على حلبة الدرس اللغوي، وساحة الدراسات اللسانية المعاصرة،التي ظهرت مع سبعينيات القرن الماضي بعد أنّ قام على تطويرها ثلاثةٌ من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أكسفورد وهم: اوستن، سيرل، غرايس[٥].

وقد ظهرت التداولية كنموذج لدراسة اللغة في حالة الحركة[٦]، فهي تسمح بالنظر إلى عالمٍ يموج بالحياة بالحياة والنشاط بعيدًا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي[٧]،فهي تركزعلى فكرة قوامها ((أنّ قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها عمليًا))[٨]؛لتعطي تصورًا عن

---

(١) ينظر:ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ،بحث في المشاكلة والاختلاف،أحمد محمد ويس، ١٨٧-١٨٨.

(٢) ينظر:البلاغة العربية بين التخييل والتداول، ١٧.

(٣) ينظر:نفسه،٢٢.

(٤) ينظر:منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،٩٢.

*تعددت الترجمات العربية التي جُعلت مقابلاً للمصطلح الأجنبي (pramateg) ما بين: التبادلية، والاتصالية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، ومنهم من اطلق عليها الفعليات، إلى جانب التداولية، ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ١٠٠، والتداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير:أ. د. بشرى البستاني،مؤسسة السّياب لندن، ط١، ٢٠١٢، ١٢.

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،د.محمود احمد نحلة ،دار المعرفة الجامعية ،٢٠٠٢م.٩.

(٦) ينظر: سوسيولوجيا اللغة، بيار اشار، ١١.

(٧) ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، ٤٤.

(٨) في اللسانيات التداولية، ٤٤.

اللغة انطلاقًا من منظور تواصلي وخطابي وليس نحويًا فحسب[١]،إذ إنّ التواصل اللغوي لا يتم فحسب بالاستناد إلى الكفاءة اللغوية بل هناك جملة شروط غير لغوية تتدخل في تحديد الأداء اللغوي[٢]، مما يؤكد أنّ اللغة إلى جانب كونها مهارة لسانية، فهي رابط تواصلي يلبي حاجة تنشأ بين المتحاورين[٣].

ولكون التداولية مفهومًا تقاذفته مصادر معرفية عدة وملتقى لمصادر أفكار وتأملات يصعب حصرها،فقد تجاذبها أكثر من تعريف[٤]،لا تكاد تخرج على كثرتها عن مفهوم تشارلز موريس الذي حدّها في معرض حديثة عن علم العلامات بأنّها: ((ميدان من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات ومستعمليها))[٥]،وإنْ كان بعضٌ من هذه المفهومات أكثر تحديدًا وتضييقًا[٦]،واستخلص الدكتور محمود محمود أحمد نحلة من تعريفات التداولية السابقة عليه تعريفًا لهابأنّها:((دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل))[٧]،مؤكدًا على أنّ صناعة المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها ولا مرتبط بالمتكلم أو أو السامع وحده، بل يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما[٨].

وربّما كان تفاوت تعريفات التداولية وتباينها ناتجًا طبيعيًا لتفاوت مقاصد معرفيها، فهناك من حصر مجالها في الخطاب على عكس اللسانيات التي عنت بالجملة، وهناك من حصرها في دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها، ومنهم مَنْ فتح حقل دراستها لتشمل كلّ ما يحيط بالمتكلمين وبعملية التواصل اجتماعيًا ونفسيًا وظرفيًا، ومنهم من حصرها بدراسة الأدب ومجازاته ورمزيته وحجاجه في ضوء توجهاتها الجديدة[٩]؛ مما جعل مجالها ثريًا وواسعًا وعسيرًا[١٠].

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية ،٢٥.

(٢) ينظر: التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل،إعداد وتحرير: محمد امطوش، ٩.

(٣) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية ،٢٦.

(٤) ينظر: نفسه ٦٣، والتداولية مقاربة في المفهوم والتأصيل، ١٤.

(٥) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ٢.

(٦) من هذه المفاهيم مفهوم ليفنسون الذي حصرها في كونها تُعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والسياق، ينظر: مدخل إلى إلى دراسة التداولية ٣٤، ومفهوم جورج يول القائل بأنها: دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، ينظر:التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العقابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ١٩، ومفهوم فيليب بلانشيه الذي عرّفها بانّها: ((الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية))، التداولية من اوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ،١٨.

(٧) آفاق جديدة،١٤.

(٨) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(٩) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ١٤.

(١٠) ينظر:في اللسانيات التداولية ٦٣.

وعلى الرغم من كل التشعبات واختلاف الرؤى في طرائق التعامل البحثي مع التداولية فقد نجحت في بناء جهاز مصطلحي يتسم بالغنى والثراء أسهم في اجتراح طرائق تحليلية لبنى الخطابات المختلفة ،وقد تطور كثير من مصطلحاتها حتى تشكل من بعضها نظريات صار لها مجالات اشتغال واسعة[١].

ولمّا كانت التداولية مجالًا خاصًايُعنى بدراسة اللغة والتواصل وطرائق استعمالها، فهي تلجأ إلى دمج مشاريع معرفية متنوعة في دراسة ظاهرة اللغة وتفسيرها[٢]،فكثرت لذلك الفضاءات التي تداخلت في المنهج التداولي على وفق مناهج أخرى لسلوك اللغة في الفلسفة التحليلية وعلم الاجتماع وعلم النفس المعرفي واللسانيات[٣]،ومن ثم فقد سمح ذلك بتنوع روافد البحث التداولي وتراحب مجالاته وتشعب محاوره وسعة أفق اشتغاله،إذ ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه،ولكن تنوعت مصادر استمداده،فلكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه، فـ(الأفعال الكلامية) مثلًا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي هو تيار الفلسفة التحليلية، بما احتوته من مناهج وتيارات، وقضايا، وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثق من فلسفة بول غرايس، أمّا نظرية الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا[٤]،وهذا الانفتاح جعل من التداولية تداوليات[٥]،لكن وبالرغم من تعدد مناهجها مناهجها غير أنّ صلة الوصل الجامعة بين مختلف مقارباتها هو العناية بدراسة اللغة في وضع الاشتغال[٦].

وهذه العنايةالتي لقيها الدرس التداولي كان ناتجًا بوصفه ردة فعل على المناهج والمعالجات الشكلية التي تخلت عن البحث فيما وراء الكينونة اللغوية لتركز على الشكل دون المادة بعزل البنية الصورية للغة عن محيطها وعن مرجعياتها الخارجية ذات الحضور والفاعلية في النص، فانغمست في النص وأبعدت الكلام الذي هو مظهر أداء اللغة من خلال دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، فتحول الدرس اللساني معها إلى علم صوري مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة لا يأخذ بالحسبان عناصر التواصل اللغوي من مثل: أقوال التخاطب والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز فيها الخطاب[٧]، في حين تُميّز التداولية أساليب فهم الخطاب على نحو يعارض طرائق البنيوية،إذ تؤكد على أهمية العوامل غير

([١]) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي ١٧.

([٢]) ينظر: آليات التداولية في تحليل الخطاب، عبد القادر عواد، ٢٧.

([٣]) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ١.

([٤]) ينظر:التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،د.مسعود صحراوي ١٧.

([٥]) ينظر: السياق وبناء المعنى، مقاربة تداولية للمقامة الأهوازية، رحيمة شيتر، ١.

([٦]) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية، ٣٦.

([٧]) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ١٤-١٩.

اللسانية المحيطة في تأويل القول وفهم مقاصده، وبذلك استطاعت أن تجيب عن تساؤلات علماء اللغة التي لم تستطع البنيوية الإجابة عنها من قبيل:ماذا نصنع حين نتكلم؟، ماذا نقول؟ من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية من الكلام؟ ولعل هذا ما يعطيها الأهمية التي تتمتع بها الآن في الدرسين التنظيري والتطبيقي[١]، فهي إجراء لساني يسعى إلى مجاوزة البعد الأفقي للدراسات التقليدية المتمثل بعلم التراكيب، وعلم الدلالة إلى البعد العمودي الذي يبحث عن الكيفية الاستعمالية للملفوظ في أثناء عملية التواصل، والعلاقة بين كلّ من المتكلم ،والسامع ،والموضوع الذي يدور حوله الكلام ،والبحث في المستوى القصدي والادائي للمتكلمين[٢]؛ولإنّها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم وأغراض كلامه فقد عُدت ((لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية))[٣]،فهي إجراء ينقل اللغة من التمثيل الذهني إلى ممارسة فعلية يحددها القصد والغرض[٤]؛لأنّ المعنى لا يستقى من البنية وحدها (الجانب اللغوي) بل من الجانب الجانب السياقي أيضًا الذي يؤثر في اختيار السمات اللغوية وتنوعها[٥]،وعلى السامع إدراك ذلك القصد لنجاح التواصل وإحداث التفاعل[٦] ،وعليه فالتداولية ليست علمًا لسانيًا صرفًا يقف عند بنية اللغة الظاهرية مكتفيًا بوصفها وتفسيرها، بل هي علمٌ جديد يُعنى بمظاهر التواصل والتأويل منظورًا إليها باعتبار خصائص السياق، ويسهم في وصف المعلومات المضمّنة بالاستعمال السياقي وتحليلها، وبناء استراتيجيات الخطاب اليومي في ظروف معينة[٧].

وفي ضوء ذلك يكون للتداولية ثلاث مهامٍ حددها فان دايك هي[٨]:

١- صياغة شروط انجاز العبارة.

٢- صياغة مبادئ تتضمن مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفي في انجاز العبارة كي تصبح ناجحة.

٣- الإجابة عن تساؤل: كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل انجازي وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب أو تأويله.

---

(١) ينظر: المقاربة التداولية، ٨٠٧، والتداولية في البحث اللغوي والنقدي، ١٤-١٩.

(٢) ينظر: المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيبويه"رسالة ماجستير"،عمار إحسان عبد الله،١٤.

(٣) مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش ،١، وينظر: في اللسانيات التداولية، ٧١.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ٢٦.

(٥) ينظر: المقاربات التداولية في شرح السيرافي، ١٤.

(٦) ينظر: في اللسانيات التداولية، ٧١.

(٧) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،آن روبول، جاك موشلار، ٢٦ ومدخل الى دراسة التداولية، ١٥، والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، ١٥.

(٨) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،فان دايك ٢٥٦.

- **اللسانيات التداولية وأفق تحليل الخطاب الأدبي**

تُعدالعناية بالخطاب بوصفه إنتاجًا لغويًا منظورًا إليه ((في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف))[١]غرضًا من أغراض التداولية متجاوزةً بذلك المفهوم التقليدي له كتتابع جملي أو مقابلًا للنص إلى عدّه سيرورة تواصلية دلالية لا تنفك عن المقام،ووضعه في قلب العملية التواصلية التي تفترض منتجًا ومتلقيًا ومقامًا معينًا[٢]،ووفقًا لذلك يكون الخطاب نصًا تمّ إدخاله ضمن سياق معين،أيّ النظر إلى هذا النص في ظل ظروف إنتاجه وتلقيه[٣]،وبذلك لم يعد الخطاب حبيس الرؤية التي وضعها اللسانيون في كونه جملًا أو ملفوظات بل تجاوزها ليصبح ((خطابًا إشاريًا))[٤].

ولمّا كان النص الأدبي يحمل أبعادًا سياسية ،واجتماعية ،واقتصادية،وثقافية،وتاريخية،ونفسية ،وعقدية..الخ[٥]،فهو إذن ليس لعبًا بالألفاظ وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، ولا يقف عند حدود تبادل الأخبار فحسب، بل يهدف فوق ذلك إلى الحث والتحريض على تغير وضع المتلقي ونظام معتقداته وموقفه السلوكي [٦]،وبناءً على ذلك تتعامل التداولية مع النص الأدبي على أنّه بنية وحدث[٧]فتربط ملفوظاته بالوظيفة والسياق المقامي والأداء الانجازي[٨]،محتفيةً بعنصر المقصدية والوظيفة ومتجاوزةً سؤال البنية والدلالة ؛لتُعنى بسؤال الوظيفة والرسالة والسياق الوظيفي[٩]،وبذلك انفتح مجال دراسة النصوص الأدبية بوصفها خطابات ناتجة في سياق تواصلي معين بالاستعانة بالمفاهيم والأدوات الإجرائية التداولية واستثمارها في دراسة الخطاب الأدبي ،وعُدّ هذا الانتقال الجديد في دراسة النصوص

---

(١) قضايا اللغة العربية واللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص،احمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م،د.ط ١٧.

(٢)ينظر:تداولية الخطاب السردي ،دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ،محمود طلحة ١٥.

(٣) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب ،بحوث محكمة،٢٠٩.

(٤) إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر ،مقاربة حوارية في الأصول المعرفية ،عبد الغني بارة ،٣٣٥. ٣٣٥،

(٥) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، ١٠.

(٦) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(٧) ينظر:العالم والنص والناقد ،أدورد سعيد ٤٥.

(٨) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب،د. جميل حمداوي ، ٩.

(٩) ينظر:نفسه، ٤.

الأدبية تحت تأثير التداولية فتحًا جديدًا أصبحت فيه اللسانيات وسيلة منهجية لتنظيم الحقول المعرفية واستثمار الظواهر[١].

ولمّا كانت لغة الأدب تنماز من لغة الخطاب العادي في إنّها ليست ((مجرد قناة عبور الدلالات إنّما هي غاية تستوقفنا لذاتها ،وبينما يكون الخطاب العادي شفافًا نرى من خلاله معناه ولا نكاد نراه في ذاته،نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخنًا غير شفاف،يستوقفنا هو قبل أن يمكننا اختراقه،فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزًا أشعة البصر ،بينما الخطاب الأدبي حاجز بلوري تصدّ أشعة البصر عن اختراقه))[٢]؛لذا فإنّ النص الأدبي يثير صعوباتٍ عدة بسبب اتسامه بالغموض والانزياحات والتضمينات والتضمينات والتلميحات والترميز...،مما يحتم على المتلقي بذل مجهودٍ لفكِّ شفراته ورموزه عن طريق التأويل، بموجب ما ركب فيه من مواطن غامضة تتحمل ذلك التأويل، ومن هنا كان الأثر الأدبي أثرًا مفتوحًا يستدعي التأويلات ويتقبلها ويزداد بها ثراءً[٣]؛وعليه لم تعد لغة النصوص الأدبية بنيات مغلقة كما كانت تنظر إليها البنيوية اللسانية بل بنيةً ودلالة وتركيبًا ووظيفة سياقية قبل كلّ شيء؛لذا كان لزامًا مراعاة الوظيفة والسياق في تحليلها[٤]،وهوما سعت إليه المقاربة التداولية في تعاملها مع النص الأدبي بعدّه((مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بغية تأويل النص تأويلًا صحيحًا وسليمًا))[٥] وفهمه فهمًا عميقًا عميقًا من خلال ربط الدلالة بالوظيفة السياقية والأداء الانجازي،فكانت لأجل ذلك من أعمق الأدوات المنهجية التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة الخطاب الأدبي التي تسعفنا في تحليله ودراسته فهمًا وتفسيرًا وتأويلًا،بوصفه نسقًا مفتوحًا لا يصح أن يُدرس دراسة نصية بنيوية مغلقة معزولة ثم يُكتفى بها[٦].

- **التداولية والخطاب التخييلي:**

لمّا كان الخطاب مجموعة من النصوص ذات علاقة مشتركة جاءت في سياقٍ معين؛ لتعكس حالة اجتماعية، أو ثقافية معينة[٧]،فقد تنوعت الخطابات تبعًا لاختلاف موضوعاتها ،فمنها الخطابالفلسفي،والخطاب الديني ،والخطاب الإعلامي ،والخطاب السياسي ،والخطاب الإشهاري

---

(١) ينظر: تداولية الخطاب السردي ،٢٦.

(٢) الأسلوبية والأسلوب،عبد السلام المسدي، ١١٢.

(٣) ينظر: في مناهج الدراسات الأدبية،حسين الواد، ٧٤-٧٥.

(٤) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، ١٠.

(٥) نفسه، ٢٧.

(٦) ينظر:التداوليات وتحليل الخطاب ،٤٧ ،وتداولية الخطاب السردي، ٣-٤.

(٧) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ، ٦.

،والخطاب الأدبي الذي تنتمي إليه المقامات بوصفها جنسًا أدبيًا يتحلى بالتخييل وهو منفتح يستوعب عوالم مختلفة تتداخل فيها الفضاءات والشخصيات والأزمنة والأحداث لتتآلف جميعًا مكونة عوالم غير صادقة لكنّها تلميحية[١]،والتخييل بوصفه ((محيط معرفي ممتد الأطراف تتحرك فيه الذاكرة لتبدع من خلاله ما تعتقد أنّه يلامس الحقيقة))[٢]،ويبلغ حدّ التوافق مع وجود أشياء منتمية إلى العالم الواقعي[٣] فعلى هذا الأساس يكون عمل المبدع في المقامة بوصفها خطابًا تخييليًا ليس رواية ما وقع بل ما يجوز وقوعه أو ما هو ممكن على مقتضى الحال أو بالضرورة[٤]،أيّ أنّ الخطاب في المقامة محاكاة للواقع وانعكاس للتجربة الإنسانية في علاقتها بذلك الواقع،فأفعال الشخصيات في المقامة((تتوافق تمامًا مع الأعمال المتضمنة في الأقوال الحقيقية التي تفيد الإخبار))[٥]،وعلى الرغم من أنّ اللسانيات التداولية اقتصرت في بداياتها على دراسة اللغة العادية اليومية المتداولة بين العامة فلم تولِ عنايتها للخطابات التخيلية،غير أنّها سرعان ما التفتت إلى لغة الخطاب التخييلي محاولةً إيجاد أرضية تداولية لمقاربته وكشف خباياه،فاستعملت مكاسبها ووظفتها في مقاربته ودراسته[٦]، فها هو سيرل يخصص فصلًا للتخييل ويربطه بالكذب فيرى أنّه وعلى الرغم من اتفاق التخييل والكذب في أنّهما نشاطان لغويان يتخذان شكل الإخبار من دون أن يكونا خالصين؛لانتهاكهما القواعد المتحكمة في نجاح عمل الإخبار،غير أنّه يفارق بينهما في أنّ قائل الجملة الكاذبة ينوي مغالطة مخاطبه، أمّا المتكلم في القول التخييلي فإنّه يقصد إدعاء القيام بإخبار من دون قصد مغالطة مخاطبه،وهو بذلك يعامل جمل خطاب التخييل معاملة خاصة؛إذ يعدّها أعمالًا لغوية موهمة[٧]،حيث أنّ المخاطب في الخطاب التخييلي له نية الإيهام لكن ليست له نية مغالطة مخاطَبه بخصوص التزامه أو نواياه ،وبذلك فإنّ المتكلم في الخطاب التخييلي يسعى إلى إنجاز عملٍ متضمن في القول موهومًا يفيد الإخبار[٨]، لكن سيرل أضاف بعدًاآخر بعدما رأى أنّ كلّ قول يظهر داخل الخطاب التخييلي لا يوافق بالضرورة عملًا موهومًا بل من الممكن أن نجد في الخطاب التخييلي أقوالًا تعبر عن قضية صادقة تتوافق مع الأعمال المتضمنة الحقيقية التي تفيد الإخبار،أيّ ترد صادقة،وعلى هذا الأساس قسم سيرل الأقوال داخل الخطاب التخيلي على أقوال

---

(١) ينظر:التخييل وبناء الأنساق التداولية ،نحو مقاربة تداولية،٨٠.

(٢) نفسه،٨٣.

(٣) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية ،جاك موشلر،آن ريبول ،٤٧١.

(٤) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية،٢٧.

(٥) القاموس الموسوعي للتداولية ،٤٧٠

(٦) ينظر:التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، ٢٣١.

(٧) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، ٤٦٧،والتداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ،٢٣٢.

(٨) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية ،٤٦٧.

تعبر عن قضية صادقة فتحيل على شخصيات أو أماكن أو أحداث وقعت فعلًا،يتحقق فيها عمل متضمن في القول أصيل يفيد الإخبار،وأقوال تعبر عن قضية كاذبة يتحقق فيها فعل الإيهام من دون نية المغالطة[١]،وعملت (آن روبول) بعد ذلك على إدخال تعديلاتٍ على نظرية سيرل في التخييل بعدما خصصت حيزًا في مؤلفاتها لمعالجة قضية التخييل،واستطاعت تقديم تصورٍ يعالج قضية التخييل تداوليًا،بعد أن بينت أهم الإشكالات التي يجب معالجتها وإيجاد حلول تداولية لها[٢]، معتبرةً ((أنّ مفهوم الملاءمة قادر على استيعاب كلّ الإشكالات التي ترتبط بالتخييل))[٣]،فقامت بإدخال تعديلات على نظرية نظرية سيرل تمثلت بما يأتي[٤]:

١-لا فرق بين الأقوال الصادقة والأقوال الكاذبة في الخطاب التخييلي أثناء الدراسة.

٢-الأقوال التخييلية التي تتضمن قوة إنجازية إخبارية جميعها توافق بالضرورة عمل الإيهام من دون نية المغالطة.

٣-خطاب التخييل غير حرفي.

ومن الواضح أنّها ترفض الفصل بين الأقوال التي تحيل على واقع حقيقي،وتلك المتخيلة،وعدّت كلّ قول تخييلي ينجز عملًا متضمنًا في القول ؛لأنّ قائل الخطاب التخييلي لا ينوي مغالطة المخاطَب بل يوهمه بأنّه يقوم بإخبار ؛وعلى هذا الأساس فإنّ الأقوال الحقيقية والمتخيلة تخضع للمعايير نفسها في أثناء الدراسة التداولية ،والقاعدة الوحيدة التي ينبغي للمتكلم احترامها في الخطاب التخييلي هي قاعدة الانسجام،إذ ينبغي أن تكون الأحداث كلّها في خطاب التخييل منسجمة فيما بينها[٥] ،وعمل جيرار جينيت جينيت على مقاربة الخطاب التخييلي حين وجه عنايته إلى الخطاب السردي دون غيره من الخطابات بوصفه خطابًاينماز بخصوصية تخييلية ،ورأى أنّ الحوارات داخل الخطاب السردي لا تثير إشكالات كبيرة فهي عنده أفعال كلام نزيهة وأصيلة ممارسة ضمن العالم التخييلي،فما يُقطع من وعود وعهود والتزامات لا تلزم المؤلف فقط بل الشخصيات أيضًا ؛لذا فهي قادرة على أن تصبح أفعالًا كلامية متضمنة في الكلام وذات تأثير[٦]،ويرى جينيت كذلك أنّه وبالرغم من عدم استجابة الملفوظات التخييلية للشروط التي تتطلبها أفعال الكلام وهي: النزاهة ،الالتزام ،والقدرة على تدليل الأقوال غير أنّها تكون حاملة في بعض الأحيان لرسائل لا تقل نزاهة عن أفعال الكلام،تُمرر عَبر النص لكنّها لا توجد فيه فهي

---

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية،٤٦٨- ٤٧٠.

(٢) ينظر: التخييل وبناء الأنساق التداولية نحو مقاربة تداولية، ٧٨-٧٩.

(٣) التخييل وبناء الأنساق الدلالية ،نحو مقاربة تداولية، ٨١.

(٤) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية، ٤٧١.

(٥) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية،٤٦٧.

(٦) ينظر:نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات"بحث" ،منصور مصطفى ،٤٦.

مثلًا توجه أو تعظ[١]،وعلى هذا الأساس فإنّ جينيت يعد الملفوظات التخييلية إخبارات غير حرفية متضمنة ضمن صيغ أفعال كلام غير مباشرة أو إنّها طلبات تخييلية ،إذ يتخذ الملفوظ التخييلي شكل دعوة للولوج إلى عالمه الخاص ،فتصبح تلك الدعوة بمصطلحات الأفعال الكلامية المتضمنة في القول من قبيل التوجيه ،الاقتراح ..،فقول المؤلف في المقامة على سبيل المثال: (حدثنا عيسى بن هشام ...)يُعد فعلًا لغويًا اخباريًا ،وبما أنّ من مقتضيات الإخبار أن تتوفر فيه شروط نجاح كاعتقاد المتكلم بصحة ما يخبر به وقدرته على إثبات صحته،فإنّ عدم وجود شخص يحمل اسم عيسى بن هشام،وانتماء النص إلى جنس المقامة المندرج ضمن الخطاب التخييلي،يجعل الإخبار هنا مموهًا ،فذات التلفظ تنجز هنا - وبحسب جينات- عملًا لغويًا غير مباشر قد يكون طلبًا من قبيل:(تخيلوا أنّ عيسى بن هشام حدثنا...)أو تصريحًا نصه:(أقرر تخيليًا أنّ عيسى بن هشام حدثنا...) [٢]،إلّا أنّها وهي تؤدي ذلك العمل تقوم في الواقع بعمل إنجازي هو إعلان المؤلف بداية السرد الحقيقية ،معلنًا رغبته أن يتدخل السامع ليشاركه فعله[٣]،وعليه فإنّ النص التخييلي والمقامة خاصةً يتسم في الواقع بتلفظ مزدوج ومتزامن يقوم بين الراوي الأولي(المؤلف) متوجهًا للقارىء ،والراوي الثانوي(راوي المقامات) متوجهًا إلى الراوي الأولي،فضلًاعن تلفظ الشخصيات متوجهة بعضها إلى بعض، أو متوجهة للقارىء بطريقة غير مباشرة؛مما يجعلنا أمام حضور صريح لمقام تفاعلي أول طرفاه المؤلف والقارىء ،ومقام تفاعلي ثانٍ طرفاه الراوي والمؤلف ،ومقام تفاعلي ثالث أطرافه شخصيات المقامة فيما بينها أو شخصيات المقامة والقارىء بطريقة غير مباشرة.

وحاصل النظر فيما مضى أنّ التداولية مقاربة من مقاربات النص الأدبي ولجت النصوص الأدبية والتخييلية واستثمرت نظرياتها لفكّ شفراتها بإدخالها السياق أثناء الدراسة بالرغم من الصعوبات التي واجهتها ؛لأنّ النص التخييلي بعيدٌ عن سياقه وتغلب عليه اللغة الإيحائية ؛إذ إنّ((دلالته تتجاوز الملفوظ ذاته وترتكز على مواضعات مضمرة خاصة وعلى عقد بين الكاتب والقارىء))[٤]،ولمّا كان خطاب النصوص التخييلية يفتقد إلى مجموعة من الشروط التداولية خاصة تلك المتعلقة بأفعال الكلام فقد سعى التداوليون إلى تخفيف تلك الشروط على النص التخييلي وعدّ لغته لا تختلف عن اللغة العادية اليومية،وعدّ ملفوظاته ليست خارجة عن قوانين اللغة[٥] .

---

(١) ينظر: نفسه، ٤٨.

(٢) ينظر:التداوليات وتحليل الخطاب ،بحوث محكمة، ٢٣٥.

(٣) ينظر:التداوليات وتحليل الخطاب ،بحوث محكمة ٢٣٦، ونظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي، ٤٨.

(٤) التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ١٩٤

(٥) ينظر:التداولية من اوستن إلى غولفمان، ١٩٧.

ولمّا كانت المقامة نشاطًا لغويًا يحاول المؤلف من خلاله التعبير عن أغراض ومقاصد تهدف إلى تصوير مواقف شخصية واجتماعية في حُلّة من اللفظ وجمال الأسلوب ليحدث تأثيرًا في المتلقين[١]،فإنّ ذلك يسوغ عدّ خطابها فعلًا كلاميًّايستمد فعاليته من الأثر الذي يتركه في المتلقي وذلك من خلال تجسيد الخطاب المقاماتي للفكرة وعرضها عرضًا محسوسًا يجعل المتلقي العام يتفاعل معه [٢]،وهي تشتمل على شخصيات محورية وهامشية،فضلًاعن أنّ لها بعدًا زمانيًا وأخر مكانيًا وهي تتصف بالحوار والوصف الذي يبين هيأة الشخصيات والزمان والمكان؛فضلًاعن أنّها إنمازت بلغة إيحائية،وأقوال حجاجية ،وأبعاد سياقية،فكان بذلك الخطاب المقاماتي حقلًا خصبًا لممارسة الآليات والإجراءات التداولية.

ولمّا كانت التداولية تركز على الجانب التواصلي في اللغة الطبيعية فتربط ملفوظات الخطابات بالوظيفة والسياق والقصد والانجاز، وتستند كذلك إلى تخصصات عدة، من هنا فإنّها تدرس: الاشاريات، والمقصدية ،وأفعال الكلام، والوظيفة، والسياق والحجاج اللغوي، والاقناع...الخ[٣]، وغيرها من القضايا والموضوعات التي يكاد حصرها يستعصي على من يريد رسم حدود لها والإلمام الشامل بقضاياها؛لإتساع مجالها ولتماسها مع معارف أخرى بل واندماجها أحيانًا أخرى[٤]، ومن ثمّ فما على الباحث من بأسٍ أن يُيممّ وجهه شطر هذه التشابكات والدوائر التداولية المختلفة للكشف عن جوانبها والانغلال في بواطنها،وقد سمح فحص مدونة (المقامات في العصر العثماني) بتحديد قضايا تكاد تكون أساسية في التداولية في تحليل الخطابات الأدبية، وتحديد أهم عناصر الجهاز المفاهيمي التي يقوم عليها التحليل التداولي التي بُنيت عليها فصول البحث هذا.

---

(١) ينظر:المقاربة النقدية التداولية للنص الأدبي التراثي(المقامة القريضية لبديع الزمان الهمذاني نموذجاً) دلال وشن، ٣٤.

(٢) ينظر: نفسه ،٣٧.

(٣) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، ٧.

(٤) ينظر: في اللسانيات التداولية ،٨٦.

الفصل الاول

الاشاريات التداولية في المقامات العثمانية

المبحث الأول:الإشاريات الشخصية

المبحث الثاني:الإشاريات السياقية

توطئة

الاشاريات عناصر لغوية احالية غير محددة الدلالة، خالية من أيّ معنى في ذاتها ؛ لأنّ مراجعها متغيرة محكومة بتغيير سياق الخطاب الذي ترتبط به ارتباطًا وثيقًا ؛ لِما له من أثرٍ بارزٍ في فهمها وتأويلها تأويلًا مناسبًا[١]، وإذا ما حُلّت هذه العروة الوثقى بينها وبينه سقطت في الإبهام[٢]، وهو ما تفطّن إليه النحاة العرب مسبقًا فأطلقوا على المكونات الاشارية مثل الضمائر، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة مصطلح (المبهمات)[٣]؛ لأنّ مقابلها الدلالي لا يتحدد إلّا بوجود ما يحيل عليه كلُّ صنف منها، فضمير المتكلم (أنا) على سبيل المثال لا يشغل كل ضمائر المتكلم المتلفظ بها في كلّ لحظة على أفواه كلّ المتكلمين بل يحيل على حالات لحظية آنية يحددها تحقق الخطاب، والواقع الذي يحيل عليه هو واقع الخطاب[٤]، وعلى هدىً من ذلك تكون الاشاريات((صنف من الوحدات لا تتحدد دلالتها إلّا بمعطيات من خارج اللغة، إذ تستلزم مفسرًا مقاميًا حاضرًا في المقام التخاطبي))[٥]، فتتضمن كلّ ما يحيل على وضعيات التكلم والتخاطب والتبليغ والتواصل والتبادل بين المتكلم والمخاطَب، وترتبط بالوظيفة التي يقوم بها عاملو القول في عملية التلفظ ، وبالوضع المكاني- الزماني للمتكلم والمخاطَب على حدٍ سواء[٦].

ولأنّ الاشاريات ((ظاهرة لا تتشكل في عملية الاتصال إلا بتضمن الموقف الاتصالي ، فالمتكلم يشكل إحالات اشارية مستعينًا بجوانب موقفية وبمراعاة شركائه في الحديث)) [٧]شَرَّع ذلك عدّها مبحثًا تداوليًا(٨)، فمجال التداولية لا يعدو العناية بالتعابير التي تستقي تفسير مرجعيتها من مقامات التواصل[٩].

ويذهب الدارسون إلى أنّ الاشاريات من أكثر المكونات اللغوية دورانًا في التلفظ اليومي ، إذ لا يكاد أيّ ملفوظٍ أن يستغني عنها، فأكثر من تسعين بالمئة من تلفظنا التي ننطق بها في خضم حياتنا اليومية هي

---

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، ١١٠، وآفاق جديدة ،١٦ ، و استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ٨٢.

(٢) ينظر:المشيرات المقامية في اللغة العربية،نرجس باديس ، ١٠٢-١٠٣.

(٣) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأستاذ الدكتور قدور عمران ، ٢٢، واستراتيجيات الخطاب ٨٠.

(٤) ينظر: الذاتية في اللغة، أميل بنفيست، ٦٧-٦٨.

(٥) المشيرات المقامية في اللغة العربية، ١.

(٦) ينظر: الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية)،د.جميل حمداوي ، ١٦١.

(٧) علم اللغة البراجماتي، الأسس ، التطبيقات ، المشكلات،بيتر أرنست ، ٧٦

(٨) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية ،١.

(٩) ينظر:التداولية أصولها واتجاهاتها ،جواد ختام ، ٧٦

تلفظاتٍ اشارية يحدّدها ويفكّ شفراتها معرفة سياقها التلفظي الذي قيلت فيه[١]؛ مما يجعلها موضوعًا تداوليًا صرفًا.

وقد طاب لبعض الباحثين تسمية الاشاريات –وهي التسمية الشائعة والغالبة لها-بمصطلحات أخرى، فثمة من استعمل مصطلح (الأنوية الخاصة)، ومنهم من أطلق عليها مصطلح (دليل الذاتية)، وفيما جنح الآخر إلى اصطلاح (الدليل)، وثمة من اصطلح عليها (العالم الرمزي التأملي)[٢]، أمّا دي بوجراند فقد انتخب لها تسمية (الألفاظ الكنائية)[٣]، ووسمها الأزهر الزناد بـ(العناصر الإحالية)في اللغة أو (المعوضات)[٤]، ومن الباحثين من وسمها بـ(المشيرات المقامية)[٥]، وقيل:(المعيّنات)[٦].

واتفق الباحثون أغلبهم على عدّ الاشاريات خمسة أنواع :شخصية ، وزمانية ، ومكانية ، واجتماعية ، وخطابية أو نصية .فيما اقتصر بعضهم على الأربعة الأُول منها [٧]، وبعضهم من عدّها ثلاثة أنواعٍ مجريًا ذلك على سبيل الاختصار للتنويه بأنّها تحيل على المقام من حيث وجود الذات أو المكان أو الزمان فعبروا عنها بـ(الأنا ، والهنا ، والآن) [٨].

وفي هذا المضمار يمكن الحديث في نوعين من الاشاريات ، منها ما يتعلق بأطراف التلفظ ، ومن ثمّ فهي تحيل على المرسِل والمرسَل إليه ، وتسمى بـ(الاشاريات الشخصية ،أو الضمائرية، أو الشخصية)، والثانية تحيل على ظروف التلفظ وسياقه التواصلي ، وتضم الإشاريات المكانية(الفضائية) ، والإشاريات الزمانية،فضلاً عن الاشاريات الاجتماعية كونها ترد في بعض الاستعمالات اللغوية ضمن علاقات اجتماعية خاصة فهي ترتبط بطبيعة العلاقة القائمة بين أفراد العملية الخطابية[٩].

---

(١) ينظر:التداوليات علم استعمال اللغة، ٤٤١.

(٢) ينظر:المقاربة التداولية ،فرانسواز أرمينكو ، ٤١.

(٣) ينظر:النص والخطاب والإجراء، ٣٢٠.

(٤) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، ١١٥.

(٥) وهو العنوان الذي اتخذته الباحثة نرجس باديس لكتابها المشيرات المقامية في اللغة العربية .

(٦) ينظر: الاتجاهات السيموطيقية ١٥٧.

(٧) ينظر: آفاق جديدة ١٧ ، والمصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ،د .نعمان بوقرة، ٨٧.

(٨) ينظر: نسيج النص، ١١٦.

(٩) ينظر: الاتجاهات السيموطيقية ١٦٦، والتأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية ،د.لخوش جار الله حسين"بحث"، ٤٥٩. .

المبحث الأول

الاشاريات الشخصية

هي عناصر لسانية يحددها التداوليون وعلماء لغة النص بسلسلة الضمائر بأنواعها جميعها ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وهي بشكل عام تدل على شخص المتكلم أو المخاطَب أو الغائب[١]، ولها أثرٌ في التفريق بين شخصيات الخطاب داخل عملية التخاطب بين المتحاورين بعد تحديد مرجعها[٢]عند الاستعمال بوجود أطراف التلفظ والتواصل، وتكون خارج هذا الإطار أشكالًا فارغةً من أي دلالة [٣]؛ لأنّها تستند في دلالتها إلى مواضع خارجلسانية وليس لتعابيرها الأصلية[٤]، وبما أنّها تشير تشير إلى الشخصيات الرئيسة في الخطاب (المتحدث، والمتحدَّث إليه، والمتحدَّث عنه)، فإنّها قُسمت كما يبدو على أساس المقابلة (حضور-غياب)، أيّ حسب مشاركة الأشخاص المُشار إليهم في العملية التلفظية أو عدم مشاركتهم ، والحضور((قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كـ(أنت وفروعها) أو حضور إشارة كـ(هذا وفروعها)، والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه ، وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه))[٥]، ويدخل في الإشارة إلى الشخص النداء وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطَب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه ؛ لأنّه لا يُفهم إلاّ باتضاح مرجعه الذي يشير إليه[٦]، فهو يُعيّن أحد أطراف العملية التخاطبية (المخاطَب) فيسهم بذلك في بناء إطار التخاطب [٧].

أولًا: الضمائر:

الضمائر عناصر اشارية؛ لأنّ مرجعها يعتمد على السياق الذي ترد فيه اعتمادًا تامًا[٨]، لمعرفة مَنْ المتكلم أو المخاطَب ، أمّا ضمير الغائب فإن كان حرًا لا يُعرف مرجعه من السياق اللغوي دخل ضمن

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٨٢، وتداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي "مجالس دمشق"نموذجاً"بحث"،ليندة قياس، ٤٨.

(٢) ينظر: التفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني(ت١١٠٧هـ) دراسة في البعد التداولي "أطروحة دكتوراه"،واثق غالب هاشم ، ٢٣.

(٣) ينظر: نفسه ٣٧٣، واستراتيجيات الخطاب، ٨٢.

(٤) ينظر:فعل القول من الذاتية في اللغة ،ك.إوريكيوني، ٦٦.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها،د.تمام حسّان ، ١٠٨.

(٦) ينظر: آفاق جديدة ،١٩.

(٧) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية ، ٢٤٧.

(٨) ينظر: النظرية البراجمانية اللسانية (التداولية) ، دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادىء،د.محمود عكاشة ، ٨٤.

الاشاريات ، وإن عُرف خرج منها[١]، وقد أطلق عليه بنفيست صفة (اللاشخص)؛ لأنّ معينه يقتضي أن يكون خارج العلاقة الخطابية ، غير حاضر أو مشاهد ولا يشارك فيها لا بالتكلم ولا بالمخاطبة[٢]، فضلًاعن أنّ ضمير الغائب لا يدل على وجود الشخصية بشكل دقيق ، فهو قد يدل على شخص أو جماد أو حيوان، ومن هنا أيضًا فهو يكون ضميرًا لا شخصيًا[٣]، وتظل هذه الضمائر أشكالًا مبهمة ومجردة ، ، وفارغة تجعل لنفسها مضامين عندما تقترن إحالتها بسياق ما معلومفي خطابٍ معين[٤]؛ مما جعل بعضهم يسميها ب(المتحولات)[٥]؛ لأنّ الإجراء الآني للخطاب هو المحدد لمرجعها لا المضمر المعين بها[٦]، فتتغير إحالتها بتغيّر المشهد التخاطبي، وهذا يمثل الفكرة التي انطلق منها التداوليون في بيان أنّ المقال (علامات وعلاقات نحوية) لا يكفي لمعرفة إحالة الضمير على المتصور المرجعي إن لم يُستعن بمعطيات المقام[٧] ، وهي تمثل المرتكز الأساس في العملية التخاطبية ؛ لِما تمنحه من الإيجاز ومنع اللبس على المخاطَب[٨].

ومصطلح الضمائر مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي، فالضمير عندهم اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب[٩]، كما أنهّم رتبوها بحسب الاستعمال من الأكثر استعمالًا وهو ضمير المتكلم يتلوه المخاطَب في الحضور والمشاهدة، ثم الغائب[١٠].

وللضمائر بأنواعها المختلفة أثرٌ في خطاب المقامات وإنجاح عملية التواصل بين المتخاطبين، ناهيك عن الترابط النصي الذي تحققه داخل النصوص، ومن توظيفها في المقامات قوله في مقامة(المفاخرة

---

(١) ينظر: آفاق جديدة ١٧، ٨٥، وبذلك تفترق الاشاريات عن الإحالة في أنّ الأخيرة تُعنى بالسياقين اللغوي والمقامي ، أمّا الاشاريات فإنّها تعول على السياق المقامي كثيرًا، ينظر:نسيج النص ١١٦، والتفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني دراسة في البعد التداولي ٢٤.

(٢) ينظر:فعل القول في الذاتية في اللغة ٨٦ ، و التداولية أصولها واتجاهاتها ٧٩، والنظريات اللسانية الكبرى ،ماري ،ماري آن بافو ، جورج إليا سرفاني ، ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) ينظر:الاتجاهات السيموطيقية، ١٨١ .

(٤) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة ٤٤٩، والتداولية أصولها واتجاهاتها، ٧٦-٧٧.

(٥) ينظر: النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر، اللغة العليا)، جون كوين، ١٧٨.

(٦) ينظر:فعل القول من الذاتية في اللغة، ١٦٧.

(٧) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(٨) ينظر: شرح المفصل للزمخشري ،موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش(٦٤٣هـ)، ، ٢٩٢/٢.

(٩) ينظر: مفتاح العلوم،يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)، ١٦، والتداولية أصولها واتجاهاتها ٧٨، والمصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ٢٢.

(١٠) ينظر: شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، ١٩٩٦م ، ٤٠١/٢، وشرح المفصل، ٢٩٢/٢.

بين الماء والهواء) مشخصًا الماء وهو يفاخر الهواء قائلًا: **((أنا أَولُّ مَخْلُوقٍ ولا فَخْر، وأنا لَذّةُ الدُّنيَا والآخِرَة ويوم الحَشْرِ، وأنا الجَوْهَرُ الشَّفاف، المُشَّبه بالسَيْفِ إذا سُلَّ مِنْ الغِلَاف))**[1].

هيمّنت الذات المتكلمة على الخطاب السابق فصارت موضوع الخطاب وقطبه الأوحد، حيث باشر المتكلم باستعمال الضمير(أنا) اعتدادًا بنفسه[2]مكررًا مرافقًا لملفوظات إخبارية تُعرف بالمتكلم وتجسد جانب الفخر والاعتزاز بالذات ولا تُصرح به بل تُلمح إليه بتقديم صفاته، وفي تكرار الضمير إشارة واضحة لتأكيد نسبة هذه الصفات له وتميزه وتفرده بها من دون غيره وتخصيصها به وحده وإشعار المتلقي أنّ ما ذُكر مقصورًا عليه دون غيره من هذه النعوت العديدة المختلفة[3]، ولاسيما أنّه في سياق حجاج لإثبات تميّزه من الخصم، فما هذا التكرار إلّا لغاية حجاجية، يريد من خلالها المتكلم إثبات مكانته، وتمايزه من غيره؛لأنّ ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه ينتج عنه زيادة حضور الفكرة في ذهن المخاطَب[4]، وجعله مسلمًا لقول المتكلم .

وقد يرد الضمير ليُعرف بصاحب القول ومنه ما جاء في هذه المقامة قوله شعرًا[5]:

أنا الخِزْامِيُّ سَلِيلُ العَرَبِ أذْهَبُ بَيْنَ النَاسِ كُلَّ مَذْهَبِ

يشير المتكلم هنا إلى ذاته بفخرٍ واعتزاز مصرحًابنسبه؛ لتأكيد هويته للمخاطَب، مستعملًا الضمير (أنا) الذي يُعد هنا مصدر الخطاب، وبهذا يدرك المتلقي سلطة المتكلم وتمكنه من مضمون خطابه ، فـ (الأنا) تريد إبلاغ المتلقي فعلًا إخباريًا يُعرف من خلاله بنفسه ليُحقِّق غايّة هي الافتخار بالنفس والقبيلة،وكأَنَّه يريد أَنْ يبيّن معنى التعظيم والمفاخرة والاعتداد بالنفس، ومما يُشترط لصدق الاشاريات أنْ تكون العلاقة بينها وبين مراجعها علاقة حقيقية [6]، وهو ما تحقق في الملفوظ السابق؛لأنّ المتكلم أشار بهذا الضمير إلى نفسه وقد تطابق مع الواقع فهو فعلًا ذلك الشخص المشار إليه ، وبذلك أنجز فعلًا إخباريًا صادقًامن خلال الضمير مرفقًا بالاسم الذي أزال اللبس عن الملفوظ وهذا يجعل متلقي الخطاب لا يبذل جهدًا في تحديد مرجع الضمير بصورة لا يبرحها الصدق ولا تفارقها الحقيقة.

([1]) المفاخرات والمناظرات، ٣٢.

([2]) ينظر: أساليب المعاني في القرآن ،السيد جعفر السيد باقر الحسيني ، ٢٦٧.

([3]) ينظر: معاني النحو،د.فاضل صالح السامرائي ، ٢٦٨

([4]) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير "رسالة ماجستير"،نعيمة يعمرانن، ٨١ .

([5]) مجمع البحرين ،المقامة البدوية ،١٣.

([6])ينظر: الملفوظية،جان سيرفوني، ٢٨ .

ومن الضمائر قول المتكلم في معرض وعظه قومًا كان بينهم فتنةٌ وشَحناء:**((إمّا يَنْزغَنَّكم مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فاسْتَعِيذُوا بالله إنّه هو السَمِيع العَلِيم، ومن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تاب مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فإنّ الله غَفُورٌ رَحِيم، فَعَلَيْكُم بالمُصَالَحَةِ قَبْلَ المُجَالَحَة، وَ تَحَمُّلِ الجَهْل بتَجَمُّل الخُلُق السَّهْل))**[1].

يلحظ هنا هيمنة ضمائر الخطاب على النص باستعمال ضمائر المخاطَب المتصلة، ولمّا كان المتكلم في سياق وعظٍ للمخاطبين، فإنّ الخطاب جاء بالتركيز على المرسَل إليه والتوجه إليه والاهتمام به ؛ كي يؤثر فيه ويقنعه، أمّا المتكلم (الواعظ) فهنا غير ظاهر في بنية الخطاب السطحية مستتر في بنيته العميقة التي تتضمن بُعدًا اشاريًا يعود إلى منتج الخطاب وتقديره: (أنا أقول: أمّا ينَزْغنَّكم....)، فـ(الأنا) لم يضمّنها المتكلم هنا في خطابه شكلًا ولم يتلفظ بها ابتداءً في خطابه لاجتماعه بالمرسل إليه ؛ لأنّ ضمير المتكلم تفسره المشاهدة[2]، فضلًاعن أنّ الخطاب هاهنا ذو سمة موضوعية ، فالكلام ذاهب هنا مذهب الحكمة التي لا تتحدد بمتكلمٍ أو مخاطَب معين بل تصلح في سياقات مختلفة ومع شخوص مختلفين ؛ لذا فقد غُيبت الذات المتكلمة في بنية الخطاب السطحية، وعليه فكلمّا غابت ضمائر الحضور أمكننا الحديث عن خطابٍ موضوعي في عملية التلفظ ، وعلى هدىً من ذلك يصبح ضمير التكلم (أنا) هو ضمير الحضور والتلفظ والذاتية التي تحضر عَبر صيغة التكلم[3]، وهذا يدل على أنّ أثر الاشاريات في السياق التداولي غير مقتصر على العناصر الظاهرة على سطح الخطاب بل إنّ هناك عناصر خفية يكون لها الحضور الأقوى، وهو ما يعطيها وظيفتها التداولية في عملية الخطاب[4].

ومن ضمائر الحضور أيضًا ضمير المتكلمين(نحن) الذي يشير للجماعة ، وقد قسمت إوريكيوني هذا العنصر على قسمين: الأول ما يسمى بـ(نحن الشاملة أو التعاونية)وفيها يشير إلى المتكلم ويدخل في حيز اشاريته المرسِل إليه ، وهي تشمل في بنيتها العميقة (أنا + أنت=نحن) أو(أنا + أنتم=نحن)[5]، والثاني يسمى بـ (نحن) القاصرة التي يُستبعد فيها المتلقي، فتكون دالة على المتكلم وآخرين فتكون عبارة عن (أنا + هم) لا (أنا + أنت أو أنتم)[6]، وهو ما اسماه جورج يول بـ(نحن المستثنية) [7] ، واجتمع هذان النوعان في قوله :**((قالوا نُعِيذُك بالله مِنْ نَفْسٍ حَرَّى، وعَيْنٍ شُرَّى، فهل لك أنْ تكونَ لنا خَطِيباً؟**

([1]) مجمع البحرين، المقامة التهامية، ٢٣٧.

([2])ينظر :استراتيجيات الخطاب، ٨٣ .

([3])ينظر : الاتجاهات السيموطيقية، ١٧٠-١٧١.

([4]) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٨١-٨٣.

([5]) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة ٦٠، واستراتيجيات الخطاب ٢٩٣، والأبعاد التداولية في نهج البلاغة"أطروحة دكتوراه"،يسرى خلف سمير ديوان السعيدي ، ١٥٢

([6]) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة،٦١، واستراتيجيات الخطاب ٢٩٣-٢٩٤.

([7]) ينظر: التداولية جورج يول، ٣١.

وكفى بالله حَسِيْبَاً، قال: نَحنُ في المَشْرَبِ شَرَع، والطيور على أشْكالها تَقَعُ، فإنْ رَأَيْتُ مَا يَسُدُّ الخَلَّة ويرُدُّ الغُلَّة، فأنا مِنْكُمْ نَسبَاً وحِلَّة))[1].

النص حوارٌ بين القوم وذلك الرجل الذي لمسوا منه سعة العلم وطول الباع في البيان والشعر، والخطابة ، فبثوا إليه سؤلهم في أن يكون لهم خطيبًا- هيمنت فيه ضمائر الحضور التي تراوحت بين التكلم والخطاب، فباشر المتكلمون خطابهم بالمعوض الكنائي (نحن)بصفته القاصرة التي استبعد فيها المتلقي؛ لأنّها تدل هنا وفي بنيتها العميقة على (أنا +هم)، وقد أبرز هذا الضمير تضامن المتكلمين فيما بينهم وأنّ ما يتحدثون فيه هو جمعٌ لأفكارهم، ونجد أنّهم يستعملون في حوارهم ضمير الخطاب (الكاف) في قولهم:(نعيذك، لك)الذي هو عنصر إشاري يشار به إلى المخاطَب الذي يقابل المتكلم ؛ لتحقيق التبليغ والتواصل بين المتكلم بوصفه مرسِلًا ، والمخاطَب بوصفه مرسَلًا إليه ، أمّا المخاطَب الذي صار متكلمًا فقد استعمل المشير الحضوري (نحن) بصفته الشاملة التي تعادل (أنا وأنتم) في بنية الخطاب العميقة قائلًا : (نحن في المشرب شَرَع) في إشارة واضحة إلى جمع الذات المتكلمة مع المخاطَب في سياقٍ واحد، وهذا يشحن الخطاب بشحنة عاطفية يعبر من خلالها المتكلم عن درجات الحميمية لمخاطبه؛ فهم متحدون ،متحابون ،شريعتهم واحدة يلتقون في مشرب كما يلتقي العطاشى في مشربٍ واحد،وذلك لأجل كسب ودّهم[2]، فيكونوا سريعي الإجابة لرغبته وما يبتغيه، وهذا ما حصل في الحدث التخاطبي السابق، إذ استجاب القوم لتنفيذ ما أراده المتكلم وهو جزل العطاء له ((فَرَضَخُوا له باحتلاب شَطْر، وقالوا: أوّلُ الغَيْثِ قَطْر))[3].

ويحضر العنصر الاشاري(نحن) بصفته الشاملة من خلال قرائن اشارية عبر أفعال المضارعة المقترنة بضمير التكلم التي تُعد وسائط لغوية تشير إلى حضور المتكلم داخل السياق التواصلي للعملية التلفظية[4]، وهذا ما جاء في هذه المقامة على لسان المتكلم في قوله: **((يا أُماه قَدْ بَلَغَتْ الفَاقَة غايَتها ، وتَجاوزِتْ الشِّدة نِهايَتها، ولَمْ يَبْقَ عندَنا ما يُمْسِك الرَمَق ، ويُطْفي هَذهِ الحِرَق، فَهَلْ تَرَينَ أنْ نَبِيْعَ**

([1]) مجمع البحرين، المقامة العُمانية، ٢٨٨.، وشَرَع:سواء أي واحد ، ينظر:لسان العرب،جمال الدين ابن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ) ، ١٧٧/٨(شرع)، وهامش مجمع البحرين، ٢٨٨.

([2]) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٢٩٣.

([3]) مجمع البحرين، ٢٨٨، أيّ: أعطوه قليلًا وقولهم: رضخوا له باحتلاب شَطْر من قولهم في المثل: حلباً لك شطره ، ، الذي يضرب في الحثّ على الطلب والمساواة في المطلوب، يعني أنّهم أكرموه بشَطْر من الإكرام الذي كان يستحقه، ينظر: مجمع الأمثال، ١٩٥/١ ، وهامش مجمع البحرين، ٢٨٨.

([4]) ينظر:سيموطيقيا التلفظ بين النظرية والتطبيق ،د.جميل حمداوي ، ٥٨.

هَذهِ الدَّارُ كَباقي البِيُوتِ ، ونَصْرفُ مِنْها ثَمَنِها على القُوْت ، ونَتْجِرُ في بَعْضهِ على بَرَكةِ الحَيِّ الذي لا يَمُوت))[1] .

فالمتكلم في قوله:(عندنا، نبيع، نصرف، نتجر) يشير إلى نفسه فضلًا عن المخاطَب كفردٍ واحد، لهما غاية مشتركة وتربطهما قضية واحدة، ويجمعهما مصير مشترك واحد؛ لأنّه أراد أن يحول طلبه في بيع الدار والانتفاع منها من فعل فردي إلى فعل جماعي ذات مصلحة جمعية يحقق منفعة عامة تشمل الطرفين؛ مما يُشعر الطرف المقابل أنه لم يقصر المنفعة على نفسه أو دفع الضرر عنها فقط[2]، بل راعى اعتباره أيضًا، لعلَّ ذلك يثمر في إقناعه في الموافقة والاتفاق معه في الرأي.

ومن استعمال العنصر الاشاري (نحن) بصفته القاصرة قوله:**((خرجتُ للصيد في بادية الخَلْصاء، مع بعض الخُلصَاء الأخِصَّاء،وكنَّا في عِدَّتنا كنُجُومِ الثُّرَيَّا، وفي انتظامنا كحَبَبِ الحُمَيَّا، فاقْتَنَصْنَا ما شاءَ اللهُ من سَانحٍ وبَارحٍ، وقَعِيدٍ ونَاطِح... .....حتى غَشِيتْنا ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بَعْض، فجَعَلنَا نخبِطُ خَبْطَ عَشّواءَ تحت غِشاء ذلك العِشاء، وبينما نحن كالآرام في القِماص، إذ سَمِعْنا منادياً يقول: القِرى يا خِمَاص))**[3].

يبين المتكلم من خلال هذا القول تلك المحبة والأُلفة التي كانت بينه وبين جماعةٍ من رفاق الصيد، معبرًا عن ذلك باستعمال ضمير المتكلمين (نحن)وبديلها الضمير المتصل (نا) وهما مما يقع صوب (نحن القاصرة)، قاصدًا الجمع بينه وبين آخرين (أنا +هم) متمثلًا بسهيل ورفقته، وهو عنصر اشاري عبّر به المتكلم عن الانتماء للجماعة فذوّب نفسه مع رفقته ومع عواطفهم وأفكارهم مما يُعد مؤشرًا على الموافقة والاتفاق في الرأي بينهم[4]، وعليه فإنّ الاشاريات تُسهم في تأسيس العلاقة الاجتماعية وتطويرها.

وقد يجد المرسِل أحيانًا أنّ دلالة الضمير قاصرة لا تفي بالتعبير عن قصده حسب ما يريد فيلجأ إلى التلاعب بهذه الدلالة وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصلية، فيحولها من وظيفتها الدلالية التي تدل

([1]) الآثار الفكرية ، تشمل على ما تيسر العثور عليه من نظم ونثر المرحوم عبد الله فكري باشا ، مقامة في حسن الوفاء٣٠٥

([2]) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،د:طه عبد الرحمن ، ٢٤٤.

([3])مجمعالبحرين،المقامةالسخرية،٢٥٨،والآرام:الغزلان،القماص:الوثوب،خماص:الجياع،ينظر:لسان العرب٨٢/٧(قمص)،و٢٩/٧(خمص)،وهامش مجمع البحرين ٢٥٨.

([4]) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٢٨٧.

على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشرًا على وفق قصده ومراعاة لمواءمتها للمقام الذي ينتجها فيه وباختلاف المواقف الاجتماعية ونجد مصداق ذلك في قول المتكلمة شعرًا[1]

نَلُومُ الزَمَانَ إذا ما أَخَلَّ بِتَسويةِ الرِّزقِ في أَهْلِهِ

وها نحنُ نَفْعَلُ فِعْلَ الزمانِ فكيفَ نَلُومُ على فِعْلِه؟

فالمتكلمة في الأبيات السابقة تخاطب جمعًا من القوم محتجةً على فعلهم، فيأتي قولها تعريضًا بهم لعدم عدالتهم في المساواة بينها وبين الشيخ والغلام في العطاء، والملاحظ أنّها جاءت بضمير المتكلم (الجمع) للإحالة على المخاطَبين، فبدل أن تخاطبهم باستعمال الضمير الموضوع لجمع المخاطبين ، فتقول:(ها انتم، تفعلون، تلومون)خاطبتهم باستعمال الضمير بقيمته المنزاحة:(نحن) وبدائله بصفته الشاملة التي تجمع في بنيتها العميقة بينها وبينهم في قولها: (نحن، نفعل ، نلوم)، مع أن هذا الفعل إنّما صدر منهم دونها، إذ كان الأولى أن تخاطبهم بالضمير: (أنتم) لكنّها لوحت عن قصدها باستعمال العنصر الاشاري (نحن) بدلًا عن ذلك ؛ لتفصح عن ذلك التماهي والاندماج بين أطراف العملية التواصلية جميعها، وهذا مرده لعوامل تداولية لعلّ أهمها أسلوب الذم الذي اتخذته في خطابها وهو الذي جعلها توظف الضمير الجمعي، لتجعل اتهامها لهم أقل مباشرة وجعل قضيتها الشخصية تبدو غير شخصية وكأنّها قضية عامة[2]، فتشعر المخاطبين أنَّهم غير مقصودين وحدهم بل إنّ خطابها عامٌ يشملهم ويشملها، فتأمن بذلك ردة الفعل التي قد تعود عليها بالسّلب.

ولمّا كانت الاشاريات الشخصية ذات مرونة في توظيفها داخل الخطاب، فقد تأتي بقيمة منزاحة بالنظر إلى قيمتها المألوفة ، فتستعمل دوال الجمع لمخاطبة المفرد أو المفرد لمخاطبة الجمع ، أو استعمال (نحن)للشخص المتكلم كنايةً عن التواضع أو التعظيم أو الفخر أو التحقير، وهو ما أطلق عليه التداوليون (البون العاطفي أو الإشارة الوجدانية)[3]، وعندها تتخذ الاشاريات وظيفة بلاغية تتجاوز فيها التعيين والتقرير إلى الإيحاء والتضمين عبر هذا الانزياح والخرق وانتهاك المعايير التقعيدية خلال تصادم الوحدات اللغوية وتوترها[4]، ومما وجده البحث تمثلًا لذلك قوله في هذه المقامة التي يصور فيها مؤلفها لقاءه بمحبوبته ، وقضاءه ليلته معها وما دار بينهما من الهوى العفيف، وقد أزال بذلك اللقاء كربه

([1]) مجمع البحرين، المقامة العبسية ،١٩١،وتدور أحداث هذه المقامة حول مدح ذلك الشيخ والفتاة لمآثر قومٍ من بني عبس وبذل القوم العطاء للشيخ وغلامه دون الفتاة.

([2]) ينظر: التداولية جورج يول، ٣٠.

([3]) ينظر: فعل القول في الذاتية في اللغة ،٩٢، وآفاق جديدة ،٢٣-٢٤.

([4]) ينظر: الاتجاهات السيموطيقية، ١٦٨-١٦٩.

ولبست نفسه حلةً من السرور، لكن ما إنْ أسفر الصبح حتى لم يجد من ليلته البارحة شيئًا ، فقد رحلت تلك المحبوبة تاركةً رسالةً قالت فيها رجزًا[1]:

نحنُ بناتُ الكَلل نَسْطو بسهمِ المُقَل
فَكَمْ شُجاعٍ بَطَل بَاتَ بِقَلبٍ وَجِـل
تَجري الدِما عُيونه وتنمـــى شِجونُه
لَمْ يَجِدهُ جِنُونُه مِنـــا سِوى التَدلل

أحالت المتكلمة بالجمع على ذاتها باستعمالها الضمير(نحن) فتحقق رسوه على نقطة مرجعية منزاحة، فما (نحن)هنا إلاّ (أنا) الممدودة الممططة [2]، حيث تضخمت الـ(أنا) وصارت بـ(نحن) شخصًا أكثر أبهة، وأكثر كثافةً، وأوسع معنى ، وإن كانت أقل تعيينًا وأقل دقة في الإشارة[3]، وقد تضافر هذا التضخيم مع هيمنة صيغة المتكلم على الخطاب لإبراز الاحتفاء بالذات المتكلمة، والاعتداد بها ، وتعزيز حضورها الذاتي كسلطة تواصلية عليا مقارنةً مع سلطة المخاطَب الذي لا يملك سوى الإنصات والانتباه والتلقي، والخضوع.

ومن الضمائر أيضًا ضمير المخاطَب الذي هو قسيم المتكلم في الحضور، فهو يقابله في المقام ويشاركه فيه[4]، ويأتي بعده من حيث القوة في الحضور والمشاهدة[5]، ومن تمثلاته الضمير(أنتم) الذي يشار به إلى مجموعة من المتلقين يكون لهم حضور فعلي في العلمية الخطابية في قوله شعرًا[6]:

أَنــتم لِكـــلِّ فَقِيرٍ كَافٌ ونونٌ و زاءٌ
وفـــي أَكُفِّ نـَداكمْ باءٌ وسينٌ وطاءٌ
هَلْ عِنْدَكُمْ نَحْوَ شَيْخٍ لامٌ وحاءٌ وظاءٌ؟

فالمتكلم يخاطب بالضمير(أنتم) من حوله محاولًا استعطافهم لنيل مبتغاه في استحصال عطاياهم، وجاء هذا العنصر الإشاري حاملًا معنى الإشادة بالمخاطَب ، وقد اكتسب هذا المعنى من السياق ، إذ إنّه ورد في سياق مدح ينطق بوصف المخاطبين بأحسن الصفات، يتجلى ذلك في عبارات المدح والثناء على القوم التي جاء الضمير مرفقًا بها، وما يحيل تلك الصفات على مرجعها هو الضمير المنفصل (أنتم)،

---

(1) مقامات الحنفي وابن ناقيا وغيرهما ، استنبول ، مطبعة احمد كامل ، ١٣٣٠هـ، ٣٠٤.

(2) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية ، تأسيس نحو النص ،محمد الشاوش ، ١٠٩٣/٢.

(3) ينظر:أطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ،مختارات معربة بأشراف وتنسيق:د.عزّ الدين مجدوب ، ٥٥٤/٢، وكتاب البصائر والذخائر لإبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب "أطروحة دكتوراه"،عذراء سعيد عبد ، ٦٩.

(4) ينظر: نسيج النص، ١١٧.

(5) ينظر: شرح المفصل، ٨٥/٣.

(6) مجمع البحرين، المقامة اللاذقية ،٢٦٩.

ناهيك عن ضمير الخطاب المتصل (الكاف) الذي ورد متصلًا بالألفاظ: (نداكم،عندكم)، ليحقق الخطاب بالضمير الاستراتيجية التضامنية بين الطرفين التي وظفها المتكلم هنا لبلوغ غايته وتحقيق مراده الذي تجلى في إعجاب القوم (المخاطبين) بما قاله مغدقين عليه مالًا وفيرا[١].

ومن نماذج توظيف الضمير الدال على المخاطب عبر الضمائر المتصلة التي تمثل قرائن اشارية دالة على المخاطَب وحضوره في عملية التلفظ[٢]، ما جاء في قوله: **((يا بُنيي إنّي أَرى الَّشمْسَ أذِنَتْ بالأُفول، وقَدْ عَزَمَ الغريب على القُفُول، واليوم قد أزِفَ الرَحِيل، والبَقَاء في هذه الدَّار مُسْتَحِيل، ...فافْتَحْ لِمَا أَقُولُ أَقْفَالَ لُبّكَ، وإحْفَظْهُ كَسَوَادِ عَيْنَيْكَ وسُوَيْداءِ قلبك....))**[٣].

هيّمنت على هذا النص ضمائر الخطاب وبأصنافٍ عدة، كالكاف في قوله:(لبّك، عينيك، قلبك)، والضمير المستتر في الأفعال: (افتح، ترى، تَعدّ)، ويبدو خطاب المتكلم رقيقًا ، رحيمًا يطمح ومن خلال استعماله ضمير المخاطَب المتصل أن يقرّب المخاطَب ، وهو يستعمل أيضًا عبارة (يا بُنيّ) التي فيها من العطف والتحنن الشيء الكثير، مما يشحن الخطاب بالتضامن، وهذا له مردود إيجابي على سير العلاقة بين الطرفين بالنتائج المترتبة على الخطاب نفسه[٤]، ولاسَّيما أنّه خطابٌ صادر عن الأبِ لابنه في سياق نصحٍ ووعظٍ له، وبذلك تجاوزت إحالة الضمير على المفرد المخاطَب ليصبح مؤشرًا على بعدٍ تداوليٍ هو تحقيق الدلالة التضامنية في الخطاب ؛ لأنّه الأنسب في موطن النصح ليبلغ المتكلم المراد ويحقق الغاية في إنجاز الفعل المقصود.

ويحضر ضمير المخاطب بصيغته المتصلة ، وذلك في هذه المقامة التي يصور فيها المؤلف سياحته الفلسفية في مملكة الباطن مجسدًا هنا صفة (المداهنة) وهي متمثلة في حضرة العقل الذي جسده كملكٍ عظيم لهذه المملكة ، فتدخل عليه كالشيطان محاولةً إغوائه وجرّه إلى مهاوي الضلال والغواية، قائلةً: **((أيّها المَلِكُ القادر،والسلطانِ القَاهِر، بَاعَدَتْكَ الأكدَار، وَسَاعَدَتْكَ الأقدَار، ولا زَالَ يُسْعِدُكَ البَخْت، ويَسْعَد بِكَ التَاجُ والتَخْت، أرَاكَ بِحَمْدِ الله قَدْ صَفَا لَكَ المُلك، وَحاقَ بِجَميعِ أعدائكَ الهَلَك، فَلَيْسَ لِمُلكِكَ زَوال ، ولا لَك في الخَليقةِ أمثَال ، وَقَدْ نِلْتَ مِن كلّ أَمَلٍ أسنَاه، وعَمَلْتَ مِن كُلّ عَمَلٍ أسمَاه، وَلَمْ يبقَ إلاّ ذخائرِ اللذاتِ تَقْتَنِيها، وأخائرِ الشَهواتِ تَجتنيها))** [٥].

دلت ضمائر الحضور المتصلة في النص المقامي السابق على حضور الذات المخاطَبة وهيمنتها على الخطاب ، ولعلّ مرد ذلك لامتلاك المخاطَب سلطة تواصلية عليا مقارنةً بسلطة المتكلم الذي يبدو هنا أنّه

---

(١) ينظر: مجمع البحرين ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) ينظر: سيموطيقيا التلفظ ٦٠،

(٣) الاثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء ،٣٤٠.

(٤) ينظر:استراتيجيات الخطاب ،٢٩٠.

(٥)المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية ،عبد الله فكري باشا، ٢٩ .

خاضعٌ للمخاطَب وتحت سلطته،كمّا يؤشر ذلك على محاولة المتكلم إبراز المخاطَب وتضخيمه داخل العملية التلفظية ؛ بغية شدّه إليه ، ومن ثَمّ جذبه إلى طريق الضلال والأهواء والشهوات المهلكة.

وقد تتنوع الضمائر في الخطاب الواحد بين ضمائر التكلم والخطاب والغيبة ومن ذلك قوله في المقامة الرملية شعرًا[١]:

رَأيْتُ النَاسَ قَدْ قَامُوا على زُوْرٍ وبُهْتَانِ
فَلا يَرْعَونَ مِيْثَـاقًا وَلا حُرْمَةَ إحْسـان
فإنْ رَاعيتَ إنْسَانًا فما أنتَ بإنسانِ

يحاول المتكلم في خطابه هذا بَثُّ أفكاره والتأثير في سامعيه بذكر أعمال الناس الشنيعة والتحذير منها، وقد وَشّح هذا الخطاب بجملةٍ من الأنماط الاشارية الشخصية بين ضمير المتكلم وهو ضمير الحضور في قوله: (رأيتُ) الذي يدل على شخصية المتكلم المتحدث عن نفسه المنفرد بذاته عن بقية الناس الذين تحدث عنهم، ثم يأتي ضمير الرفع (الواو) المتصل بالفعل الماضي (قاموا) والفعل المضارع (يرعون) للدلالة على جمع الغائبين، وهم هنا (الناس) المشار إليهم في البيت الأول، ثم يعود في البيت الثالث ليذكر الضمير المتصل (التاء) الدال على المخاطَب المفرد بقولهِ :(راعيتَ)، والضمير المنفصل (أنت)، ولمّا كان الخطاب ذاهبًا مذهب الحكمة ؛ لذا فانتخاب المتكلم لضمير الخطاب الدال على المفرد كان الأنسب لذلك ؛ لأنّ المفرد المخاطَب يصدق على كلّ أحد ، فيشعر كلّ سامعٍ أنّه مقصود بهذا الخطاب، وإنّ هذا الخطاب لا يتجه إلى شخص بعينه بل هو خطابٌ مطلق موجه إلى كلّ من ينطبق عليه ، فيكون بذلك المرسل إليه عامًا لا خاصًا[٢].

ووجدت الباحثة أيضاً ضمائرًا للتكلم وضمائرًا للغيبة في قول المتكلم شعرًا شاكيًا الدهر وصروفه[3]:

أَشكو إلى الله صُرُوف الدهرِ فقد رماني بالرزايا الغُبرِ
أَصابني بهَرَمٍ وفقرِ وأَخَذَ الكرامَ أَهلَ اليُسرِ
فلم أُصادِف جابرًا لكسري جزاهُ مولايَ جزاءَ الغدرِ

تضمّن النص أنماطًا اشارية تراوحت بين دوال المتكلم والغيبة، هيمنت فيها ضمائر الحضور المتمثلة بضمير التكلم على الخطاب ؛ ليصبح مؤشرًا جليًا على الذاتية التلفظية ، وتواجد المتكلم بواسطة ضميره الشخصي[٤]، فالمتكلّم يشكو همَّهُ وحزنَهُ إلى الله وما تشعر به ذاته الموجَعة التي أتعبها الدهر بصروفه، وتقلب أحواله،فهي المعنيّة بالحديث دون غيرها،ومن ثَمَّ فحضور الذات يعني حضور المتكلم بتجاربه

---

(١) مجمع البحرين، المقامة الرملية،٩٧ .
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٢٨٨-٢٨٩.
(٣) مجمع البحرين، المقامة العبسية ،١٩٠.
(٤)ينظر:الاتجاهات السيموطيقية ،١٧٠. .

الحياتية الكلية ؛ لأنّ ضمير المتكلم يحمل فضلًاعن الدلالات اللسانية التداولية دلالات فلسفية وجودية، ويحمل دلالات فينومينولوجية(ادراك الذات للموضوع)، ودلالات سيكولوجية (علاقة الذات بالوعي)[١]، أمّا ضمائر الغيبة فكانت من نصيب الدهر في قوله :(رماني ، وأَصابني ، وأَخذ) ، والدهر لا نستطيع أَنْ نتلمَّسه حِسيًا ، لكنَّنا نشعر به روحيًا ، فهو كالغائب المستور الذي لم يظهر للعيان، فانتظمت هذه الضمائر لتؤدي وظيفة إبلاغية يُراد إيصالها للمخاطَبين ؛ لأجل إحراز التأثير فيهم بجعلهم يرثون لبليته ويرقّون لشكيته ، وهو ما تحقق في سياق الحدث التخاطبي السابق فعلًا.

ومن توظيف الضمائر أيضًا قوله شعرًا[٢]:

عاتَبُونِي على القَطِيعَـــةِ لَمّا طَالَ عَهْدُ النَّوى وطَالَ النِّفارُ

قُلْ لَهُمْ: إنَّ مَنْ يَزُرْنِي أَزُرْهُ كلَّ يَومٍ ،ومَنْ يَزُورُ يُـــزَارُ

ضمّ النص بين دفتيه أنماطًا اشارية شخصية توزعت بين الحضور والغيبة ، شكّلت فيه ضمائر الحضور نسبة ضئيلة مقارنةً بضمائر الغيبة ، فتراوحت بين ضمير المتكلم الذي جاء متصلًا مرةً ومستترًا مرة أخرى في :(عاتبوني ، يزرني، أزره)، وهي ضمائر تشير كلّها إلى الشخص الذي يستثمر إمكانية الكلام لينتج نصًا يعين فيه ذاته متكلمًا يعبر عن مكنونات نفسه ويعلل لِمن عاتبه على القطيعة والبعد، على حين جاء ضمير الخطاب مرةً واحدة في فعل الأمر (قُلْ) للإشارة إلى المخاطَب بالضمير المستتر الذي يُعد ضربًا من الاشاريات يتوصل لإدراك مرجعه عن طريق السياق،الذي يتطلب أحيانًا حضور المخاطَب حضورًا عينيًا في الأمر والنهي[٣]، فأنت لا تأمر غائبًا أو تنهاه ؛ لذلك يقتضي الأمر أن يكون المعني ماثلًا أمامك مشاهدًا،لكن قد يعمد المرسِل إلى إعطاء خطابه بعدًا تداوليًا أوسع،فيفترض حضور المخاطَب وإن لم يكن حاضرًا في عملية التلفظ ؛ ليجعل خطابه عامًا موجهًا إلى كلّ من يتأتاه ، فيكون كلّ سامعٍ كأنّه معنيٌ به[٤]، ويبدو لي أنّ دلالة الضمير هنا في (قُلْ) تعود على المتكلم نفسه،فهو يصف حاله مع من عاتبه على الهجر والقطيعة ، جاعلًا نفسه المتكلم والمخاطَب في الوقت عينه، باستحضاره شخصًا مخاطَبًا يوجه إليه خطابه،لكن في الحقيقة إنّ (أنت) هنا قد تحقق رسوها على نقطة مرجعية منزاحة هي (أنا) المتكلم.

أمّا ضمائر الغيبة فقد هيمنت على النص وكانت إحالتها مقامية؛لأنّ مرجعها أو المعني بها غير حاضرٍ في العملية التخاطبية، بل يشير إلى خارج النص، ولعلّ في هذه الهيمنة ما يكشف عن الطبيعة الإخبارية للخطاب، الذي تعمد فيه المتكلم إبهام الضمير وتغييب مرجعه؛ لجعل المتلقي يترقب ويتيقظويعمل فكره

([١])ينظر:الاتجاهات السيموطيقية، ١٧١. .

([٢]) مجمع البحرين، المقامة السودية، ٢٩٥.

([٣])ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٨٣، وأساليب المعاني في القرآن، ٢٦٨.

([٤]) ينظر:أساليب المعاني في القرآن، ٢٦٩.

لمعرفة المحال عليهم، وبذلك تتمتن أواصر التفاعل والتواصل بينه وبين المتكلم فكانت وظيفة الضمير الغائب هنا إيحائية لا تعينية.

-تحول الضمير في المسار التخاطبي:

تحدث التداوليون عن إمكانية تحول الضمائر في العمليات التخاطبية، فتتبادل الوظيفة بين التكلم والخطاب والغيبة[١]، وهذا التحول ما هو إلاّ إمكانية تخاطبية مكنتنا منها حركية الجهاز النحوي التي تتراوح بين مفهوم الحضور في بعده الحسي ، ومفهومه في بعده التخاطبي[٢]((فيمكننا من أن نعتبر الغائب غائبًا عن التخاطب وغائبًا عن المقام التخاطبي، أو أن نعتبره غائبًا عن التخاطب وحاضرًا في المقام التخاطبي، فيمكننا ذلك من إنجازات مختلفة مثل:مخاطبة الحاضر بعبارة الغائب:هذا هو الصديق، تعويلًا على حضوره في المقام وتوجيه الخطاب إليه))[٣]،وهذه الظاهرة التخاطبية تجعل المخاطَب بصورتين في الخطاب تبعًا للتحول في المسار التخاطبي ، وفي ضوء ذلك قد يعمد المتكلم إلى الانتقال بالخطاب من الغيبة إلى المواجهة أو من المواجهة إلى الغيبة، فيحول الغائب مخاطبًا أو المخاطب غائبًا، لغايات ومقاصد تحددها ظروف العملية التخاطبية[٤]، ونجد لهذا المعنى حضورًا عند أهل البلاغة بما وسموه بـ(الالتفات بالضمير)، أيّ الانتقال من الحضور إلى الغياب أو العكس ، أو من التكلم إلى الخطاب أو العكس وهكذا[٥]، بما يقتضيه الراهن التواصلي لإيصال قصدية الخطاب، ومما قاربه البحث مصداقًا لذلك في خطاب الأمّ مع ابنها تحثه على الصبر والتجلد مواساةً له بعد تقلب أحواله من يسرٍ إلى عسر، قائلةً:**((يابُنَيَّ على المَرْءِ أنْ يَسْعى لِما فِيهِ نَفْعُهُ، ولَيْسَ عَلَيهِ أنْ يُسَاعِدُهُ الدهر ، فلا تَجْزَعْ من تَقَلُّب الدهُور، وعَجائِبِ المَقْدُور، واصْبِرْ على ما أَصَابَكَ فأَنْتَ بالصَبْرِ مأمُور، ولِمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إنّ ذَلِكَ لَمِن عَزْم الأُمُور))** [٦].

تحدثت الأُمّ في مستهل كلامها بأن أبدت بعض الأمور التي على المرء أن يلتزمها وقت الشدة بألفاظٍ دالة على الغيبة أفادت التعميم؛ لأنّها أرادت جعل الخطاب عامًا أولًا، لا يخص المخاطَب فقط بل يشمل الجميع؛ لغرض إدراج حديثها كقاعدة عامة تتجاوز حدود الزمان والمكان ، وتكسر نمطية ثنائية الحوار، ثم تحولت من التغييب إلى ضمائر المشاهدة والمواجهة حينما أرادت توجيهه بنهيه عن الجزع من

---

(١) ينظر:المشيرات المقامية في اللغة العربية ٢٩٥، والمشيرات المقامية في القرآن،د.منى الجابري ، ١٨٧.

(٢) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٣٠٢.

(٣) المشيرات المقامية في اللغة العربية ٣٠٢.

(٤) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن، ١٩٠.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ١٩٩.

(٦) الآثار الفكرية،٣٠٧.

الحزن ودعوته للتصبر مستعملة دال الحضور، والمقصود بالكلام واحد، فالغائب في مستهل كلامها هو نفسه الذي صار مخاطَبًا تاليًا، لكنّها استعملت له سمة الغياب أولًا لأمرٍ قصدت به دعوته إلى النظر والتدبر في أحوال غيره فيأخذ الحكمة والعبرة من تجاربهم بعامةٍ ، ثم حمّلت خطابها تجددًا بتحولها من الغياب إلى المواجهة إظهارًا لتخصيصه بالخطاب باستعمال دال الحضور، وهذا الأمر يساعد على سرعة الامتثال للمطلوب ؛ لأنّه في موقف مواجهة مع الذات الموجهة ، فعندما أرادت حثه على الصبر وقبول القضاء والقدر جيء بلفظ الحضور الدال على حضور المؤازر، فإنّ المخاطَب سيصبر مادام مؤازره حاضرًا[١]، مشاهدًا يتوجه بالكلام إليه ، فيعطيه ذلك دافعًا للامتثال إلى التوجيه الصادر.

ومما جاء على هذا النحو أيضاً من التحول بين الضمائر محققًا بعدًا تداوليًا قوله شعرًا[٢]:

يا مَنْ لَهُمْ في السَجَايا عينٌ وجيمٌ وباءُ

ما طَابَ ليّ في سِوَاكم نونٌ وعينٌ وتاءُ

عُهُوْدُكُمْ لَيْسَ فِيْهَا نونٌ وكافٌ وثاءُ

فالمتكلم يخاطب مجموعة من القوم الذين كان لهم حضور فعلي في العملية الخطابية ، وكان الأولى مخاطبتهم بضمير الخطاب (الكاف) فيقول :(لكم) لكنّه جاء بخطابه أولًا على طريقة الـ(هم)، أيالمتحدث عن صفاتهم أو المراد الإخبار عنها والتركيز على وصف فعلهم وكأنّه أصبح مما يُقص عنهم للعبرة؛ إظهارًا لرفعة شأنهم والارتقاء بهم إلى أعلى مرتبة من السمو؛لذلك أتخذ الخطاب مسار الغيبة الذي يتناسب والقصّ[٣]، ناهيك عمّا في هذا الضمير من تحصيلٍ للقول البليغ المؤثر من جهة إضماره أولًا ،ومن جهة تفسيره ثانيًا ؛لأنّ الشيء إذا كان مبهمًا تكون النفوس متطلعة إليه ومتشوقة إلى فهمه [٤]، ولاسيَّما أنّه في مقام مدح وغايته التأثير فيهم ، فيعمد لاختيار الأنسب في مخاطبتهم لتحقيق هذه الغاية، ثم خاطبهم في الأبيات اللاحقة مستعملًا العنصر الاشاري الدال على المخاطب في قوله: (سواكم وعهودكم) الذي يحيل على المرجع نفسه المقصود مباشرة؛ إبرازًا للهيأة التخاطبية التي تجعل المخاطَب مقابلًا للمتكلم ومواجهًا له وملتفتًا إليه[٥]، فعندما أراد تحقيق مواجهة معهم، بتخصيص المدح بهم دون سواهم، انتقل بالخطاب من التغييب إلى المشاهدة والحضور؛ فضلًا عمّا لهذا التحول بين صيغ الخطاب

---

(١) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن، ١٩٩.

(٢) مجمع البحرين، المقامة اللاذقية ،٢٦٩.

(٣) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٢٠٧.

(٤) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ) ، ٢٧٠، ومعاني النحو ٥٨/١. .

(٥) ينظر:المرتجل في شرح الجمل،أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب (ت٥٦٧هـ)، ٢٨١.

من أثر في تطرية نشاطهم وإيقاظ إصغائهم إليه بتنقله من أسلوب لآخر[١]، ، وغايته من كلّ ذلك إحراز التأثير في المتلقين الذي هو سؤله من هذا الخطاب .

ومن صور التحول أيضًا ما جاء في قول المتكلم لغلامه بعد أن اضطر لفراقه مخاطبًا إياه بأبياتٍ من الشعر[٢]:

لا تَنْسَني ، يَا مَنْ لهُ النَفْسُ فِدىَ فَلَسْتُ أَنسَاكَ ولو طَالَ المَدَى

إنْ نَكُنِ اليَوْمَ افْتَرَقْنَا قِددَا فَمَوْعِدُ اللِّقَاءِ بَيْنَنا غَـــدا

والدَهْرُ لا يَبْقى لِحَيٍّ أَبَدا

يُلحظ الانتقال الحاصل بين ضمير المخاطَب في قوله: (لا تنسني) إلى ضمير الغيبة في:(يا منْ له)، إذ بدأ مخاطبة غلامه بخطاب المواجه عندما أراد توجيهه بعدم نسيانه ؛ ليكون ملتفتًا مصغيًا إليه ، ثمَّ قطع الخطاب والانتقال من المواجهة والحضور إلى الغيبة، فتحول الخطاب إلى مسار آخر تم فيه تغييب المخاطَب لأمرٍ قصد منه التركيز على وصف مكانة الغلام وفرط حبه له فخاطبه بخطاب الغيبة التي هي الأنسب في مقام الوصف ورسم صورة للشيء الموصوف[٣] .

ويلحظ أنّ المتكلم استعان بالضمير (نحن)المستتر في قوله : (نكن)،والضمير(نا) في (افترقنا)و(بيننا)،وهنا جمع بينه وبين المخاطب بضمير واحد ؛ليعبر عمّا أصابهما من فراق على اعتبار أنّ الفراق طال الإثنيين فجمعهما في ضمير واحد .

ثانيًا :أسماء الإشارة:

وهي ((ما وُضِعَ لمشار إليه)) [٤]، وتُعد من المعارف عند النحويين ؛ لأنّها تشير إلى الشيء من دون سائر أمته[٥]، وتستعمل بحسب السياق للإشارة إلى الذوات البشرية وغيرها[٦]، وهي تحيل على حاضر حاضر وقت التكلم أي استحضار الذوات أثناء الخطاب[٧]، فهي تقع ضمن دائرة ضمائر الحضور

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ١/١٢٠.

(٢) مجمع البحرين، المقامة المصرية، ١٧٨.

(٣) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن، ٢٠٧.

(٤) شرح الرضي على الكافية، ٢/٤٧١.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،٢/٥.

(٦) ينظر:التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية ،٤٥٨.

(٧) ينظر:خصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي ، الحديث النبوي انموذجًا،أ.حورية رزقي، ١٩٩.

الحسية والذهنية، وقد سميت بـ(ضمائر الإشارة) [١]؛ لأنّها ((تؤدي وظيفتها اللغوية كما تؤديها الضمائر، إلّا أنّها تختلف عنها في أنّه قد يُجمع بينها وبين ما هي كناية عنه -أعني الأسماء الظاهرة -كما إذا أُشير إلى شيء فقيل :هذه الشجرة، أو هذا الرجل ، أو أولئك النسوة إمعانًا في التشخيص))[٢]، ولأنّها ((تتصل مباشرةً بالمقام دون توسط عناصر احالية أخرى)) [٣]؛فقد عدّها النحاة من المبهمات، فهي مبهمة خارج التركيب وتحتمل أكثر من قصد ولا يمكن تحديد مرجعها إلّا بالرجوع إلى عناصر خارجية؛ لأنّها لا تختص بشيء معين، فالمتكلم يشير بها إلى كل ما بحضرته وربَّما كانت بحضرته أشياء عدة فيلتبس الأمر على المخاطَب وقد لا يدري إلى أيّها تشير لذلك يلزمها البيان بالصفة عند الإلباس[٤]، أو بما يصاحبها من إشارة حسية[٥]،وهذه الإشارة الحسية أو الوصفية هي القرينة التي ترفع ترفع الإبهام الذي تتصف به هذه الأسماء[٦]، فتؤدي بذلك وظيفتها التداولية في تخصيصها للمخاطَب شخصًا بالاعتماد على حضور ما تشير إليه ورؤيته بالعين،[٧]، فيعمد المتكلم إلى استعمالها لتحصيل الفائدة التي يروم تحقيقها في نفس المخاطَب وهي تعريفه وتعيينه للشيء المقصود (المشار إليه) دون سائر الأشياء[٨]، إذ إنّ الأصل في استعمالها مرهون بالإشارة إلى محسوس مُشاهد يدرك إدراكًا حسيًا أثناء التحاور،أمّا خروجها عن هذا النسق فيرجع إلى المجاز وذلك عندما تستعمل لغير المحسوس[٩]، للإشارة بها إلى معنى معين .

ومن تجليات استعمال المقولات الاشارية قول الأب في وصية لابنه في هذه المقامة:**((افْتَحْ لِمّا أَقُولُ أَقْفَالَ لُبِّكَ، واحْفَظْهُ كَسَوادِ عَيْنَيكَ وسُوَيْدَاء قَلبَكَ، وما أَرَدْتُ كَنْزَ مالٍ مَدْفُون ولا نَفِيْسَ جَوْهرٍ مَكْنُون، .....، ولكن قَصَدْتُ ما هو أعلى وأغلى ، وأجْدَر بالرِّعَاية والعِنَايَّة وأوْلى ، وما هو إلاّ صَاحِبٌ عَرَفْتَهُ قَدِيْمًا وعَكَفْتُ على وِدِّهِ مُسْتَدِيمًا.....وهذا الرَجلُ الذي ذَكَرْتُ لا يَتَرَدَدُ كما يَتَرَدَدُون، ولا يُبْدِي مِن ظَاهِرِ الحَالِ والتَحَمِلِ بالمَقَالِ مِثْلَ ما يُبْدُون))**[١٠].

([١]) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها ،١٠٩، ١١٠.

([٢]) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ،د.مهدي المخزومي ، ٢٠٠

([٣]) نسيج النص، ١١٦.

([٤]) ينظر: كتاب سيبويه، ٥/٢ ، وشرح المفصل، ٣٥٢/٢.

([٥]) ينظر:النحو الوافي، ٣٣٨/١-٣٣٩.

([٦]) ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٤٧٢/٢.

([٧]) ينظر: كتاب سيبويه، ٧/٢ وشرح الرضي على الكافية، ٤٧٢/٢، ٤٧٩/٢.

([٨])ينظر:كتاب سيبويه، ٧/٢ ، و آفاق جديدة، ٢٣.

([٩]) ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٤٧٢/٢.

([١٠]) الآثار الفكرية، ٣٤٠-٣٤١.

ففي عبارة (هذا الرجل) إشارة إلى ذلك الصديق الناصح المؤتمن الذي أراد الأب لفت انتباه الابن إليه بالتمسك به واللجوء إليه إذا ما أنابه الدهر بعد وفاته، فهو يومىء إلى رجلٍ معهود عند طرفي الخطاب وهذا متأتٍ مما أضفته (ال العهد) في قوله:(الرجل) من استعمال يُراد به واحدٌ معهودٌ بعينه بين المتكلم والمخاطب ومتفق عليه يمثل معرفة سابقة مشتركة بينهما[١]،هي المعلومات والأخبار السابقة بينهما التي التي ذكرها المتكلم للمخاطب، ومع أنّ المشار إليه بعيدٌ غير حاضرٍ أو مشاهد في العملية التخاطبية ، بيد أنّ المتكلم وظّف العنصر الاشاري الدال على قرب المشار إليه[٢]؛ ليكشف به للابن عمّا يعتريه من مشاعر وما يربطه من علاقة حميمية بالمُحدَّث عنه يعتريها القرب العاطفي، فالمدى الفاصل بينه وبين المشار إليه هنا مدى نفسي وعلائقي لم يُراعَ فيه البعد الفيزيائي [٣]، تجاوزت فيه الإشارة الوجود الحسي للمشار إليه؛لتحقيق قصد المتكلم في التعبير عن مشاعر الألفة والمودة تجاه المشار إليه الذي وإن كان بعيدًا مسافةً لكنّه قريبٌ منه عاطفيًا .

ومن تجليات استعمال تعابير الإشارة قول المتكلمة في هذه المقامة: **((يا مَوْلَاي إنَّ هذا بَعْلِي شَيْخٌ عَلَنْدِي،أظْلَمُ مِن الجَلَنْدِي، وهو فَقِيْرٌ وَقِيْرٌ،لا يَمْلُكُ شَرْوَى نَقِيْر))[٤].**

استعملت المتكلمة التعبير الاشاري (هذا) للإشارة إلى زوجها الذي جاءت تشكو ظلامتها منه في حضرة القاضي، والمشار إليه حاضرٌ معها يُشاهد ويُرى، مجاورٌ لها قريبٌ منها موجودٌ في مكان وجودها ، لكنّها لم تكتفِ بذكره فقط بقولها :(بعلي) إنّما أشارتْ إليه أيضاً باستعمال اسم الإشارة؛ لتميزه أكمل تمييز بالإشارة المحسوسة، فكأنّها أومأت إلى واحدٍ ممن بحضرة القاضي، وبحضرته أناسٌ كُثر فتوجب عليها تمييزه والإبانة عنه بالكلام المقصود لتفصله وتعينه بذلك عن الحاضرين جميعهم ، فيتعرف المخاطب عليه، ولتؤكد لمتلقيها أنّ هذا الشخص المشار إليه هو المقصود بالكلام، وأنّه هو ذاك الذي تعاني منه لما يحمله من عيوب وصفات ذميمة ، فكان لاسم الإشارة قوة تحديد وتعيين ، وإفراغ لما تحس فيه نفسها[٥].

ومن مقولة الإشارة ذات المدى القريب قوله في هذه المقامة: **((إنّي أنا والحَمْدُ للّهِ مِن المُسْلِمِين المُؤمِنِين بالله وبرَسُولِهِ، وبِوَحْيِهِ وتَنْزِيلِهِ، وإنَّ صَاحِبِي هذا الوَدُود، وأشار إلى أَحَدِ القُعُود،هو من**

([١]) ينظر: كتاب سيبويه، ٥/٢، والنحو المصفى، محمد عيد، ١٨٧.

([٢]) ينظر: معاني النحو، ٨٤/١، والنحو الوافي، ٢٧٠/١.

([٣]) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن،٣٧٤ .

([٤]) مجمع البحرين، المقامة الإنطاكية ،٢٠٥، والعلندي :الجاف الغليظ، ينظر:لسان العرب ٣٠٢/٣(علند) ، والجلندي :ملك عمان يضرب به المثل في الظلم ، ينظر: مجمع الأمثال ٤٤٦/١ ، وهامش مجمع البحرين ٢٠٥.

([٥]) ينظر:من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ١٤٩/١.

النَصَارَى،والآخَر من اليَهُود،والآخر إمَّعة ماله اعْتِقَادٌ ولا جُحُود،وإنّا قدْ تَنَازَّعْنا كَأسَ البَحْثِ في الزَواج))[1].

المتكلم في موضع إخبار للمخاطَب يبين له الاختلاف الحاصل بينه وبين ثلاثةٍ من صحبه من ديانات ومذاهب مختلفة حول مسألة إباحة الطلاق أو حظره، فيوظف الكيان الاشاري (هذا) في قوله:(إنّ صاحبي هذا) ليشير به إلى واحدٍ من هؤلاء الثلاثة ألا وهو الصاحب النصراني،مستعملًا إلى جنب هذه الإشارة اللفظية إشارة إيمائية تمثل الجانب غير الملفوظ لاستعمال اسم الإشارة التي جاءت مصاحبة له بدليل فحوى القول: (أشار إلى أحد القعود) ؛لأنّ المخاطب بحاجة لأنْ يدرك المرجع الذي أُشير إليه لكون المشار إليه ضمن نفرٍ من الناس يصلح أن يشار إليهم بـ(هذا) فاستعمل الإشارتين اللفظية، والحركية -الإشارة باليد- لتعيين الشخص المقصود بالكلام[2]،وتقليص اللبس الذي قد يحدثه قوله:(صاحبي)، فيعرف المخاطَب أنّ المقصود هذا الصاحب المشار إليه لا غيره، فضلًاعن أنّه أضاف للمعنى قوةً وتوكيدًا في إثباته وتحققه؛لأنّ اسم الإشارة جاء بوصفه عنصر توكيدي يتوخى إثارة الاهتمام بلفظة (صاحبي) التي سبق تميزها في الخطاب[3]،إذ تمثل المشار إليه المتقدم على الدال الإشاري.

ومن مقولات الإشارة التي تضمنت الإشارة إلى محسوس قوله في هذه المقامة شعرًا[4]:

إنّي مَيْمُون بني الخِزامِ وهذِهِ ليلى ابْنَتِي أمَامِـــي

نَعَمْ وهذا رَجَبٌ غُلامِي مَنْ رَامَ أنْ يَدخُلَ في ذِمامي

يَأمَنُ مِنْ بَوَائقِ الأيّامِ

أنجز المتكلم كلامه باستعمال عنصرين اشاريين:الأول قوله: (هذه) الذي يأتي للمؤنثة القريبة، والثاني (هذا) الذي يُشار به إلى المذكر القريب، ويشير كلا العنصرين إلى لاحق يمثله في الأول اسم العلم (ليلى)، وفي الثاني (رجب)، وتبرز هنا الوظيفة الحسية للمقولات الاشارية[5]. فالمشار إليه الذي قصده المتكلم مُدرك إدراكًا حسيًا ومشاهدًا بالعين ،لكنّه أراد تعيينه لاستشعاره حاجة المخاطَب التعرف على تلك الذوات المقصودة في الخطاب[6]، وهذا ما أظهره سياق النص[1]، وهذا التعريف بالذوات والإحالة عليها يُعد من الوظائف التي تقوم بها العناصر الاشارية[2].

([1]) الساق على الساق ،٢٣٢.

([2]) ينظر: المشيرات المقامية،٣٥٣-٣٥٤.

([3]) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ٤١٤.

([4]) مجمع البحرين، المقامة البدوية، ١١.

([5]) ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٤٧٢/٢.

([6]) ينظر: آفاق جديدة ٢٣، والخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ،أحمد المتوكل، ١١١.

ومن دوال الإشارة التي تستعمل لبيان مدى البعد(ذاك ، تلك)وقد جاءت في قوله في هذه المقامة:**((فقلنا: وأنتما حُييتُما بالسَّلام وحُبِيْتما ما عَطَسَ الفَجْرُ ودَبَّ الظَّلَام، فإنّكما أعْظَمُ دَعائِم الجَمَادِ والنَبَاتِ والحَيْوان والإنْسَان، وأنتما الشَقِيقَان اللّذان لمْ يُوجَد لهما ثَالِثٌ في عَالَمِ الإمْكَان، فهَلْ وَلَجَ بينكما ذو نِفَاق،حتى صَدَرَ مِنْكُمَا هذا الشِقَاق؟ أو ذَاك مِن دَسَائِس النَفْسِ الأمَّارة، وَوَسَاوس تلك العَدوَّة الغدَّارة الغرَّارة؟))**[٣].

في هذا النص من هذه المقامة ثمة شقاقان ،أحدهما قريبٌ معروف أشار إليه المتكلم بالعنصر الإشاري (هذا)؛كونه معروف الأسباب ،وآخر مجهول وطرقه غير واضحة ؛لذا أشار إليه بالعنصر الاشاري (ذاك)، أمّا اسم الإشارة (تلك) الذي يشار به إلى المؤنث البعيد[٤] والذي يحمل معنى الضمير عوضًا عن لفظة (النفس الأمَّارة) التي تقدم ذكرها في الكلام السابق، التماسًا لعدم تكرارها [٥]، فقد أظهر أيضًا استعماله لهذا الدال الاشاري الموضوع للبعيد ذلك المدى النفسي الفاصل بينه وبين المشار إليه الذي يشوبه الإقصاء، إذ يتغيا من هذا الاستعمال إنزال تلك النفس الأمارة بالسوء التي يتخذها إبليس مطيته لنشر الشرّ منزلة البعيد تدليلًا على رغبته عنها ونفوره منها، فكأنّه يضع لهذه النفس تراتبية بالنظر لقربها أو بعدها منه ، فيبعدها أشد الإبعاد ، ويجعلها أعدى العدى بأن يرسي استعماله في الإشارة إليها بدال البعد (تلك)، الذي كان العنصر الاشاري الأنجع للتعبير عن هذا القصد؛ لأنّ كل قصدٍ أو سياق يستلزم خيارات معينة ، فيرجح المتكلم من بين خياراته ما يكون أكثر نجاعةً في التعبير عن قصده في مقامٍ معين[٦]، ووفقاً لذلك فإنّ هذه العناصر تخضع لرغبة المتكلم في جعل شيء قريبًا ماديًا بعيدًا نفسيًا ،ومن ثمَّ فإنّها لا تمتلك معنىً دلاليًا ثابتًا ، ولكنّها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم[٧].

ومن استعمال المقولات الإشارية ذات المدى البعيد ما جاء في قول المتكلم واعظًا جمعًا من القوم: **((اعْلَمُوا أنَّ الله قَدْ أرْسَلَنِي إليكُمْ نَذِيرًا وأقامَنِي بينكم سِرَاجًا مُنِيْرًا، لأُذَكِرَكمْ يَوْمًا عَبوسًا قَمْطَرِيرًا،فلا تَغْفُلُوا عَنْ ذِكْرِ شُرْبِ تِلْكَ الكَاس،وهَوْلِ ذَلِك اليَوْمِ المَجْمُوعِ لهُ النَاس))**[٨].

يصف المتكلم في خطابه الوعظي هذا يوم القيامة، وكيف سيكون حال الناس فيه، فتطالعنا مقولة الإشارة في هذا الخطاب الوعظي متجسدة في عنصرين اشاريين، يستعملان للبعيد وفي كل إشارة

([١]) ينظر: مجمع البحرين ١١.

([٢])ينظر:إشارية البنى المطلقة"بحث"، لطيف حاتم الزاملي ، ٢٥.

([٣]) المفاخرات والمناظرات ،٢٥.

([٤]) ينظر: نفسه،٨٥/١.

([٥])ينظر:مدخل إلى علم لغة النص،روبرت دي بوجراند ، ٩٢.

([٦]) ينظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة "بحث"، محمد سالم ولد محمد الأمين ، ٥٦.

([٧]) ينظر:التداولية ، جورج يول ٣٣.

([٨]) مجمع البحرين، المقامة المعرية ١٤٨.

منهما يختلف القصد والمرجع، فأشار بالدال الاشاري(تلك) إلى (الموت) الذي كنى عنه بالكأس؛ لأنّه يُستعار في ضروب المكاره جميعها فيقال:سقاه كأسًا من الذلّ وكأسًا من الفرقة والموت[١]، وأشار بالعنصر الاشاري (ذلك) الدال على البعد إلى يوم القيامة الذي وصفه باليوم المجموع له الناس اتكاءً على قوله تعالى :((ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) الجاثية:٢٦، وقوله تعالى :((ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ)) هود/١٠٣، وقد أشار المتكلم هنا إلى الموت ويوم القيامة بمقولات اشارية دالة على البعد؛ لِما فيها من دلالة على تهويل شأن المشار وتعظيمه[٢]، لاسيَّما أنّ السياق يوحي بأنّ المتكلم في مقام وعظٍ وإرشاد أراد من خلاله تهذيب تلك النفوس وردعها عن المعاصي بتذكيرها بأهوال الموت وعظمة يوم القيامة، فاستعمل هذه الكيانات الإشارية بما يتناسب وقصديته التي أرادها.

وتتحدد دلالة الإشارة بالاستعمال ولا تخضع لمعيار نحوي صارم يحدد نوع استعمالها[٣]، فما يشار به إلى القريب أو البعيد يمكن أن يشار به إلى المتكلم، ونجد مصداق ذلك في قوله في المقامة الرومية: **((فإذا نَزَلَتْ بِي كُرْبَةٌ سَئِمها القَلْبُ ومَلَّهَا، قلتُ: إنَّ الذي عَقَد عُقْدةَ المَكَارِهِ يُحْسِنُ حَلَّهَا، ولَعَلّها أنْ تَنْجَلِي بِهُبوبِ رِيَاحِ إقبالِهِ ولعلّها ..... وها أنا ذا أَحْمَدُ في صَبَاحِ الظَّفر السُّرَى، وأُنبِّه حَظِّي من رَقْدَةِ الخُمُولِ لأَسِنَّةِ الكَرَى))[٤].**

فقوله (هأنذا) تعبير استعمله المتكلم يفصح به عن ذاته مستعملًا اسم الإشارة (ذا) الذي عادةً ما يشير به المتكلم إلى مشار إليه قريب، لكنّه أشار به هنا إلى نفسه ، وهو ما أفصح عنه سياق الاستعمال بما تقدمه من قوله :(أنا) ، فاستبدلت القيمة الدلالية للعبارة وفقًا لمتغيرات السياق[٥]،فالمتكلم في موضع إخبار عن صبره على المكاره وعدم جزعه من الملمات وهذه الحقيقة ربّما كانت مخفية على المخاطَب فأراد لفت انتباهه إليها ، وتنبيهه عليها باستعمال (ها التنبيه)[٦]، ثم الضمير الدال على ذاتيته بأنّه من الساعين للظّفر بالغايات والأهداف بصبرٍ وعزيمة لا بتوانٍ وخمول، ومجيء (ها التنبيه) مع اجتماع عنصرين من عناصر الإشاريات الشخصية أكسب النص قوة انجازية اكبر وتأثيرًا أقوى في تحقيق مقصدية المتكلم في بث الطموح والصبر في نفس المتلقي.

ثالثًا:إشارية النداء:

يُعد النداء من المشيرات المقامية؛ لأنّه وسيلة يتم بها تعيين طرف من أطراف التخاطب هو المخاطب[٧]، المخاطب[٧]، وحضوره داخل عملية التلفظ التواصلي[١]، وتتمثل وظيفته التداولية في عَطف المخاطَب

([١]) ينظر:لسان العرب، ١٩٠/٦، (كأس) .

([٢]) ينظر:معاني النحو، ٨٣/١.

([٣]) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية،٢٧٨.

([٤]) ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ،شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) ، ٣٥٤/٢.

([٥]) ينظر:التداوليات علم استعمال اللغة ٤٤٢

([٦])ينظر: شرح المفصل ،٤٥/٥،ومعاني النحو ،٩٠/١ .

([٧]) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٢٤٧.

على المتكلم، ليعلن له تعيينه واختصاصه من بين أمته بتوجيه الكلام إليه، وهذا ما أوضحه سيبويه بقوله: ((أول الكلام ابداً النداء إلّا أن تدعه استغناءً بإقبال المخاطَب عليك،فهو أولّ كلَّ كلام لك به تعطفُ المُكّلم عليك))[٢]، وتخصصه من بين الذوات التي يمكن مخاطبتهم، فالنداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه[٣] ، ويتخذ المتكلم من النداء خطوة أولى عند إرادة البدء بأجراء الخطاب، وقد يستعمل المتكلم الألقاب والكنى والأوصاف إذا ما أدتْ الغرض نفسه[٤].

والنداء بوصفه مشيرًا مقاميًا يعمل على تحقيق أمرين: تعيين المخاطَب ، وتعيين المتكلم، فالمتلفظ بالنداء يعيّن نفسه متكلمًا، ويعيّن المنادى مخاطبًا ،وذلك بتصريحه بتوجيه الخطاب إليه[٥]، وجعله معنيًا به دون غيره[٦].

وينبني هذا الأسلوب على ركنين :أدوات النداء التي حددها النحاة عددًا واستعمالًا، ويراعى في استعمالها القرب والبعد الحقيقي أو المجازي ؛ مما يسمح لها في المناوبة فيما بينها في التخاطب[٧]، وتُكون مع الركن الثاني (المنادى) مركبًا لفظيًا بمنزلة أسماء الأصوات يستعمله المنادي لإبلاغ المنادى حاجة ما أو دعوته لشيء ما [٨] ، فللنداء وظيفة إبلاغية بعد تنبيه المتكلم للمنادى بالإنصات إليه أو الإقبال عليه؛ ليضمن نجاح التواصل.

ومن ورود النداء كمشير شخصي ما جاء في قول المتكلم خاطبًا في قومٍ من عشائر اليمن قائلًا: **((يا عَشَائرِ اليَمَن،وبَشَائرِ الزَّمَن،فإنّكُمْ جُرْثُومةُ العَرْبِ وأرُومةُ النسَّب، وأُسدُ الدِّحال، ومَحَط الرّحال، ومَعدِنُ العربيّةِ والكِتابة، والشِّعر والخِطَابة))[٩].**

فالمتكلم يبتدىء كلامه بالنداء الذي وسمه بالأداة (يا) تنبيهًا للمنادى (المخاطَب) ، وقد ناسب استعمالها مقام الخطاب الذي أنجزت فيه الخُطبة، فهو في مقام خطاب بمجتمع من القوم كُثر وحشودٍ من الناس

([١]) ينظر:سيموطيقيا التلفظ، ٦١.

([٢]) كتاب سيبويه ،٢٠٨/٢.

([٣]) ينظر: آفاق جديدة ،١٩.

([٤]) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن ،٢٣١.

([٥]) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية ،٢٤٨.

([٦]) ينظر: الإنشاء في العربية، ١٦٣.

([٧]) ينظر: مغني اللبيب، ٤٤٤٧، وشرح الرضي على الكافية ،٤١٣/١.

([٨]) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه،د.مهدي المخزومي ، ٣٢٦-٣٢٧.

([٩]) مجمع البحرين، المقامة العدنية ٢١٦-٢١٧، وجرثومة العرب:أصلهم ،ينظر:لسان العرب٩٥/١٢(جرثم) ، وأرومة النسب ، الأرومة :أصل الشجرة يُكنى بها عن شجرة النسب التي يصنعونها في كتب الأنساب،ينظر:لسان العرب١٤/١٢(أرم)،وهامش مجمع البحرين ٢١٦ ، والدِّحال:جمع دحل وهو كهف ضيق في اسفل الأودية، ينظر:لسان العرب ٢٣٧/١(دحل)،و هامش مجمع البحرين ٢١٦.

كبيرة لا يكون إقبالهم عليه ولفت انتباههم له إلاّ بالاجتهاد، فكان الأنسب مقاميًا استعمال هذه الأداة [١]؛ لأجل الإصغاء إليه والانتباه له ؛ لما لها من مد صوتي يساعد على جذب مخاطبيه واستمالتهم إليه، وقد عمل النداء على تحديد هؤلاء المخاطبين والإشارة إليهم[٢]، وتخصيصهم بالمدح والثناء الموجه إليهم وحدهم بذكر صفاتهم مستعملًا صفة معينة لمناداتهم هي (عشائر اليمن).

ومن إشارية النداء قوله في هذه المقامة:**((يا أَبا عُبادة إنّي قد أَزْمَعْتُ السَّفَر، ولا أدري هلْ يَجْمَعُ بيننا القَدَر، فَخُذْ عَنِي ما أُلقِيه إليكَ واللهّ خَلِيفتِي عَليك، قُلتُ: أَطْرِف بما عِندكَ لا ذُقْتُ فَقدْك، ولا حييتُ بَعْدَك))**[٣].

أراد المتكلم أنْ يقيم حوارًا مع مخاطَبه كاشفًا له عن نيته في السفر، مطرفًا إياه بنصائح عدة ، ومما يشير إليه فضاء النص أنّ المخاطَب كان منفردًا مع المتكلم لم يكن معه آخرون ، ولو استغنى المتكلم عن إشارية النداء لَعَلِم المخاطَب أنّه هو المقصود بالكلام ، لكنّه ناداه بكنيته لِما له من مكانة عاطفية في نفسه، فكأنّه ضَربٌ من التودد والتلطف وتقليل المسافة بينهما[٤]،والنداء بالكنية فيه تحفيزٌ للمخاطَب؛ليطلب إقباله عليه بقلبه وعقله فيتحقق بذلك التأثير فيه باستيلائه على انتباهه[٥].

ومن إشارية النداء ما ورد في مقامة الخفاجي، التي يبدؤها بالرحلة فتطرحه النوى عند ملكٍ بخيلٍ في كورة خراسان يسير على مذهب سهل بن هارون في البخل ، فيأمر له بقليلٍ من الطعام لم ينلْ منه سوى ذلك؛ وحتى يسد باب الرجاء في وجهه يخاطبه قائلًا:**((يا هذا ، صِناعَتُنَا واحدة ، لو لَمْ تَدرُج من عُشّكَ كَانَتْ الرَاحةُ فائِدة))** [٦].

يتوسل المتكلم النداء مبتدئًا خطابه به ، ويريد بذلك تحديد المخاطب وتعيينه بندائه باسم الإشارة (هذا)، وقد صيّر هذا النداء اسم الإشارة مخاطبًا؛ لأنهّ من دون النداء يكون منبهًا على وجود المشار إليه لكن مع النداء صار منبهًا على مخاطبة المشار إليه[٧] ، والغرض من إجراء عملية النداء باسم الإشارة- وهو وهو نداء المبهم[٨]- دون غيره من الكلمات التي بإمكانها أنْ تُحيل على المرجع المقصود مثل:رجل، شيخ، ...أو أن يناديه باسمه فلان-، الذي تضافر مع حذف المسمى؛ ليبرز المتكلم للمخاطَب النظرة

---

(١) ينظر:كتاب سيبويه، ٢/٢٣٠ ، و معاني النحو، ٤/٢٧٥.

(٢) ينظر: آفاق جديدة ،١٩.

(٣) مجمع البحرين ، المقامة السروجية، ١٣٧ .

(٤) ينظر: النداء في اللغة والقرآن،د.احمد محمد فارس، ١٦٠.

(٥) ينظر: كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ،١٠١.

(٦) ريحانة الألبا ، المقامة الساسانية ،٢/٣٨٩.

(٧) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن ،٣٤٦.

(٨) ينظر: النداء في اللغة والقرآن ١٠٧.

الدونية التي ينظر إليه من خلالها[١]، وإنّه لا يهتم لأمره؛ كي يقطع أواصر الود أو المحبة فَيَيْأس منه الطرف المقابل ، فلا يطمع أن ينزل ضيفًا لديه، وليخرج من عنده كما دخل ، ففي كلامه تلميحٌ مفاده :أنّه لا يحتمل وجود الأضياف ، ولا يشعر بالحياء إذا انتهك آداب الضيافة.

وهناك نوع آخر من النداء وهو ما يسمى النداء الانفعالي، إذ يصوت المتكلم بأحد حروف النداء متبوعًا بحرف أو فعل ليعبر عن شعورٍ ما ألم به كالفرح ، أو التحسر، أو الحزن، أو التعجب، ويلجأ إليه المتكلم عندما تصل حالته النفسية إلى ذروة الانفعال أو المبالغة في وصف المشاعر، فيؤدي دال النداء في مثل هذا النوع وظيفة الإشارة إلى أمر معنوي[٢]، ومما قاربناه من هذا النوع قوله في هذه المقامة شعرًا[٣]:

يا لَيْتَنِي قَبْلُ مُتُّ جُوْعًا ولم أُؤمَل نَدَى لَئِيْمِ

فالمَوْتُ في نِعْمَةٍ وعِزٍّ خَيْرٌ مِن الذلِّ للكَرِيمِ

أضفت وظيفة النداء هناعلى الخطاب إشارية لما يعتمل نفس المتكلم من مشاعر وانفعالات متأججة، فهو يتمنى لو أنّه مات قبل أنْ يريق ماء وجهه ببذل سؤله و حاجته للئيم آملًا عطاءً منه أو كرمًا، هذا الانفعال الذي ملأ عليه نفسه فحمله على التصويت بما يدل على وجوده في دواخله، متوسلًا بالدال اللساني (يا) المقترن بـ (ليت)، فلو اكتفى بقوله: (ليت) من دون أداة النداء لن يكون له تلك الشدة في الانفعال والتألم والإحساس به لحظة التلفظ بالقول التي يوحي بها استعماله لأداة النداء،فكأنه يقول :أتمنى بشدة ، مختزلًا من خلال النداء ما في نفسه من مكبوتات ما كانت لتظهر بهذه القوة لولا النداء، فوظيفة النداء اشارية لكنها تشير إلى ما في نفس المتكلم من مشاعر مثلما يشير النداء للمخاطب في الراهن التواجهي، فكان عمل النداء هنا تعيين احد المشاعر الموجودة في نفس مستعمله[٤].

ونجد النداء الانفعالي أيضاً في قوله[٥]:

يا لَيْلُ قَدْ طُلْتَ فَهَلْ مَاتَ السَّحر أَم استحالَتْ شَمْسه إلى القَمَر

ينادي المتكلماالليل ذلك الكاتم على صدره طالبًا انجلاءه بعدما خالجه شعورٌ بالضعف والعجز ، منتخبًا لندائه أداة نداءٍ ذات مد صوتي؛ ليدل على طول الليل وثقله عليه ، ولأنّ الليل ليس مما يعقل حتى ينادى؛ فإنّ النداء جاء هنا حاملاً لقصدٍ تأسس عليه ملفوظه هو التعبير عمّا يعانيه من همومٍ وكأنّه لفرط ما يجد

---

(١) ينظر: النداء في اللغة العربية ،٢٩٩.

(٢) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن ،٢٣٩.

(٣) الآثار الفكرية، مقامة حسن الوفاء،٣٠٦

(٤) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن، ٢٤٠، وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، ٤٢

(٥) مجمع البحرين، المقامة التغلبية،٧٣.

من الوجد والأسى قد توهم أن المنادى يشعر به ويشاركه همومه وآلامه ويستجيب لندائه[1]،فهو أراد أن يبرز ويصور للمخاطَب أنّه ضجرٌ من طول هذا الليل ويتمنى زواله بضياء السّحر جاعلاً النداء مطيته لنقل هذا القصد، وبذلك فقد شكل النداء هنا إشارية عبّر فيها المتكلم عمّا يجول في ذاتيته، وعن آلامه وأحزانه التي تنبعث من هذا النداء، ويكون المشار إليه في هذا النداء متحدثًا عنه لا مخاطبًا[2].

(1)ينظر:علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني،بسيوني عبد الفتاح فيود، ٤١٨ .

(2) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٢٣٩ ، وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ٤٢.

المبحث الثاني

الاشاريات السياقية

أولًا: الاشاريات الزمانية:

هي تلك التعابير التي((تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمن التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة —deictic center- الزمانية في الكلام ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة التبس الأمر على السامع أو القارىء))[١]، إذ إنّ موضعة الحدث في مدار الزمان يكون بالنسبة للحظة زمنية معينة[٢]، هي زمان التلفظ الذي يؤخذ بوصفه نقطة مرجعية يُعتمد عليها في تعيين دلالة الزمن إنْ كان دالًا على حدث قد وقع ماضيًا ، أو حدث يُنتظر وقوعه مستقبلًا[٣]، فخطاب من مثل (سأعود بعد ساعة))((لا يستطيع المرسَل إليه أن يتنبأ بالوقت الذي سيعود فيه المرسِل ، وبغض النظر عن تحقق الوعد فإنّه يلزم معرفة لحظة التلفظ كي يبني توقعه عليها ، فقد يكون التلفظ حادثًا قبل عشر دقائق أو نصف ساعة أو ساعة إلّا كذا ، ويبقى الأمر عندها مجرد تخمينات ، فالعبارة لا تقدم مرجعًا زمانيًا يمكن أن يسهم في تحديد زمن العودة))[٤]، ومن ثمَّ يصبح لزامًا على متلقي الخطاب من أجل تحديد مرجعية الإشارية الزمانية وتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا إدراك لحظة التلفظ بالخطاب ليتخذها مرجعًا يحيل عليه[٥]، وقد عبر عنها سيرفوني بـ ((زمن الملفوظية ، أيّ الزمن الذي يتحدد فيه الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ ويمكن الإشارة إليه داخل الملفوظ نفسه)) [٦].

وعليه فالإشاريات الزمانية من العلامات اللغوية المبهمة، فلا يتضح معناها إلّا بالقياس إلى زمان التلفظ أو (مركز الإشارة الزمانية) [٧]، ولأنّ الزمان ينمازمن غيره بكونه يخضع للقياس، فهو مقسم، والتقسيم يسمح بالرجوع بالتسلسل الزمني إلى (القبل) ، و(البعد) ، فإذا كان الوجود يسبق الزمن فـالعلاقة قبلية، وإن كان الوجود يلي الزمن فالعلاقة بعدية ، أمّا إذا كان الوجود موافقًا للزمن فيمكن الحديث هنا عن علاقة تزامنية، ويعبر عن هذه الحالات بالأزمنة الثلاثة[٨]، وبما أنّ انتظام الزمان قائم على الحدث

([١]) آفاق جديدة ،١٩ .

([٢]) ينظر:فعل القول من الذاتية في اللغة، ٦٩.

([٣]) ينظر: التداولية اصولها واتجاهاتها، ٨٠.

([٤]) استراتيجيات الخطاب، ٨٣-٨٤.

([٥]) ينظر:نفسه، ٨٣.

([٦]) الملفوظية ، ٣-٣٦.

([٧]) ينظر: ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين، ٤٥٥.

([٨]) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،١٢٠.

وترتيب الأحداث ، فإنّ هذا الترتيب يقتضي نقطة بداية تُعتمد في الحساب؛ لذا اقتضى أن تكون النقطة الأساسية المرجعية في تحديدها لحظة انتاج الكلام[١]((فزمن حدث التلفظ وهو الحاضر اللغوي يُولد اعتماداً على مفهوم الاتجاه زمانين:ما انقطع عن زمان الحاضر وصار ذاكريًا وهو الماضي، وما لم يتحول بعد إلى حاضر بل هو منتظر وقوعه مطلوب إقباله وهو المستقبل ، وقد اصطلح اللسانيون على تمثيل هذه النقطة المرجعية بـ(ز0)، فتنتج الدلالة الزمانية إذن بمقارنة الحدث المخبر عنه بحدث التلفظ من حيث الأسبقية أو اللاحقية أو التزامن)) [٢]، وعليه فيمكن تقسيم هذه الوحدات المعبرة عن الزمان بالنظر إلى ارتباطها بآن التلفظ إلى :

١- مشيرات الحدث التخاطبي الدالة على القبلية:

وتدل هذه المشيرات على زمن انقضى وفات[٣].مثل (أمس ، وقبل الأمس، والأسبوع الماضي، وقبل ساعات...)، ويعبر الكيان الزمني (أمس) عن اليوم الذي هو قبل اليوم الذي أنت فيه[٤]، أيّ اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ على اعتبار أنّ دلالته يحددها زمن إنتاج التلفظ[٥]، وقد ميّز النظام اللغوي بين (أمس) المبنية و(أمس) المعرفة بـ(ال) ، فجعل دلالة (أمس) المبنية لليوم الذي قبل اليوم الذي أنت فيه، أمّا المعرفة بـ(ال) التعريف فيؤتى بها للدلالة على الماضي المطلق[٦].

ومن تمثلات هذا المشير مستعملًا في سياق نظامه اللغوي دالة على اليوم السابق، قوله في هذه المقامة:**((لَمَّا فَرَغَ من ارْتِجَازه دَعا بالطَعَام وقَطَعَ الكَلَام فَجَلَسْنا نتناولُ ما حَضَرَ، ثم قُمْنا نَتَذَاكَرُ السَمَر، في ظِلّ القَمَرِ، إلى أنْ تَهَافَتَ الليلُ، ومَال عليَّ الكَرَى كُلَّ المَيْل، فأوغَلْتُ في النَّوم حتى حَدْتنْي قَارِصَةُ الشَّمس وإذا الشَيْخ قَدْ ارْتَحَلَ فَسَاءنِي اليوم أكثَر مما سَرْنِي أمْسِ))**[٧].

بعد أن يلتقي سهيل بالخزامي في واحدة من مقامات اليازجي ، يقوم الأخير بأطرافه وكعادته بما يلاقي استحسانًا عنده، بصوغه خطابات ترضي ذائقته الفنية، فيسر به متأثرًا بعذوبة كلماته، لكن دلالات هذا السرور والرضا سرعان ما تنقلب إلى نقيضها وتتغير، وتغير هذه الدلالات كان رهنًا باختفاء الخزامي في اليوم التالي، وعبّر المتكلم عن هذا السرور ونقيضه باستعمال عنصرين إشاريين زمانيين (اليوم)،

---

(١) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٣٤١.

(٢) نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: لسانيات التلفظ، ١١٨.

(٤) ينظر: شرح المفصل، ١٠٦/٤.

(٥) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها،٨٠.

(٦) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك،أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، ٩٥/١، ومعاني النحو ١٨٠/٢، والمشيرات المقامية في اللغة العربية، ٤١٠.

(٧) مجمع البحرين، المقامة الحجازية، ١٩.

و(أمس) مقرنًا كل عنصر بدلالة مختلفة، فاقترنت دلالة (أمس) بالسرور والرضا، وناقضتها دلالة (اليوم) التي اقترنت بالإساءة والضرر، أمّا المرجعية الاشارية الزمانية فقد حددتها لحظة التلفظ بالخطاب ، فقوله:(أمس) يراد به هنا أمس التكلم، وجيء بها مبنية؛لأنها مرتبطة بآن التكلم قربًا[١]، فالمتكلم يخبر عن حالة الأُنس والمودة التي قضاها مع رفيقه في اليوم الذي سبق التكلم وليس أكثر من ذلك اليوم ؛ لذا فإنّ (أمس) هنا أصبحت ذات طبيعة مزدوجة بحيث أحالت على مرجعها الزماني (اليوم الذي سبق يوم التلفظ) وتعدته أيضا إلى الإحالة إلى حالة المتكلم السابقة.

ومن دلالة (أمس) المعرفة على الإطلاق الزمني ما جاء في قوله في هذه المقامة شعرًا[٢]:

ألانَ لي الدَهْرُ بَأسًا شَدِيدًا فكانَ كنَارٍ أَلانَتْ حَدِيدا
وأَظمأَني كلَّ ظِمأٍ فلمّا وَرِدْتُ سَقَاني مَاءً صَدِيدا
أحَالَ فطالَ وصَالَ فهالَ وجَالَ فمَالَ وغَالَ العَدِيدا
وغَادَرَني بَعْدَ بذْلِ الصّلاتِ لقصدِ الجَوَائز أُنشي القَصِيدا
فَرِيدًا وحِيدًا طَرِيدًا شَرِيدًا فَقِيدًا عَمِيدًا بَعِيدًا حَرِيدًا
وأَنسانيَ الأمسَ حتى كأَنّي خُلقْتُ به اليَوْمَ خَلقًا جَدِيدا

فقوله (أنساني الأمس..) يضمُ مبهمًا قبليًا (أمس)، ومبهمًا تزامنيًا (اليوم) وهذه المبهمات اتخذت بعدًا زمنيًا مختلفًا عن دلالتها الحقيقية بلحاظ السياق الذي يختص به النص، فالمتكلم يبث شكواه من الدهر الذي غيّر حاله وصيّره من حال السعة والسرور في الماضي إلى حال الفقر والوحدة في زمنه الحاضر، فلم يعد مفهوم (أمس) مرادًا به اليوم الذي هو قبل اليوم الحاضر، ولا (اليوم) مقصودًا به الوقت المحدد بعدد من الساعات بل أصبح الزمان المنطوي تحت لواء هذين الظرفين زمانًاأوسع يشمل الماضي جميعه،والحاضر كلّه، ومن ثم قصد المتكلم في خطابه اختزال الحياة التي عاشها في زمانين متناقضين، زمن السعة وفسحة العيش ماضيًا،وزمن العوز وضيق العيش حاضرًا إشارةً منه إلى تقلبات الدهر وصروفه.

ومن الاشاريات الزمنية الظرف (حين) وهو ((وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلّها طالت أم قصرت)) [٣]، فهو يدل على زمانٍ غير مقدر ولا حدَّ له يحصره[٤]، لكنّه ورد معبرًا عن اشارية زمانية زمانية ماضوية محددة بلحاظ السياق الوارد فيه ، وذلك في قول ذلك الفتى في هذه المقامة معاتبًا صديقًا خاب فيه رجاؤه قائلًا: **((تَعْلَمُ أنّي ما جِئتُ لسَلامٍ ولا كَلام ، ولا قَصَدْتُكَ الآن لرَغْبَةٍ في مَلام، ولَكن**

---

(١) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٤١٠-٤١٣، والمشيرات المقامية في القرآن، ٥١١.

(٢) مجمع البحرين، المقامة الرشيدية ،١٩٧.

(٣) لسان العرب ١٣٣/١٣، (حين).

(٤) ينظر: معاني النحو، ١٦٤/٢

لِأُذَكِّرَكَ بِسوءِ صَنيعِكَ معي، حِيْنَ خَابَ فِيْكَ رَجَائي وَمَطْمَعي ، حَيْثُ قُلْتَ ما قُلْتَ ، وفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ التي فَعَلتَ))[1].

فالملفوظ الذي أُضيف له الظرف (حين) حدد الزمن، وهو وقت معين يتعلق بحادثة حصلت للمتكلم مشيرًا به إلى ذلك الوقت الذي ضربه فيه الدهر بأنياب حوادثه مما ألجأه إلى ذلك الصديق طالبًا عونه فخاب فيه سعيه ، فـالاشارية الزمنية (حين) تشير إلى لحظة قصيرة انقلبت فيها الأمور على المتكلم بين وقت رجائه بذلك الصديق وبين خيبة ذلك الرجاء، فحُددت إشارية (حين) هنا بالزمن الماضي ، وهذا التحديد موكول للسياق الذي وردت فيه الإشارة الزمنية[2] ،ويبدو أنّ مؤلف المقامة أراد هنا الإشارة إلى ذلك الواقع الأخلاقي والاجتماعي المرير الذي كان يعيشه في تلك الحقبة .

٢- مشيرات الحدث التخاطبي الدالة على التزامن:

وهي تتعلق بلحظة التلفظ وتقترن دلالتها بالحاضر أيّ وقت نطق المتكلم بالقول[3]، وهو الزمان الذي يعكس عمل التلفظ بوصفه زمان وقوعه وبه يتحدد زمان الماضي والمستقبل[4]،فهو منبع الأزمنة[5].

ويُعد الظرف (الآن) من التعابير التأشيرية الدالة على الحاضر الذي يقع فيه كلام المتكلم ويُعد أيضًا حدًا فاصلًا بين زمانين: زمن مضى وزمن آتٍ[6]، وقد ورد هذا المشير الزمني دالًا على آنية التلفظ وذلك في خطاب الأمّ مع ابنها في هذه المقامة قائلةً: **((قُمْ فبِعْ لنا الآن هذه الأثواب وانتَظِرْ اللُطفَ مِن مُسَبِبِ الأَسْبَاب))**[7].

جاء العنصر التأشيري الزمني (الآن) مشيرًا إلى آن الخطاب محددًا بلحظة التلفظ ، فقول الأمّ: (بعْ الآن هذه الأثواب) كان توجيهًا آنيًا للابن لأجل البيع والانتفاع بالثمن، ومن ثَمَّ إحداث حالة من التغيير والانتقال من حالة يشوبها الضيق والعوز والجزع إلى أخرى قد تكون أفضل نوعًا ما ولمّا كان تحقق هذا التوجيه مرهونًا باستجابة المخاطَب له في المستقبل ؛ لذا قيّدت السياق بقولها :(الآن) لئلا ينصرف

---

(1) الآثار الفكرية ، مقامة في حسن الوفاء، ٣٠٨.

(2) ينظر:آفاق جديدة، ٢٠.

(3) ينظر: التداولية، جورج يول، ٣٤.

(4) يُنظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٣٥٦.

(5) ينظر: لسانيات التلفظ ،١١٨.

(6) شرح المفصل، ١٠٣/٤.

(7) الآثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء، ٣٠٧.

المعنى إلى المستقبل، فكأن الإشارة تؤكد نقطة انطلاق التغير ولحظة إعلان مفارقة الماضي والخروج عنه[١].

ومن تجليات (الآن) التي تمثل آن التكلم فقط ،قوله في هذه المقامة: **((ولَمَّا فَرَغَ الشيخ من الإنشاد،رقّ له القاضي حتى اسْتَهَلّ دَمْعُهُ أو كاد، وقال: أيُّها الشيخُ لا عَجَبَ، إذا أَدْرَكْتَ حِرفةُ الأدَبِ، فاعْتَثِمْ الآن بهذهِ الدُرَيهِمَات على أَمْرِ نفَسِكَ وانْفِقْ مما رَزَقَكَ اللهُ حَلالاً طَيباً، واتّقِ الله في أَمْرِ عُرْسِكَ، فأَخَذَ نِحْلَةَ القاضي وأثْنَى عليه بما اسْتَحَقَ، وقال: مِثْلُكَ مَنْ قَضَى الحَقَّ، وقَضَى بالحَقِّ))[٢].**

يشكو المتكلم في هذا الخطاب للقاضي جور دهره وعسر حاله منشدًا ذلك في أبيات؛ليؤثر بخطابه الاستعطافي في نفس المخاطَب الذي قام بعد سماع شكواه بمنحه العطاء ليستعين به على فقره وأمر دنياه قائلاً: (فاعتثِمْ الآن بهذه الدريهمات) محيلًا بالعنصر الاشاري الزمني (الآن) إلى الوقت الذي بذل فيه العطاء للمخاطَب، وهي تحمل دلالة الحاضر محددًا بلحظة القول التي تطابق فيها زمن التلفظ مع زمن الحدث،وهي تمثل الزمن الموضوعي الذي يخضع للتحديد والمقايسة[٣]، أيّ:خذ في هذه اللحظة ، فمثلت فمثلت (الآن) هنا ((نقطة مفصلية تنتمي إلى آن التكلم وتتجرد عمّا قبله أو بعده من الأزمنة))[٤]، فقد عبرت عن حاضرٍ متلاشٍ ما يلبث أن ينتهي ، وليس له امتداد في الماضي أو المستقبل بل هو منقطع عنهما محدد بلحظة التكلم عندما منح المتكلم العطاء للمخاطَب .

وقد يتسع مدى العنصر الإشاري (الآن) فيتعدى الزمن الحاضر إلى زمن أوسع من دلالته الحرفية التي تعني لحظة التلفظ ،ومثل ذلك قوله: **((أمّا بَعْدُ يا مَعَاشِرَ جُلْهُمَة، فإنَّكمْ أربَاب الخَيْل المُطَهَّمَة، والبرود المُسهَّمَة، ولكم الكَتِيبَةُ السمراءُ،والرايَّةُ الصفراءُ،ومِنْكُمْ حَبِيب وحاتَم وثُعَل الذين يُرسَل بهم المثَل،وانيّ شيخٌ قد طعَنتُ في سِنِي، حتى وهَنَ العَظْمُ مني، وقد قَطَعْتُ الفدافد والمهامِه، .... وأَحْصَيْتُ لُغات العَرَب، واسْتَطْلَعْتُ ما اغَربَ منها وما غَربَ فكنتُ مِن أصْحَابِ الدولةِ، وأرْبَابِ الصّولة وكان يُثنى إليَّ العِنان، ويُشَارُ نَحْوِي بالبَنَان أمّا الآن وقد فُقِد مَنْ يَعْرِفُ مساوىء الشّعر من مَحَاسِنِه، ويفرقُ بين مَنْ يَرْمِي الكَلام على عَوَاهنِه،ومَنْ يستَنبت الرِّكاز مِن معَادنِهِ،فَقَد ولَّت المرْتبة،وحَلّت المَتْرَبة))[٥].**

---

(١) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٤٨٥.

(٢)مجمع البحرين،المقامة الموصلية ١٤٥، وقوله :(اعتثم) معناه :استعن ، ينظر:لسان العرب٣٨٥/١٢(عثم)، ومعنى نِحلة:العطية ، ينظر:لسان العرب ٦٥٠/١١(نحل).

(٣) ينظر :لسانيات الخطاب ، ١٦٦

(٤) الأبعاد التداولية في تفسير التبيان للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) "أطروحة دكتوراه" ،أحمد شنيشل مساعد ، ٥١.

(٥) مجمع البحرين، المقامة الطائية،٢١٠،المطهّمة:من الناس والخيل الحسن التام الخلقة، ينظر:لسان العرب٣٧٢/١٢(طهم)، والبرود المسهّمة:الثياب المخططة وهي من نسج اليمن ، ينظر :هامش مجمع البحرين ٢١٠،

فلم تعد (الآن) في قوله: (الآن وقد فقد من يعرف مساوىء الشعر من محاسنه) تحيل على لحظة التلفظ بالخطاب فقط بل جاءت لتمثل عصرًا كاملًا ؛ لأنّ السياق يفرض ذلك، فالمتكلم أراد أن يثبت أنّ في زمانه قد فُقد من له الدراية في الشعر ومن يُحسن في معرفة معانيه ويبدع في تمحيص قبيحه من سيئه حتى لم يبقَ للشاعر المجيد من قدرٍ بين أهل زمانه، فتجاوزت(الآن) بذلك لحظة التكلم لتشير هنا على عصر المتكلم أو زمانهِ ،ليتسع مداها شاملاً فضاءً زمانياً أرحب وأوسع من الزمن المحدد له عرفًا[١]مشيرًا إلى الزمن الحاضر كله الذي يقابل الزمن الماضي حاملًا دلالة المقارنة بين زمان المتكلم أو عصره وبين ما مضى من سابقه.

ومن الاشاريات الزمنية الدالة على آنية التلفظ الظرف (اليوم)، وهو من التعابير التأشيرية التي تشير إلى زمن مقترن بزمن إجراء الحدث التخاطبي وإحالته على ما هو حاضر لحظة التلفظ[٢]. ومما جاء فيه (اليوم) كيانًا معبرًا عن انية التلفظ قوله في هذه المقامة:**((قال سهيل بن عباد: شَخَصْتُ في نَفرٍ من أهْلِ العالية، إلى أَطْرَافِ تِلْكَ البَادِية، فَسِرْنا لا نألُوا جُهْدًا، ولا نَعْلو مَهْدًا، حتى تَبَطَّنَّا مَفَازَة قَدْ ضَرَبت أَساهيجَها الرِيْح... وبينما نَحْنُ كذلك إذا فُرْسَانٌ قَدْ أشْرَعُوا العَوَامل، ونَادُوا يَالتَغلِبِ ابْنَة وَائِل، فما كان إلاّ كَرَجْع النفَس، أو لَمْعِ القَبَسْ، حتى أَحَاطُوا بنا إحَاطة الأَسْوِرَة بالمَعَاصِم، وقالوا: لا مانعَ لكم اليومَ من أمْرِ الله ولا عَاصم))**[٣].

يطالعنا الدال الإشاري (اليوم) في سياق كلام محكي على لسان سهيل بن عبّاد ساقه؛ ليصور فيه هجوم جماعة من فرسان تغلب وإحاطتهم به ورفقته وسوقهم أُسارى، وجاء الظرف (اليوم) في قول الفرسان المحكي على لسان سهيل: (لا مانعَ لكم اليوم) عاكسًا للحظة التلفظ، ومرجعه زمن المتكلم مع المتلقي ، والمراد منه الإحالة إلى يوم بعينه الذي يتكون من عدد من الساعات[٤]، فهو يشير إلى الحاضر التخاطبي أو زمن إجراء التلفظ الأصلي لا الزمن الحكائي، أيّ: لا مانع لكم في ذلك اليوم الذي جرى فيه الخطاب،وهذه الإشارية اكتسبها من توظيفه الاستعمالي الذي أحال هنا- ووفقاً للسياق- على حدث التلفظ المباشر الحاصل من القوم إلى سهيل ورفقته في يوم التكلم، وكانت غاية هذه الإحالة إعلان الإحاطة بهم وسوقهم أسارى وحبسهم في يوم الخطاب المنقول بالحكاية عنه.

الفدافد:الأراضي المرتفعة ، ينظر:لسان العرب،٣/٣٣٠(فدد)، المهامه:المفاوز البعيدة ، ينظر:لسان العرب ،١٣/٥٤٢ (مهه).

(١)ينظر: آفاق جديدة ،٢٠.

(٢) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٤٥٢-٤٥٣.

(٣) مجمع البحرين، المقامة التغلبية، ٧٢.

(٤) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٤٩٨.

وقد يأتي العنصر الإشاري المتمثل بظرف الزمان (اليوم) مكتسبًا قيمة تداولية تتجلى في دلالته دلالة خاصة مشيرًا به إلى حكاية يوم بعينه محدد، ولكن لا يتطابق زمن التلفظ مع زمن الحدث ومصداق ذلك قوله شعرًا[1]:

ولا خيرَ في رَدِّ الرَدَى بِمَسَاءَةٍ كمَا رَدَّها يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو

فأشارية الظرف الزماني (يومًا) دالة على يوم من الأيام التاريخية المعلومة،ويمكن للمتلقي الاستدلال على المقصود من خلال المعرفة المشتركة، التي مبعثها المرجعية التاريخية والثقافية المشتركة بين المتخاطبين لأجل إضاءة مجاهيل مرجعية هذا العنصر الإشاري ورفع الغموض عنه، فكأن المتكلم يريد الإشارة إلى ذلك اليوم المعهود والمعروف عند المسلمين جميعًا وهو يوم وقعة صفين حين ردَّ عمرو بن العاص المكروه الذي كاد يصيبه عند مبارزته مع الإمام علي(ع) بالمهانة بإظهار سوءته،هذه الحادثة التي سارت بها الأمثال بعد ذلك وأصبحت من الأقوال الشائعة عن كل من يرد المكروه بالذلّة والمهانة[2]، لكنّه لم يذكره بسنة معينة أو تاريخ معين أو اسم؛ لأنّه كان مهتمًا بتحديد الحادثة وربطها بمركزها الزماني بغض النظر عن مدى مقاربة ذلك الوقت ، فلفظة (يومًا) مبهمة غير معروفة لكنهّا إشارة زمانية تسير في منحى تاريخي اتضحت دلالتها اتكاءً على السياق المعرفي المتداول بين الباث والمتلقي، فصار وعلى هدىً من ذلك يشيرإلى واقعة تاريخية في وقت محدد ومعلوم، وهذا الارتباط التاريخي قد حدد دلالة هذا العنصر الإشاري الزماني على المضي، ؛ ذلك أنّ زمن الإشارة هنا بعيد عن زمن التلفظ بالحدث؛لأنَّ الحدث المعبر عنه إنّما هو في الأصل ماضٍ.

وقد ترتبط مرجعية العنصر الإشاري الدال على التزامن (اليوم) بالمستقبل ، وتتأتى هذه الدلالة من تعالقه مع باقي الوحدات المشكلة للخطاب التي تبرز دلالته المستقبلية، فيوحي بأنّ اليوم المتحدث عنه إنّما هو زمن مستقبلي وينطبق هذا على قول المتكلم واعظًا: **((فَلا تَغْفَلُوا عَنْ ذِكْرِ شُرْبِ تِلْكَ الكَاس، وهَوْلِ ذَلِكَ اليَوْم المَجْمُوعِ له النَاس))[3].**

فإشارية الظرف (اليوم) دلت على الاستقبال؛لأنّ المقصود به يوم القيامة أو يوم الحساب،وهذا يغير دلالته على الوقت الحاضر بلحاظ آنية التلفظ إلى الدلالة على الزمن المستقبلي، والذي ساعد على تحديد مرجعيته ورود ألفاظ في سياقه يمثلها قوله: المجموع له الناس ، فيعرف المتلقي أنّ المراد به يومًا بعينه مشاراً إليه بدال البعد (ذلك) للدلالة على بعده الزمني عن آن التكلم ، وهذا البعد متأت من عدم معرفة وقوعه فالوقت غير معلوم، وقد تجاوز (اليوم) هنا الوقت المعدود لـ(الآن) ؛ لأنهّ دلّ على الاستقبال.

([1]) ريحانة الألبا، مقامة الغربة، ٣٧٦/٢.

([2]) ينظر: وقعة صفين ،نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) ، ٤٠٧، وعمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، ١٦٩.

([3]) مجمع البحرين، المقامة المعرية، ١٤٨.

وشبيه باليوم (الساعة) وهي من المشيرات الدالة على الزمن، وقد قُننت بقوانين وشروط تركيبية للدلالة على الوقت ، فاشترط فيها أن تقع في موضع الظرف وأن تكون مبنية على الفتح ومعرفة بـ(ال) التعريف[١]، وهي ترتبط بعلاقة اتصال وانفصال مع (الآن) بلحاظ قربها وبعدها عنها، فتتصل بها إنْ كانت دالة على الحضور وتنفصل إن دلت على المضي أو الاستقبال[٢]، ومن مجيئها متصلة بـ(الآن) النقطه المرجعية لها، قول المتكلم يعرض عددًا من المسائل النحوية على المخاطَب طالبًا حلها فيقول: **((فلما سَمَعَ الشَيْخُ هذه الأسئلة، قال: إنّها لمِنَ المَسَائل المُشكلة، فإنْ كان لك مِن يدّ، فقدْ أجَّلتك إلى الغَد، قال: بلْ لا أعدو السَّاعة))**[٣]. فالمقصود بالساعة هنا لحظة التكلم وهي ملازمة لـ(الآن) والمشار إليه زمن التحاور الخطابي، وفقًا للمقام الذي يقتضي أن المتكلم قد أصر أن تكون الإجابة آنية ملازمة للحظة الخطاب رافضًا الإنجازية المستقبلية، فعندما قال الساعة كان يعني الوقت الحاضر؛ لذا فقد ارتبطت (الساعة) في هذا الحدث مع (الآن)بعلاقة اتصال؛ لأنّها جاءت متضمنة لها دالة على الحضور،مطابقة للحظة التلفظ بالحدث موضوع الخطاب.

٣- مشيرات الحدث التخاطبي البعدية:

وتدل هذه المشيرات على زمن لم ينقضِ بعد مثل:(غدًا، وفي الأيام المقبلة، وفيما بعد، وبعد يومين...) ، والنقطة الأساس في تحديدها هي لحظة إنتاج الكلام[٤] ،أيّ إنّ زمانها يلي زمن التلفظ، فهي تحيل إلى الزمن المستقبلي، ومن الكيانات الإشارية الزمانية الدالة على الاستقبال الظرف (غدًا) الذي يُصنف ضمن المبهمات التي تدل على زمن المستقبل، لم ينقضِ بعد، ويشير إلى زمن يلي زمن التكلم[٥]، ومن تجلياته دالًا على اليوم الذي يلي يوم إجراء الحدث التخاطبي، قول الخفاجي في مقامته: **((سَأفِيضُ له وعليّ أَجْمَلُ رِدَا، وأذْهَب إليه في رُفْقَتِي غَدا))**[٦].

فأحال الظرف (غدًا) على اليوم الذي يلي يوم إجراء التكلم الذي حدد أنّ المقصود بقوله: (اذهبُ إليه في رفقتي غدًا) الإشارة إلى المستقبل بلحاظ سياق النص الذي يكشف عن قيام المتكلم برحلة طالبًا فيها الوفود على أمير كنانة واللقاء به على اعتبار أنّ اللقاء المرتقب سيكون في اليوم الذي يلي يوم تلفظ المتكلم بالخطاب بلحاظ إنتاج الملفوظ،الذي تربطه به علاقة مستقبلية حددت أنّ الورود سيكون مستقبليًا، مع ما تبديه صيغة الفعل من إشارة زمنية إلى زمن الاستقبال، إذ إنّ التعبير عن الزمان قد يتبدى من

---

(١) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، ٤١١.

(٢) ينظر: نفسه، ٤١٢-٤١٣.

(٣) مجمع البحرين، المقامة البحرية، ٢٤٧.

(٤) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ١١٨، ١٢٠.

(٥) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،١٢٠، والأبعاد والتداولية في تفسير التبيان ، ٥٨.

(٦) ريحانة الألبا، ٣٧٣/٢.

عبارات متكونة من ائتلاف لفظين أو أكثر[١]، فدلّ التعبير على زمن الاستقبال من دلالة السين ودلالة الظرف (غدًا) الذي حدد وقيده باليوم اللاحق لزمن التلفظ .

وقد تأتي (غدًا) مرادًا بها الاتساع الزمني لا الدلالة الحقيقية العرفية المتمثلة باليوم التالي ليوم التكلم،ويبدو ذلك واضحًا في هذه المقامة التي يوصي فيها المتكلم المخاطَب بجملة من الوصايا:

((اعْلَمْ أنّ كثرةَ الحِلْم ضَربٌ من الظُّلم، والرُّخْصَةُ في تَأدِيب العَاصي مُسَاعدةٌ على المَعَاصِي، والإغْضَاء عنْ الصَغَائر تَوْرِيطٌ في الكبائر..... واعتَبرْ أنّ الرعايا من الإنسان ليْسَتْ كالرعايا من سائر الحيوان،فاجتهدْ في سِياسَتهم بخَيْلِكَ ورجلِك،واعْتَقِدْ أنّك قدْ خُلقتَ لأَجْلِهِمْ وهم لَمْ يُخْلقوا لأجْلِكَ، ولا تَحْسَبْ أنَّ الإنْسَان يُترك سُدىً ولنْ يُحَاسَبَ غَدًا، والسلام على مَنْ اتبعَ الهدى))[٢].

أحال ظرف الزمان (غدًا) هنا على زمن بعدي مفتوح لا على غدٍ بعينه، أيّ على ما يستقبل من الزمان مما يقع في يوم الحساب في الآخرة وما سيؤول إليه مصير كلِّ إنسان، فإشارية لفظة (غد) في هذا الاستعمال جاءت مجردة من دلالتها الحقيقية مؤدية معنى آخر تجاوز حدود التخاطب ليدل على يوم مخصوص هو ليس من أيام الدنيا غير أنّ وقوعه مستقبلًا مما لا شك فيه[٣]، والمخاطَب يدرك هذه الإحالة استنادًا إلى ما هو راكز دينيًا أنّ لفظة (غدًا) دالة على يوم القيامة، فهي تتناص مع قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)) الحشر/١٨، وهذا يظهر أثر المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، التي بتوظيفها يستطيع المتلقي الوصول إلى مرجعية العنصر الإشاري وفكّ شفرات الملفوظ،وهذا ما حدا بالمتكلم استعماله ليدل على غير ما وضع له؛ لأنهّ يعلم أنّ مستقبل الخطاب يستطيع تحديد المرجع الحقيقي له.

ثانيًا: الإشاريات المكانية:

يدخل المكان ضمن العناصر المكونة للخطاب؛ لأنّه يحدد مكان المتكلم وقربه أو بعده عن المتلقي أوان التلفظ، فلكلّ حدث كلامي حيزٌ يُنجز فيه[٤]، فيتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء الذي يتواجد فيه المتكلم في أثناء لحظة التلفظ[٥]، وغياب التحديد الدقيق للمرجع المكاني من شأنه أن يقود إلى اللبس والغموض[٦]الذي يتعارض مع مبدأ (الإفادة) الذي تسعى اللسانيات التداولية إلى تحقيقه ، فصارت بذلك

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٤٢٩.

(٢) مجمع البحرين، المقامة العاصمية، ١٩٣-١٩٤.

(٣) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن، ٥٢٣.

(٤) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية،د. عبد السلام المسدي ، ٢٤٨.

(٥) ينظر:لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،١٢٤.

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٨٥.

مقولات المكان محددات ((يُعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه قربًا أو بعدًا أو وجهةً))[١].

وتُعد فصيلة أسماء الإشارة التي تشير إلى قريب أو بعيد عن مكان المتكلم (مركز الإشارة المكانية) وسائر ظروف المكان مثل :فوق، وتحت، وأمام، وخلف، وبين ...الخ كلّها من أوضح العناصر الإشارية التي يشار بها إلى مكان لا يمكن تحديده إلاّ بالاعتماد على وضعية المتحدِّث في لحظة الحديث[٢]، والوظيفة الاشارية لهذه الكيانات تتحدد عندما يكون المكان معروفًا لدى المخاطَب، وتحديد هذا المكان موكول للمتكلم في اختياره العنصر الاشاري الذي يدل عليه[٣].

ومن استعمال دوال الإشارة إلى المكان في تحديد اتجاه العنصر الاشاري المكاني (وراء)، وذلك قوله في هذه المقامة: **((قال سهيل: فلَمّا فَصَل الشَيْخُ إلى العَراء قفَوتُهُ مِنْ وَرَاء وَرَاء، فأخذَ يَدْخلُ من القاصِعاء، ويخرجُ من النافِقاء، حتى انتَهى إلى حانَة أَطْيَب من رَيْحَانة وجَلَسَ بَيْنَ البَواطِي وأَخَذَ في التَعْاطِي))[٤].**

ورد الدال الإشاري (وراء) في سياق سرد سهيلٍ لحادثة تتبعه للشيخ الخزامي بعد خروجه من القوم شاكيًا رجلًا رهن مملوكته ليتبين له فيما بعد ما هذه المملوكة إلاّ زجاجة من الخمر، ويدل هذا العنصر الإشاري على ما استتر عنك سواء أكان خلفًا أم قدامًا[٥]، غير أنّ دلالته اقتصرت هنا على الخلف دون القدام، من خلال القرينة اللغوية (قفوته) التي قيّدت معناه بالتتبع من الخلف[٦]، وقد اختصت هذه الاشارية بمكان معين محسوس قُصد منه تحديد مكان المتكلم حال مراقبته للمشار إليه، وتفسير مرجعية هذا المشير من خلال معرفة المركز الاشاري المكاني الذي قصده المتكلم وهو هنا يتمثل بالشيخ الخزامي.

ومن تجليات هذه الدوال الإشارية أيضًا الدال الإشاري (بين) في هذا النص من مقامة أحمد البربير الذي يجسد قول الماء مفتخرًا بنفسه على الهواء: **((أمَا رأيْتَ ما حَبَانِي الله بِهِ من عَظِيْمِ المِنَّة ، حيثُ**

---

(١) آفاق جديدة، ٢٢.

(٢) ينظر: آفاق جديدة، ٢٢ ، والتأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين، ٤٥٤.

(٣) ينظر: كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، ٦٠.

(٤) مجمع البحرين، المقامة المضرية ٢٤٢، القاصعاء:السرب الذي يدخل اليربوع منه ، ينظر:لسان العرب ٢٧٥/٨ (قصع) ، والنافقاء : الذي يخرج منه ، ينظر: لسان العرب ٣٥٨/١٠ (نفق) ، والبواطي آنية الخمر ينظر:لسان العرب ٧٤/١٤ (بطا)، وهامش مجمع البحرين ٢٤٢.

(٥) ينظر: لسان العرب ٢٦٤/١٥ ،(وراء).

(٦)القفا ما يكون وراء الشيء من الخلف، وقفوته أيّ:اتبعته من الخلف، ينظر: لسان العرب ١٩٢/١٥، ١٩٧/١٥(قفا).

جَعَلَنِي الله نَهْرًا من أَنْهارِ الجَنَّة ؟ أمَا عَلِمْتَ أنّ مني حَوض مَنْ كَانَ إذا مَشَى في الشَّمس تُظِلُّهالغَمَامة؟أمَا تَيَقَّنْتَ أنّني نَبَعْتُ من بَيْنِ أصَابِعِهِ فكُنْتُ له مُعْجِزة ؟))[1]

يتحدث المتكلم هنا ذاكرًا المعجزة التي حدثت للنبي محمد (ص) وهي تدفق الماء من بين أصابعه حين كانت الجموع الغفيرة المرافقة له تحتاج إلى ماءٍ تروي عطشها وتحصل به طهارتها وضوءًا واغتسالًا[2]، وبيّن الظرف(بين) مكانية تدفق الماء، و(بين) هو في الأصل ظرفٌ للمكان وقد يكون للزمان بحسب المضاف إليه[3]، وقد ارتبط تحديد مرجعه هنا بمعرفة المضاف إليه (أصابعه) فصاربذلك تعبيرًا إشاريًا مكانيًا قدم المتكلم من خلاله تصورًا واضحًا للمتلقي عن تلك الحادثة بإعجازها المكاني من حيث موضع تدفق الماء.

ومن تجليات الدوال المكانية في المقامات الدالين (فوق،وتحت) الواردين في قوله في هذه المقامة :**((ثُمّ نَظَرْتُ فإذا في الطَرَفِ الآخر شَابَّة ذَاتَ جَمَالٍ فَاخِر، ودَلالٍ ظَاهر، وحُسْنٍ زَاهِر، ومَنْظَرٍ بَاهِر، وهي تَسْحَرُ العُقُولَ بألفَاظِها، وتَسْحَرُ القُلوبَ بألحَاظِها، ..... فسَألْتُ دَلِيلي عَنْها، وقدْ تَفرّسَ ما أَصَابَنِي مِنْها، فقال :هذه تُعْرَف في المملكة الإنسانية بالشَّهوة الحَيْوانية، وهي مَع ما لها من الجَمَال، عَارِيَةٌ عن خِلاَل الكَمَال،مَجْبُولَةٌ على المَكْرِ والخِيَانة والغدْرِ، .....لا تَنْظرْ لِما فوقَ رأسِها من الأَزهار ولكن انظرْ لِمَا تَحْتْ قَدَمِها من الأَخْطَار))**[4].

ينبه المتكلم (الدليل المتفرس بأحوال المملكة الباطنية الإنسانية) مخاطَبه (السائح المتحير في تلك المملكة) من مكائد الشهوات التي توقع المرء بالزلل والخطأ، ويحذّره من مغبة أنْ يصبو إليها، أو أنْ يُغرَّ بما تزينه من شرور شنيعة لتوقع المرء أسير مهالكها؛ وكي يحقق المتكلم إنجازية الحدث الكلامي في التحذير أخبره بأن يتفرس في نظرته، فما يراه من حسنٍ ظاهرٍ غاوٍ يخفي تحته مهاوي مهلكة، فهو بذلك يرسم للمتلقي البعيد صورة حسية عن الشهوة الحيوانية المجسّدة هنا بهيأة شابّة جميلة تخفي تحتها الشرور والأخطار المهلكة ، وحدد المتكلم ذلك بتوظيف الإشاريات المكانية ذاكرًا الظرفين (فوق، و تحت) اللذين اتخذا بعدًا مجازيًا كناية عن ظاهر الأمر وباطنه أو ما خفي منه، فلم يكن المتكلم يريد بهما خصوص الموقع على حقيقة هذه الجهة المكانية بل أراد الإشارة إلى من يقصر نظره على مغريات الشهوات وما فيها من ملهيات ولذاتٍ مؤقتة من دون إمعان النظر في ما يستتبعها من ضررٍ وهلاك، ومن ثّم يستشف من وراء توظيف هذين الدالين الاشاريين أبعادًا أخرى يمكن أن نحملها على النظرة

---

(1) المفاخرات والمناظرات، ٣٦..

(2) ينظر:شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ٧/١٤.

(3) ينظر: معاني النحو ،٢٠٩/٢ .

(4) المقامة الفكرية ،١١.

الشمولية للأشياء ظاهرها وباطنها، فكان-هنا- للفظين معنى تداولي اتسع أفقه، مثلثْ فيه (فوق) الجانب الحسن الظاهر، ومثلت (تحت) الجانب المهلك المخفي.

ومن توظيف الدال الاشاري (فوق) كإستعارية اتجاهية قوله على لسان النهار محاججًا الليل بافتخاره عليه في هذه المقامة:**((هَلْ في مَعَاهِدِكَ كانَتْ الصَّحَابَةُ تَتَلَقى القرآن، وتَتَرقَى في مَرَاتِبِ الإحْسَان بمُشَاهَدة إنْسَان عَيْن الإنْسَان؟ أم في مَشَاهِدِكَ وَرَدَتْ وَقَائعُ الجِهَاد،وعُبِدَ اللهُ وحّده على رُؤوسِ الأَشْهَاد؟ فأخبارُ أَخْيَارِي سَارَتْ بها الرُكْبَان،ومَاسَتْ بنَسِيمِ رِقَّتِها مَعَاطِفُ البَان،وقَدْري فوقَ ما تصفه الأَلْسُن))**[1].

فالمرجع الاشاري للدال (فوق) قد تحدد عندما سُيّق مع ألفاظٍ أخرى فهو لا يراد به مكانًا بعينه على وجه الحقيقة؛ لأنّ استعماله هنا كان استعمالًا مجازيًا، اعتماداً على المركوز الثقافي للمخاطَب الذي يعلم بدلالة (فوق) على العلو والسمو والرفعة[2]؛ لذا فعندما أراد المتكلم -وهو في سياق محاججة لإبراز أفضليته على الخصم- أنْ يعظم نفسه وقدره وإنّه في مكانة رفيعة وموضع أفضل وظّف الدال الاتجاهي (فوق) لبيان هذاالمعنى ؛ لما فيه من دلالة على الهيمنة والعلو[3]، حيث فجسدت بذلك هذه اللفظة المكانة والقدر، وبناءً على ذلك فانّ المشير المكاني (فوق) لم يشر هنا إلى مكان معين؛ لأنّ المتكلم أراد به الفوقية التعظيمية المجازية لا الفوقية المكانية الحقيقية.

ومن الإشاريات المكانية مقولات الإشارة إلى المكان: (هنا، وهناك، وهنالك) وهي ظروف لا يشار بها إلى غير المكان[4]،وقد قُسمتْ بحسب قربها وبعدها من مركز الإشارة المكاني، فكانت (هنا) للقريب، و(هناك) للمتوسط و(هنالك) للبعيد[5]، ومن تجليات تعابير الإشارة إلى المكان المشير المكاني (هنا) قوله : **((دَخَلْنا مَدِينَةَ القَاهِرة فلَمَّا أَصْبَحْنَا دعاني الشَيْخُ إلى ما أَرَاد.... ولمّا استقرَ في القَرَار أشَار إليّ وقال: مَهْيَمْ يا بُنَيّ؟، قُلتُ: قَدْ هَجمتْ بي على هذا المجلس رُقعةٌ كَصَحِيْفَةِ المتلمَّس، فإنْ كَشَفَ لي هذا النَادِي حِجابُها المَسْتُور، وإلّا فقدْ يَئسْتَ منها كمَا يَئِسَ الكُفارّ مِن أصْحَاب القُبُور، قال: اقْرَأ باسم رَبِّكَ الذي خَلَق، فكمْ رَكِبَ هُنا مِثْلُها طبقاً عن طُبْق))**[6].

([1]) المفاخرات والمناظرات، ١٣٥.

([2]) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها ،جورج لايكوف ، مارك جونسون ،٣٣-٣٤.

([3]) ينظر: لسان العرب ،٣١٦/١٠(فوق).

([4]) ينظر: معاني النحو، ٨٦/١.

([5]) ينظر: شرح الرضي ،٤٨٤/٢.

([6]) مجمع البحرين،المقامة الازهرية ،٦٨-٦٩، وكلمة (مَهْيَمْ) استفهام عن الحاجة وهي من لغة أهل اليمن ، ينظر:لسان العرب ٥٦٥/١٢ (مهيم)، وهامش مجمع البحرين ٦٨.

المتكلم في هذا النص يوظف العنصر اللغوي ذا الحمولة المكانية (هنا) ، وهو ظرف مكاني مبهم على المخاطَب لا يُعرف إلّا بحضوره مع المتكلم ليحدد مرجعيته وإلى ماذا يشير؛ ذلك أنّ معرفة المواقع تستلزم معرفة مكان التلفظ، ومعرفة اتجاه المتكلم؛لأنّ غياب الدقة في التحديد عند التلفظ باستعمال الإشاريات المكانية قد يقود إلى اللبس[١]، والمخاطَب لم يلبس عليه الحيز الموقعي المشار إليه بالدال (هنا)؛لأنّه حاضرٌ مع المتكلم لحظة الخطاب،مما يمكنه من تحديد مرجعية هذا العنصر، لكن الأمر قد يلتبس على المتلقي العام لهذا الخطاب فهو عنصر إشاري لا يمكن تفسيره إلّا بمعرفة المكان المقصود والاشارة إليه[٢]، وعودًا للسياق الذي ورد فيه يمكن فهم البعد الموقعي الذي أحال عليه المتكلم بتلفظه بالمشير (هنا) فهو يخاطب جمعًا بيّن لهم المكان الذي حدثت فيه تلك المناظرات اللغوية والأدبية التي طالما خاض فيها الخائضون بذكاء ودراية ودلَّ بقوله هنا على مكان المخاطَب وهو المجلس الذي حدثت فيه المناظرة في (الجامع الأزهر) الذي استطعنا التعرف عليه من سياق النص السابق، وبذلك تحددت مرجعية هذا العنصر التي تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه.

وجاء مصداق المشير المكاني (هناك) الدال على البعيد المتوسط البعد في هذه المقامة في قوله: **((وأمّا مَنْ كانَ مَطمح نَظَرِهِ الرَفِيقُ الأَعْلى، والفَرِيقُ الطَالبُ مِن كُلِّ كَمال نَفْسِه وأغْلى، فإنَّه لا يَخْتَارُ الرَاحَة على التَعَب مادَامَ في دَارِ التَكْلِيف والنَصَب..... فتَرَاه في دَهْرِه بَيْنَ صَادِرٍ ووَارِدٍ، قَدْ وَرَدَ بسَامِي همّتهِ أعْذبَ المَوارِد، لا تَطْمئنُ به دَارٌ، وليس له دُوْنَ مطلوبه قَرَارٌ... لا يقُيَدُهُ وَطَنٌ ولا قَرِيْبٌ، ولا يلتقي به وَاشٍ ولا رَقِيبٌ بلْ أينَّما انْشِراحِه وانْبسَاطِه أنَاخَ رَاحِلَتَه ومَدَّ بِسَاطَه، مُلْقِياً هُنَاك عَصَا التِسّيار والتِرَّحال))**[٣].

استعمل المشير المكاني (هناك) استعمالًا تداوليًا بإحالته على مرجع خارج النص؛لأنّه لا يدل على مكان مذكور أو محدد بل أيّ مكانٍ يحقق فيه المغترب انشراحه وراحته،واكتفى بالإشارة إليه باسم الإشارة (هناك)الذي يشير إلى البعيد؛ لانّ المكان غير محدد أو معروف أو لأنّه بعيدٌ عنه لا يراه.

وتأتي (هناك) لتدل على مكان محدد يعيّنه المتكلم اعتمادًا على مكان تلفظه بالخطاب،ومثيل ذلك جاء في قول سهيل بن عبّاد في المقامة العمانية **((أَلْقَتْنِي صُرُوفُ الزَمَانِ إلى عُمان، فَدَخَلْتُها وقَدْ آذنَتْ بَاحب البَراح، وهَتَفَ دَاعِي الفَلاح، حتى إذا مَرَرْتُ بفَنَاء الجَامِع إذا الخِزامي هُنَاك رَاتِع))**[٤].

جاءت مقولة الإشارة الظرفية المكانية (هناك) ليدلل بها المتكلم على المدى الفاصل بينه وبين المشار إليه التي تضمنت مدلول البعد، هذا البعد المتأتي من أنّ المتكلم في معرض سردٍ لأحداث انقضت وصارت

---

(١) ينظر:استراتيجيات الخطاب ٨٥.

(٢) ينظر: افاق جديدة، ٢٢.

(٣) المفاخرات والمناظرات ،١٦٧.

(٤) مجمع البحرين،المقامة العمانية، ٢٨٥.

من الماضي، فالسياق سياق نقلٍ لحادثة سابقة تناسب الصيغة القصّية لظرف المكان[١] ، وأيضًا فإنّ هذه الأحداث قد وقعت في (عُمان) ويبدو أنّها بعيدة عن المكان الذي يضم المتكلم زمن التلفظ بالقول ، وهو ما ناسب استعمال ظرف المكان البعيد، الذي لو أستُبدلَ بـ(هنا) لعُرف الفارق في المعنى.

ثالثًا: الإشاريات الاجتماعية

وهي ملفوظات تبرز في مفردات وتراكيب تستعمل بين المتحادثين في مجتمع لغوي ما ، يستدل بها على بيان طبيعة العلاقات القائمة بين أفراده[٢]، هذه العلاقة التي تنعكس آثارها على صياغة الخطاب عامةً وعناصره الإشارية خاصةً[٣]، فإن كانت العلاقة بينهما ذات صبغة رسمية فإنّ المتكلم يستعمل صيغًا وألقابًا دالة على التبجيل والتوقير ، تُعد مؤشرًا على المكانة الاجتماعية يعول عليها في مخاطبة من هو أكبر سنًا أو أعلى مقامًا مراعاةً للمسافة الاجتماعية بينه وبين مخاطَبِهِ من مثل:فخامة الرئيس ، وفضيلة الشيخ،و سموك، وحضرتك، وجنابك ... وتسمى بالمبجلات[٤].

أمّا في إطار العلاقة غير الرسمية فيستعمل النداء بالاسم المجرد أو اسم التدليل[٥]، أو التصغير أو الترخيم لنبذ الرسمية والتعبير عن الأُلفة والتودد[٦]،ومن ثم تشير تلك العناصر إلى هويات أطراف الخطاب الاجتماعية، أو علاقاتهم الاجتماعية، وتُعد علامة على العلاقة بين المتكلم والمخاطَب[٧] .

ومن النماذج التي يبرز فيها هذا الصنف من الإشاريات قوله: **((وأصرَّ الرجُلُ على الغَيّ، حتى رافَعْتُهُ إلى أميرِ الحَيّ، فلَمّا أَتينَاهُ سُئِلْتُ عن المَسْأَلَة ، فَقُلْتُ:قَدْ رَهَنَنِي صاحب تِلْكَ اليَعْمُلَة.....فقال الأَميرُ: مَنْ هذا الشَيْخُ ومِن أَيْن؟ فإنّي أَراهُ أَحْيَلَ الثَّقَلَيْن، قُلْتُ :أَبَيْتَ اللعنَ يا مَوْلَاي إنّي لا أَعْرِفُ لَه مَنْبِتَ أَسَلَة))** [٨]

يقوم الحوار السابق على جملة تعابير إشارية حددت العلاقة الاجتماعية بين المتحاورين ، وحددت هوياتهم من قبيل (الأمير،الشيخ) وأوضحت تلك العلاقة الرسمية بينهم ،وقد أبتدأ المتكلم (الأمير)في هذا الحوار كلامه باختيار لفظ يدل على التبجيل والاحترام للمتحدث عنه باستعماله لفظ (الشيخ)، أمّا المتكلم

---

(١) ينظر:التداولية ، جورج يول ،٣٧.

(٢) ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية ،٤٥٩.

(٣) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: آفاق جديدة ،٢٥.

(٥) ينظر: نفسه ،٢٦.

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٣٠٨، ٣١٠.

(٧) ينظر: نفسه ،٢٦٨.

(٨) مجمع البحرين،المقامة التميمية ،١٥٥-١٥٦ ، واليَعْمُلة :الناقة ، ينظر: لسان العرب ١١/ ٤٧٦(عمل)، وأَسَلَة :الشجرة ، ينظر:لسان العرب ،١٤/١١ (أسل).

الثاني فقد تصدّر خطابه بالتعبير (أبيت اللعن)وهو تعبير كانت العرب تستعمله لتحية الملوك والأُمراء[١]، ثم الاشارية الأُخرى (مولاي) التي هي من صيغ التبجيل ، وهي بلا ريب تدل على علو منزلة المخاطَب، فهو أمير الحي ، والمتكلم لا يستطيع أن يتكلم معه إلّا بحدود معينة وإطار محدد ؛ لذا كان لزامًا عليه ذكر مثل هذه العبارات لطبيعة العلاقة بينهما فهي علاقة تؤطرها الرسمية وتحمل من الاحترام والتوقير الشيء الكثير.

ومما يمكن أن يُعد خطابًا رسميًا أيضاً قوله:**((دَخَلَ شَيْخٌ أَعْبَرُ النَاصِيَة ، عَلَيهِ شِعَارُ البَادِيَة ، وهو قَدْ أَخَذَ بيَدِّ فَتَىً تَرِف البَنَان ، كأَنّه من وِلْدانِ الجِنان، وقالَ: أَيَّدَ الله الأَمير، وأَبَّدَ لهُ السَرِير إنّ هذا الغُلاَم سَرَقَ نِصْفَ أَبْيَاتٍ مَدَحْتُ بها بَعْض الأُمَراءِ ، فتَحَوَّلَ المَدِيْحُ فيها إلى الهِجَاء))** [٢]

شكلت لفظة(الأمير) في خطاب المتكلم إشارة اجتماعية وضحت هوية المخاطَب ورسمت حدود المسافة الاجتماعية بينهما، وقد بدا من ذلك أثر هذه المشيرات في تمثيل الفروق الاجتماعية التي تتعلق بأطراف الخطاب وتحديد علاقاتهم[٣] ، إذ رسمت لنا هذه المقولة الإشارية إلى جانب المرجعية السياقية ، تصورًا تصورًا عن طبيعة تلك العلاقة الموجودة في النص، التي فرضت على المتكلم إنتاج مثل هذا التعبير مع مخاطَبه، فاختصه بهذا اللفظ دون سواه ؛ ليحافظ على المسافة الطبقية بينهما ، فضلًاعنأنّ المتكلم هنا يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابًا يتمكن به من التأثير في المخاطَب[٤]، راجيًا تعاطفه معه في الوقوف إلى جانبه في دعواه ضد الغلام المدعى عليه، لذا فقد ضمّن خطابه أيضًا عبارات برع من خلالها في تجسيد التهذيب والتودد بتعابير تفصح عن ذلك وتدل على التوقير والاحترام تظهر في الجمل الدعائية التي اختصه بها بقوله: ايّد الله ،وقوله: ابّد له السرير، لتحقيق الفعل الانجازي المقصود .

ومن الخطابات التي ضمّت مشيرًا اجتماعيًا يحيل على علاقة رسمية بين المتخاطبين قوله في هذه المقامة : **((قال سهيلُ بنُ عبَّاد : جَمَعَتْنِي وأَبا ليلى الأَقْدار في بَعْض الأسْفَار ، وهو قَدْ لَبِسَ الطَّيلَسان، ولَزِمَ تِلَاوةِ القُرآن .....وصَارَ ذِكْرهُ عنْدَ دِهقَانِ القَوم ، يَتَرَدَّد اليَومَ بَعْدَ اليَوم ، حتى حَمَلَهُ الشَوقُ إلى لِقائِهِ على اسْتِدْعائِهِ ، فلَمّا حَضَرَ هَشَّ إلَيهِ هَشَاشةَ الصَدِيق ، ثُمَّ قَالَ :أَوصِنِي أَيُّها الصِدّيق ، فأَطْرَقَ برأسِهِ مِن الخُشُوع ، واسْتَهلَّتْ عينَاه بالدُّموع ، ثُمَّ قَالَ : يا مَولايَ اشْكُر نِعْمَة الله لئلَّا يُغيِّرها عَنْك))**[٥].

---

(١)ومعناه :أبيتَ أيُّها الملك أن تأتي ما تُلعن عليه، ينظر: لسان العرب ٣٨٧/١٣ (لعن)

(٢) مجمع البحرين ، المقامة العراقية ،٦٠.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٢٦٨.

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب،٢٤.

(٥) مجمع البحرين ، المقامة العاصمية، ١٩٢.

ارتكز الخطاب على العلاقة الرسمية بين المتحاورين، بما يظهره مرجع النص وظروفه وملابساته،إذ أعطى تصورًا واضحًا عن هوية المرسَل إليه ، فهو رئيس القوم والمرسِل من عامة الناس، وعلى إثر ذلك كان اختيار المتكلم الفاظ الحديث بينه وبين مخاطَبه،فابتدأ كلامه بلفظ موقر يُفهم منه المكانة الاجتماعية للمخاطَب ويدل على تبجيله إياه بالقول:(يا مولاي)، وبالرغم من أنّ الخطاب تشوبه الرسمية إلاّ أنه يفيض بروح التودد والمحبة والعاطفة بدليل القول :(هشَّ إليه هشاشة الصَديق)،وأيضًا بدليل قول(رئيس القوم):(أَيُّها الصديق) ،الذي يشكل اشارة اجتماعية استعملها ليعزز بها علاقته بالمخاطَب الذي هو دونه في المرتبة، ويلمح له بأنّه يستعمل الاستراتيجية التضامنية بدلًا من التبجيلية[1]، ساعيًا إلى التقريب بينهما وإزاحة الحواجز والفوارق ولاسيّما أنّ السياق سياق نصحٍ ووعظ صادر ممن هو أدنى إلى من هو أعلى رتبةً ؛ إذ من شأن هذا الأسلوب أن يدفع بالمتلقي إلى التواصل أكثر مع المخاطَب فيحقق المتكلم بذلك غرضه التداولي في الحصول على النصائح والوصايا من مخاطَبه.

وقد يستعمل المتكلم هذه الاشاريات في خطابٍ قائم على تحفظات خطابية فيمرر من خلالها ألفاظًا أو تعابير خارجة عن أُطر التأدب ، وهو ما اسمته إوريكيوني بقانون الحشمة[2] ، فعندما ننعم النظر في قول المتكلم في هذه المقامة:**((أشَارَ القَاضِي إلى بَعْض غِلْمانِه وقَال لَهُ:شَيِّعْ الشَيْخَ إلى بُحْبوحَة الرَّبْع ، وَخُذْ مِنهُ دِينَارَ المَنْعِ ، فقالَ الشَيْخُ: أَراكَ أَيُّها الإمام ، قَدْ جَعَلْتَ زَادَكَ مُخَّ النَعام ، ولَقَد بَلَوتُكَ لأرَى هَلْ تَحْكُم بالقِسْط بَيْنَ النَاس ، فَوَجَدْتُكَ تَمِيلُ إلى حَيْثُ ثُمَالةَ الكاس أو تَجْهَلُ إخْراجَ القَضايَا على مُقْتَضى القِياس))** [3] ، نجده قد حدد من خلال الإشارة الاجتماعية (الإمام) هوية المخاطَب ومكانته الاجتماعية بهذا اللفظ الدال على التبجيل ، فالمخاطَب هو القاضي ، أمّا المخاطِب الذي هو من عامة الناس فإنّه استطاع من خلال هذا المشير الاجتماعي أن يمرر ألفاظًا قد تكون خارجة عن حدود الاحترام مع شخص له سلطته وهيبته في المجتمع كالقاضي بأن يتهمه بالمحاباة والجهالة في الحكم ، فيحتاج – المتكلم – لذلك إلى اتباع استراتيجية تخاطبية تهون من وطأة المحتوى الصادم ، وتخفف من حدة انتقاده بألفاظ قد تخرج عن أطر التأدب معه،ويمكن أيضًا أن نلمح قصدًاآخر من استعماله لهذه الاشارة الاجتماعية يكمن في تذكيرالقاضي بعظم هذه المهمة الملقاة عليه ، التي تفرض على من يقوم بها ألّا يحكم بجهلٍ أو بميلٍ خاص فيه تحيزٌ لطرف دون آخر، ومن ثمّ إحراجه على سوء حكمه.

([1]) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٢٦٢.

([2])إذ يقضي هذا القانون تجنب إطلاق العنان لتجليات الخطابية الجامحة من خلال الاستعانة ببعض التحفظات الخطابية التي من شأنها أن تخفف من وطأة الهجوم على المتلقي بهدف تمرير ألفاظ خارجة عن حدود الاحترام ،ينظر: المضمر،اوريكيوني ، ٤٢٠، وخطاب الملطفات الدعائية دراسة تداولية ، د.رجاء احمد ال بهيش، ٢٦٥.

([3]) مجمع البحرين ، المقامة اليمنية ٤٣-٤٤.

وقد يستعمل المرسِل الخطاب بالكنية عوضًا عن الاسم الصريح ومرجع ذلك إلى اعتبار التضامن مع قدر قليل من الرسمية[١]،ولكن التضامن يظهر بوضوح في سياق النص ومما ورد من ذلك قوله:**((حدَّقَ القومُ إلى الشيخ بالأبْصَار، وقالوا شهِدَ اللهُ أَنّكَ نَابِغَةُ الأَعْصَار، ودَاهِيْةُ البَوادِي والأمْصَار ، وقَدْ حَقَّ عَلينا أَن نُفْرِغ عَلَيكَ قِطرًا ، كلّما كَتَبْتَنَا من أَبيَاتِكَ سَطْرًا، فأَملِها عَلَيْنا شَطْرًا فشَطْرًا ، قال : إنّ لِي كاتِبًا أَجْرى من الطِّمِرَّة، وأخطَّ مِن مُرامِر بن مُرَّة ، ثُمَّ أشار إليّ وقال:اكتب يا أَبا عُبَادة، وانْدَفقَ في الإملاء كالمَزادة))** [٢].

فالمتكلم(الخزامي) يخاطب سهيلًا مصطفيًا لخطابه استعمال كنيته (أَبا عُبَادة) بدلًا من اسمه الصريح بوصفها مشيرًا اجتماعيًا[٣]ويبدو أنّه أراد من ذلك أن يرفع من علاقتهما ويضفي عليها شيئًا من الرسمية والاحترام مع التعبير عن محبته ورضاه عنه أمام القوم ولاسيَّما أنّهم كانوا في مجلس من مجالس القوم وهذا ما يناسب استعمال الكنى أكثر من استعمال الأسماء[٤] .

ومن الاشاريات الاجتماعية التي تدل على التوقير والاحترام مع أنّ العلاقة غير رسمية بين المتخاطبين ما جاء في هذه المقامة: **((قال سُهَيلُ بنُ عبَّاد:حَلَلتُ بالزَوْرَاءِ في بَعْضِ الأسْفار ...وإذا أمرأَةٌ تنادي يا شَاري اللبَّن الرَخِيْصِ الثَّمَن، وهي في أَثْنَاءِ الكَلام ، تَتَلاعبُ في الإعْراب على الثَلاثةِ الأَحكام ، ...فجَاءتْ حتى وَقَفَتْ بالبَابِ وأَرْسَلَتْ النِقَاب ، وقالَتْ :السَّلامُ يا أَهْلَ الكِتَاب، قالوا : سَلامًا يا كَرِيْمَةَ الأَعْرَاب ، فَما بَالكِ تلحِنينَ في الإعْراب؟))**[٥].

فقول القوم للمرأة:(كرِيْمةَ الأعْراب) إشارة اجتماعية، تدل على الاحترام،ولكن من غير حدود رسمية؛ لأنّه ليس بين المتكلمين والمخاطَبة رابطة أو علاقة سلطوية، وفي استعمال القوم لهذه الاشارية ملمح تداولي وإشارة إلى خارج النص وهي انتسابها إلى العرب الخُلص ممن سلمت ألسنتهم من اللحن وهم عرب البوادي والبراري، مما يستدعي فصاحتها وبباعدها عن لحن القول والضعفة الحضرية وهذا نقيض ما صدر منها من قلب العبارة بين الرفع والنصب والجر، وربَّما يكون استعمالهم لهذه الاشارية من باب السخرية والتهكم في أسلوبٍ يمكن تسميته بالتبجيل التهكمي[٦].

([١]) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٢٧٣.

([٢])مجمع البحرين ، المقامة الحميرية ٢٢٥، الطِّمرَّة :صفة للفرس، ينظر:لسان العرب٤/٥٠٣(طمر)، ومرامر بن مرة:رجلٌ من طي قيل:إنّه أول من كتب الخط العربي ، ينظر:هامش مجمع البحرين ٢٢٥، والمزادة:إناء للماء ، ينظر:لسان العرب:٣/١٩٩(زود)

([٣]) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٢٧٤.

([٤]) ينظر:نفسه، ٢٧٤-٢٧٥.

([٥]) مجمع البحرين ، المقامة البغدادية، ٤٦.

([٦]) ينظر:الإشاريات التداولية في شعر أحمد مطر"بحث"،عبد الغفار فتاح حسن ، أ.د دلخوش جار الله دزه بي٤٥٤ .

ومن الإشاريات الاجتماعية ما تؤديه صيغة التصغير (بُنيّ)التي تفيد التقريب والتحبيب ومثال ذلك قوله في مقامة حسن الوفاء: **((يابُنيَّ إنّي أرى الشمس آذنت بالإفُول، وقَدْ عَزَمَ الغَريبُ على القُفُول، واليومَ قد أزِفَ الرحِيل ، والبَقاءُ في هذه الدَارُ مسْتَحيل))** [1].

فقد تصدَّرَ الخطاب بالتعبير الإشاري (بُنيّ) وهو تعبير يتضمن الرقة والمحبة في وصية الأبّ لابنه ، ويشير إلى علاقة اجتماعية وصلة تنطوي على تقريب المنزلة ولطفها[2]، فلم يجرِ هذا اللفظ على حقيقة التصغير وإن كان على لفظه وإنّما هو على وجه المحبة والترقيق والرحمة، ولاسيّما أنّ السياق كلّه سياق يضج بالمشاعر و العاطفة الجياشة الصادرة من الأب بعدما شعر بدنو اجله ومفارقته لابنه.

ويتضمن الخطاب غير الرسمي إشاريات اجتماعية تدل على الألفة والمودة ، تتحرر من الألقاب وتنفك عنها القيود لتعكس ذلك التضامن وتلك المحبة بين المتحادثين ، ومن ذلك الحوار الذي جرى بين الخزامي وسهيل، فيعبر الأخير عن محبته ومودته للأول بإشارة اجتماعية قائلًا له:**((نَفْسِي فِدَاءُ نَفْسِكَ، فَكَيفَ أَمْرُ حَبْسِكَ؟))** [3].

فإشارة المتكلم هنا في قوله:(نَفْسي فِداءُ نَفْسِكَ) عبرت عن طبيعة العلاقة بينه وبين المخاطب، ونوع هذه العلاقة ، فهي علاقة ألفة ومودة ، وكيف لا تكون كذلك وقد تصدّر الخِطاب بتركيب دال على التفدية،أيّ أن تفدي من تحب بنفسك أو مالك [4] ،فأعطى ذلك بعدًا تداوليًا تمثل في قرب المخاطَب من المتكلم قربًا عاطفيًا وارتباطًا قائمًا على المحبة والألفة للطرف الآخر، فضلًاعن التعظيم والإكبار؛ لأنّ الإنسان غالبًا لا يفدي إلّا من يعظمه فيبذل له نفسه[5].

وقد يستعمل المرسِل عندما يريد التعبير عن التضامن مع المرسل إليه وتذويب الفوارق بينهما الأداة اللغوية التي تنتمي إلى حقل القرابة الدلالي مع أنّ المرسل إليه ليس من أقربائه الحقيقيين[6]،من ذلك ما وجدته في هذا الحوار في هذه المقامة في قوله: **((فلمّا فَصَلَ عن النَادي ، قَفَوتُه إلى الوَادي، وقُلتُ له: هَنيًّا مَريًّا ، لقد جِئْتَ شَيْئًا فَريًّا ، فأنَّى لك هذا السِجال ، وكَيفَ أجَبْتَ كلّ سؤالٍ بالارْتِجَال ؟ قال: يا ابنَ أَخي الحقُّ أولى أنْ يُقال ، شَهِدْتُ سوقَ عُكاظ، وتَخَلَّلتُ تلْكَ الأَوشَاظ، فسَمِعْتَهُم يتَناشَدون القطْعَة والبَيْت، ويتَذاكَرونَ من كَيْت وذَيْت ، فالتَقَطْتُ مِنْهُم ما التَقَطْتُ))** [7].

([1]) الأثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء،٣٠٣.

([2]) ينظر: شرح المفصل، ٣٩٦/٢.

([3])مجمع البحرين ، المقامة التغلبية ،٧٣.

([4]) ينظر: لسان العرب، ١٤٩/١٥(فدى).

([5])ينظر: نفسه، ١٥١/١٥ (فدى).

([6]) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٢٧٠.

([7]) مجمع البحرين ، المقامة الخزرجية ،٤١

فالمتكلم استعمل لفظ القرابة (ابن أَخي) بالرغم من كونه ليس بذي قربى للمخاطَب، وهو بهذا التعبير أراد تقوية عرى الروابط بينهما وجعلها أكثر تماسكًا، والرغبة في التقرب منه بدرجة كبيرة[١]؛ ليمتص غضبه عليه بعدما جعل يلومه ويؤنبه على ما جاء به من عجائب المكر والخداع مع القوم.

ويمكن أنْ يدخل ضمن الاشاريات الاجتماعية كل شيء يرتبط عرفيًا أو ثقافيًا بأسماء الأشخاص أو الأماكن[٢]، مثل ارتباط اسم حاتم الطائي بالكرم أو النبي أيوب بالصبر أو لقمان بالحكمة، أو فرعون بالجبروت والطغيان ، ومن نماذجها ما وجدته في هذه المقامة شعرًا[٣]:

يا يُوسُفُ إنّي لَيَعْقُوبُ عَصْرِنَا وقَدْ فَنْدُونِي في هَواكَ وفي الأَسَا

فـ(يوسف) و(يعقوب) اسما علمٍ لنبيين ارتبط بهما عرفيًا شدة الحبّ والتعلق بينهما ؛ لذا فهما اشارتان اجتماعيتان قامتا بإيصال معلومات للمتلقي أكثر مما قيل في الخطاب نفسه، وبمأنّ المتكلم والمخاطب يتشاركان في اللغة والثقافة ، فإنّ ذلك يتيح للمتكلم استعمال تعابير لها ارتباط قوي بما هو متعارف عند مجتمعه ومعتقداته الدينية والثقافية، فيوصل له من خلالها قصدًا كامنًا وراء الخطاب[٤]،وهذا القصد يستطيع المخاطَب أن يفهمه بلا عناءٍ اتكاءً على ما مرتبط بها عرفيًا فيتعرف على المضامين التي يريد أن يبلغه إياها، وهي فرط حبه له وما يختلج نفسه من مشاعر الود تجاهه بما تحمله هذه الرموز من اشارية لذلك بما هو مركوز في العقل الجمعي ، وبالرغم من ارتباط أكثر من رمزية بهذيين الاسمين غير أنّ سياق النص اللاحق حدد الإشارية المقصودة من وراء استعمالهما.

ومثله أيضاً ماجاء في مقامة السويدي التي يصور فيها تعلقه بفتاةٍ حسناء وتعلقها به تعلق العاشق المتوله ،فيضمها وتضمه إلى نفسها ، ويصور ذلك قائلًا:**((فَحَلَلْتُ مع الشَّمسِ في الفِراش، وصَار ثَغْري يَعْشو إلى وَجْنَتِها عَتْوَ الفَراش، وضَمَمْتُ مِنْها جؤذراً، وضَمَّت مِني غَضَنْفَراً ، وارتدينَا ثِيابَ عفافٍ وكرم ، أنا يُوسفُ وهي الكَريمةُ مَريم))** [٥].

فـ(يوسف ، ومريم)أشارتان اجتماعيتان أراد من خلالهما صاحب الخطاب إيصال معانٍ لم يذكرها في خطابه بصورة بينة اتكاءً على ما تحمله هاتان الاشارتان من رمزية، فلم يكن المتكلم يقصد التشبه بالنبي يوسف ولا بمريم عليهما السلام في قوله:(أنا يوسف وهي الكريمة مريم) ، بل أراد إيصال مقصود هو:أنّ الذي كان بينه وبين معشوقته من الهوى عفيفًا بالرغم من أنّه بات معها في فراش واحد ،

---

(١) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٢٧٨ .

(٢) ينظر: التداولية ، جورج يول، ٤٤.

(٣) التحفة المرضية، ١٥٦.

(٤) ينظر:التداولية ، جورج يول، ٤٤.

(٥) مقامات الحنفي وابن ناقيا وغيرهما ، ٣٠٢-٣٠٣.

وبذلك فقد استطاع المتكلم عن طريق هذه الرموز أن يقول بصوتٍ خفي دلالاتٍ إضافية لِمّا قاله بصوتٍ علني[١]، ومن ثمّ كانت هاتان الإشارتان آلية لسانية عفت المتكلم من الإبلاغ المباشر.

ومما يمكن أن يدخل ضمن الإشاريات الاجتماعية في هذا البحث ، استعمال المتكلم للضمائر بقيمة زائحة بالنظر إلى قيمتها المألوفة[٢]، فتُخرق قاعدة استعمال الضمائر خرقًا مقصودًا يلوح به إلى معانٍ مختلفة كالتعظيم أو الفخر[٣] ، ومما وجده البحث مصداقًا لذلك قوله في الحوار الدائر بين المتكلم وجمعٍ من القوم قد أنكروا عليه خطبته التي في ظاهرها أمرٌ بالسوء وباطنها أمرٌ بالإحسان جهلًا منهم بفنون بلاغة الكلام :**((حتى إذا فَرَغَ مِنْ تَوْصِيَتِهِ، أَخَذُوا بِنَاصِيَتِهِ، وقالوا:أَولى لكَ يا شَوْلَةَ عَدْوان، وهَيْلَةَ غَطْفَان، قد أَمَرْتَ بالسُّوءِ ونَهَيْتَ عن الإحْسَانِ، فأرغى الشيخ وأَزْبَد، وقال: .... لو كُنْتُمْ تَعْلَمُون ما وَرَاءَ الفِدام، من صفوة المُدام، لنَكصَ عليكم المَلام، قالوا: فارفَعِ الغِشاءَ، ولكَ عِندنا ما تَشَاء... قال: إنّا قد أَحْصَيْنَا كُلَّ ذلكَ عَدَدا ولو شِئْنا لَجِئْنا بِمثلهِ مَدَدا))**[٤].

أشار المتكلم بالضمير المتصل (نا) الذي يُعد بديلًا عن الضمير المنفصل (نحن) [٥]إلى ذاته وحده من دون إدخال عنصر آخر معه ، وهو أسلوب يحقق غايات تداولية بالنظر إلى ملابسات القول وسياقه ، وبما أنّ السياق سياق تفاخرٍ للمتكلم بنفسه وبما يحمله من دراية وخبرة في فنون القول و البلاغة فقد خرق القيمة العددية للضمير تعظيمًا وتفخيمًا لنفسه معتدًا بها ، وقد تضافر مع هذا الضمير استعماله مؤكدين:(إنّ)الداخلة على الضمير،و(قد) التي تفيد التحقيق والتوكيد[٦] وما لهما من طاقة حجاجية عالية في تثبيت قصده؛ لكونه أمام مخاطبٍ منكرٍ جدارته وتفوقه فاحتاج إلى رفع قوة إنجازية ملفوظه بتحصين كلامه وزيادة مقبوليته عند المتلقي ودفع إنكاره .

---

(١) ينظر:الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف ،١٩٩.

(٢) ينظر:فعل القول ٩٢.

(٣) ينظر:أصول تحليل الخطاب، ١٠٩٣/٢، وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ٦٨.

(٤) مجمع البحرين، المقامة السروجية ،١٣٩-١٤٠.

(٥) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٣٠٠.

(٦) ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني ،الحسن بن قاسم المرادي ، ٢٥٥، ٣٩٣ ومعاني النحو،٢٦١/١.

الفصل الثاني

الأفعال الكلامية في المقامات العثمانية

المبحث الاول: الأفعال الكلامية المباشرة وأصنافها

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية غيرالمباشرة

المبحث الاول

الافعال الكلامية المباشرة وأصنافها

توطئة: نظرية الأفعال الكلامية المفهوم والنشأة

أولاً: في مفهوم الفعل الكلامي:

حين يحاول الناس أن يعبروا عن أنفسهم فإنّهم لا يُنشئون ألفاظًا ذات بنى نحوية وكلماتٍ فقط ،بل ينجزون أفعالاً عَبر هذه الألفاظ ، فإذا قال المدير لموظف عنده : أنت مطرود ، فإنّه يستعمل هذا القول لإنجاز فعل إنهاء توظيف ذلك الشخص[١]، ويُعرف هذا الإنجاز الذي قام به المتكلم بمجرد تلفظه بهذا الملفوظ أو أيّ ملفوظ معين آخر بـ(الفعل الكلامي)[٢]، الذي أضحى نظرية تداولية عامة غمر فيضها مساحات واسعة من اللسانيات الحديثة ،وحظيت باهتمام الباحثين والدارسين اللسانيين في مجال الدرس التداولي، فصارت أساسًا من أكبر أسسه التي قام عليها[٣]، والتصور الأساسي الذي انطلقت منه هذه النظرية هو أنّ الأقوال التي يتلفظ بها المتكلم في مقام تواصلي معين ينجز بها على وفقنيته (قصده) نمطًا معينًا من أفعال اجتماعية[٤]، إذ يؤدي المتكلم بمجرد النطق بها عملًا تحقيقيًا[٥]، يهدف ((إلى تحقيق أغراض انجازية(illocutoiresActes) كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... الخ، وغايات تأثيرية (Prolocutors Actes) تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول))[٦]، وهذا يعني أنّ أي منطوق قولي يطلقه منشىء الخطاب في سياق تواصلي ما إنّما هو وسيلة لتحقيق انجاز فعلي غرضه التواصل مع المتلقي أولاً، وتحقيق تأثير وانطباع معين في نفسه ثانيًا فوظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنّما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية[٧].

---

[١]ينظر:التداولية ،جورج يول،٨١.

[٢] ينظر:التداولية عند العلماء العرب ،١٠.

[٣]ينظر:نفسه٥،والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، ٢١٢.

[٤]ينظر:التداولية ،جورج يول ٨٢، وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ١٣،والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل ،٢١٢.

[٥]ينظر:التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل ،٢١٣.

[٦]التداوليات علم استعمال اللغة،٥١ – ٥٢.

[٧]ينظر: مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية ،الخطاب المسرحي نموذجاً"بحث"، عمر بلخير، ١٠٥.

ثانيًا: الأفعال الكلامية تأسيسًا وبناءً

*** مرحلة التأسيس**

انبثقت أصول هذه النظرية من (فلسفة اللغة العادية) التي تعرض بالبحث لها الفيلسوف (فنتجنشتاين) منطلقًا من فكرة أنّ الوحدة الصغرى للاتصال اللساني هي انجاز بعض الأنماط من الأفعال[١]، فصبّ عنايته على الوظائف الفعلية للغة، واسماها (نظرية العاب اللغة)[٢] ومفهوم لعبة اللغة يعني ((أنّ ممارسة اللغة مرتبطة بطريقة العيش أو بموقف أو بشكل من أشكال الحياة))[٣] وهذا يعني أنّ اللغة لا يمكن أن تُتخذ دالًا إلّاعن طريق الاستعمال ،وقد تبنى هذا النظر فلاسفة أكسفورد ولا سيَّما الفيلسوف اللساني (أوستن) الذي يُعد صاحب الريادة في وضع هذه النظرية، فقد أخذت النظرية مداها الحقيقي على يديه، وكانت أولى خطواته نسف أحدى مسلَّمات فلاسفة اللغة الوضعيين في التمييز التجريدي بين الملفوظات الإنشائية والملفوظات الخبرية ،التي أطلق عليها (المغالطة الوصفية) أو كما يُفضل هو تسميتها بـ (المغالطة الخبرية)، إذ فنَّد وهمهم الفلسفي في تصنيف القضايا اللغوية على أساس الصدق والكذب[٤]، وبيَّن أنّ ثمة كثير من الجمل التي وإن كانت تُشبه العبارات الوصفية في تركيبها لكن لا يقصد منها الإخبار أو تسجيل الحقائق[٥]، بل يُعدّ مجرد التفوه بها إنجازًا لفعلٍ أو عملٍ ما[٦]، فلو قال قاضٍ ما في محكمة للمتهم :أحكم عليك بالسجن ستة أشهر ،فهو لا يصف حقيقة ما ،ولا يخبر بخبرٍ ما أو معلومة عن العمل الذي قام به ،بل هو بنطقه للكلام قام بالفعل نفسه ،أي الحكم على المتهم بالسجن[٧]، بالسجن[٧]، لينتهي أوستن بذلك إلى التمييز بين نوعين من المقولات: مقولات تقريرية إخبارية تخبر عن عن الواقع الخارجي وتتسم بالصدق أو الكذب ،ومقولات انجازية أدائية لاتصف ولا تخبر بشيء ولا توصف بالصدق أو الكذب بل يمثل النطق بها إنشاءها و إنجازها لفعل معين[٨]؛وبما أنّ((الحقيقة الوحيدة الوحيدة التي تُسند إليها الأفعال الكلامية هي الإنجاز))[٩]؛لذا فقد وجّه عنايته للفعل الإنجازي بوصفه

---

[١] ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، ١٠٣.

[٢]ينظر: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، د. الزواوي بغورة، ١٠١.

[٣] البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري "بحث"، د. حمو الحاج ذهبية، ٢٠.

[٤] ينظر: اللغة والمعنى والسياق،جون لاينز،ترجمة:د.عباس صادق الوهاب،مراجعة:د.يوئيل عزيز ، ١٩١،ونظرية الفعل الكلامي ،٤٠،والمحاورة مقاربة تداولية، ١٥٥.

[٥] ينظر: آفاق جديدة ٤٤،ونظرية الفعل الكلامي ،٤٠.

[٦]ينظر: آفاق جديدة ١٦،والتداولية أصولها واتجاهاتها ،٨٧.

[٧]ينظر: التداولية، جورج يول ٨٥،ونظرية الفعل الكلامي ،٤٠-٤١.

[٨]ينظر:التداولية ،جورج يول،٦٤-٦٥،والتداولية اليوم ،٣١.

[٩]الخطاب تمثيل للعالم ،١٥٢.

الركيزة الأساس في الكلام؛ لأنّه هو الذي يحمل قصد المتكلم، فصار لبّ النظرية التي أصبحت تعرف به أيضًا فيطلق عليها أحيانًا نظرية الفعل الإنجازي[١].

***ثنائية النجاح والإخفاق مقابل الصدق والكذب:**

إذا كانت المقولات الخبرية تخضع لمعيار الصدق والكذب فإنّ المقولات الإنجازية تخضع لمعيار آخر هو معيار النجاح والفشل ،فتكون ناجحة وموفقة إذا استوفت شروط انجازها،وفاشلة إذا فقدت تلك الشروط[٢]،وهذه الشروط التي تخضع لها هذه الأفعال التي تسمى (شروط الموفقية)[٣]، للفعل الكلامي ليكون فعلًا إنجازيًا ليست على درجة واحدة من التأثير؛ ذلك أنّ الإخلال ببعضها يؤدي إلى فشل الإنجاز وعدم تحقق الفعل أصلًا ،في حين تُعد مخالفة بعضها الأخر إساءة في الإنجاز مع تحقق الفعل [٤].

وإلى جانب هذه المعايير المقامية حاول أوستن ضبط الخصائص الشكلية لبنية الجمل الإنجازية ،فسعى إلى وضع معيار شكلي لتمييزها ،وحدد لها شروطًا خاصة ،يمكن أن تُسمى (الشروط المقالية)، وهي[٥]:

وهي[٥]:

١-أن يكون فاعل الفعل هو المتكلم.

٢-أن يكون الفعل مبنيًا للمعلوم.

٣-أن يكون زمن التكلم هو زمن الحاضر.

---

[١]ينظر:آفاق جديدة، ٦٩،١٠٧،ونظرية الفعل الكلامي، ٥٩.

[٢]ينظر:الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو،٩١.

[٣]ينظر:نظرية الفعل الكلامي، ٤٣.

[٤]والشروط من النوع الأول تسمى الشروط التكوينية وهي: ١-وجود إجراء عرفي محدد متفق عليه بين المتخاطبين وله اثر عرفي محدد،ويتضمن هذا الإجراء النطق بكلمات معينة من أناس معينين في ظروف معينة ، كما في الزواج مثلًا، فإذا فقد هذا الإجراء فإنّ الفعل لا يؤدى.٢،- يجب أن يكون الشخص ملائمًا لإداء الفعل، فإذا قال الرجل لغير زوجته: أنتِ طالق، فإنّ الفعل لا يؤدى كون الشخص غير ملائم للقيام بالفعل لأنّه ليس زوجها.٣،-يجب أن يُنفذ الإجراء المشاركين جميعهم بصورة صحيحة.٤،-أن يكون التنفيذ كاملًا وتامًا من دون نقص فإذا قال شخص لآخر أبيعك منزلي ولم يقل الطرف الأخر قبلت كان أداء الفعل ناقصًا.

أمّا الشروط التي يؤدي الإخلال بها إلى إساءة في استعمال الفعل الإنجازي مع تحققه:١-أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في افكاره ومشاعره ،٢-أن يلتزم بما يُلزم به نفسه، ولا يتراجع إلى آخر لحظة، فإذا قلت لشخص أُرحب بك ثم أتخذت سلوكًا غيرمرحب يكون الفعل حينها سيئًا،ينظر:التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،صلاح إسماعيل عبد الحقّ، ١٤٢-١٤٣،وآفاق جديدة ٤٦،٦٧،ونظرية الفعل الكلامي ٤٤-٤٥.

[٥]ينظر:الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو،٩٣.

ولكنَّ أوستن سرعان ما اكتشف أنّ هذا المعيار الشكلي لايصلح كمعيار مائز بين ماهو انجازي وما هو غير ذلك بعد أن وجد جملًا إنجازية فعلها مبني للمجهول ؛لذا فقد جعل المعيار الأنجع هو الشروط المقامية السياقية [١].

***فرضية التقسيم الثلاثي للفعل عند أوستن**

سعى أوستن إلى ضبط المعنى المقصود من عدِّ قول شيء ما إنجازًا لعمل وإيجادًا له؛ لذلك وضع فرضية ثلاثية للأعمال اللغوية تنص على أنّ كلّ عملٍ لغوي هو جماع لعمل قولي ،وعمل في القول، وعمل تأثير بالقول [٢]، فعنده المتلفظ بأيّ جملة يقوم غالبًا بإنجاز ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية هي أفعال فرعية لفعل كلامي واحد، هي[٣]:

١-فعل القول أو الفعل اللفظي: وهو نتاج أصوات لغوية في جمل ذات بناء نحوي سليم، فهو نشاط لغوي، ويتفرع إلى ثلاثة أفعال صغرى [٤].

٢- الفعل الانجازي أو "الفعل المتضمن في القول": ينجزه المتكلم باستعمال فعل القول ،وهو الفعل الذي يتأتى من خلال الإنجاز، أي ما يؤدى بالفعل القولي متصلًا بالجانب المقامي ومرتبطًا بقصد المتخاطبين وأغراضهم ،كأن يكون القصد منه الإخبار أو الأمر والنصح والوعد والوعيد... ويكون للقصد أثرٌ في تنفيذه فهو((انجاز فعل في حال قول شيء ما مع مراعاة مقتضى المقام))[٥].

٣- الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول: وهو الأثر الذي ينتجه الفعل الانجازي في المتلقي أي رد فعل المتلقي عند محاولة إحداث تأثير من قبل المتكلم[٦]، والغاية من هذا التأثير حمل المخاطب على اتخاذ موقف ما أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما.

---

[١]ينظر:نظرية الفعل الكلامي ،٥٤.

الأبعاد التداولية عند الاصوليين ،مدرسة النجف الحديثة انموذجًا،فضاء غليم الحسناوي، ٥١.

[٢]ينظر:دائرة الأعمال اللغوية،مراجعات ومقترحات،د.شكري المبخوت ، ١٠.

[٣]ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام،اوستن، ١٢٤،وآفاق جديدة ٤٧،والأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، د. على محمود حجي الصراف، ٤٢

[٤]هذه الأفعال الصغرى هي: ١- الفعل الصوتي :ويتمثل في التلفظ بسلسلة من الأصوات منتمية إلى لغة ما،٢- الفعل التركيبي :يتمثل في تأليف ماينتجه الفعل الصوتي من مفردات لغة معينة طبقاً لقواعدها النحوية ،٣- الفعل الدلالي (أو الإحال أو المرجعي):يتمثل في استعمال مكونات الجملة بدلالة محددة ،ينظر:النظرية البراجماتية اللسانية ٩٩ ،ونظرية الفعل الكلامي ٨١، والفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو ٩٧.

[٥]نظرية أفعال الكلام العامة ،١٣٠.

[٦]ينظر: آفاق جديدة ،٤٦.

وبما أنّ الكلام لا ينعقد إلّا بالفعل اللفظي ولا يلازم التأثير الأفعال كلّها ؛لذا فقد رأى أوستن أنّ الأفعال الإنجازية تستحق الاهتمام فاهتم بالقوة الإنجازية للأفعال الكلامية ،وصنّف تلك القوة إلى خمسة اصناف هي:[١]

١- أفعال الأحكام ،٢- أفعال القرارات ،٣- أفعال السلوك ،٤- أفعال التعهد ،٥- أفعال الإيضاح

وقد أُخذ على أوستن الاضطراب في تصنيفه لهذه الأفعال ،إذ((أعتمد تصنيف ألفاظ الأفعال الكلامية كأساس في تصنيف الأفعال الكلامية))[٢]؛لذا فقد كان تقسيمه محتاجًا إلى إعادة نظر بسبب تداخل الأفعال فيما بينها مدخلًا في بعض الفئات ما ليس منها[٣]؛ ومن ثّمَّ لايضع تصنيفه مائزًا واضحًا بينها؛ مما دفع هذا الأمر تلميذه (سيرل) إلى إعادة ضبط الأُسس المنهجية لهذه النظرية وتطويرها وسد ثغراتها.

***مرحلة البناء والتطوير**

على الرغم مما أُخذ على أوستن من اضطراب في تصنيفه لكن تبقى نظريته تشكل المحور الأساس والأهم لكثير من الدراسات التداولية اللاحقة ،وقد سعى تلميذه سيرل إلى ضبطها منهجيًا لتأخذ شكلها النهائي منطلقًا من التقسيم الثلاثي للفعل معمقًا هذه الرؤية بإضافة عنصر رابع وذلك بجعل الفعل الدلالي فعلًا مستقلًا بعد أن كان فعلًا فرعيًا لفعل القول عند أوستن، وهو ما أسماه سيرل (الفعل القضوي)، وعليه تكون بنية الفعل الكلامي بحسب سيرل رباعية لا ثلاثية [٤]،فضلًاعن قيامه بتطوير شروط الملاءمة عند اوستن التي بتحققها في الفعل الكلامي يكون حينها موفقًا فجعلها أربعة شروط[٥]،كما أنّه وضع مجموعة من المعايير والشروط الدقيقة لضبط تصنيف الأفعال بشكل محكم ،وقد أوصلها إلى اثني عشر معيارًا[٦]((ولعلّ الذي دفع سيرل إلى أن يقوم بهذا الإسهام محاولته الدخول إلى تصنيف الأفعال

---

[١] ينظر:- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار،٤٣ ، وأفاق جديدة، ٤٦،والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، ٢٣.

[٢]نظرية الفعل الكلامي، ١٢١.

[٣]ينظر: آفاق جديدة، ٧٠.

[٤]ينظر: آفاق جديدة، ٧٢، والأفعال الانجازية ،٥٤.

[٥]ينظر: آفاق جديدة، ٧٧-٧٨، التداولية علم جديد في التواصل، ٣٤ ، والأتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي،٤٨ ،وتداوليات الخطاب السياسي ،نور الدين أجعيط ،٧٣، والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل ٢٤،والشروط أجملها كما وردت في هذه المصادر:شرط المحتوى القضوي(الإسناد)،الشرط التمهيدي (المتكلم قادر على انجاز الفعل)، شرط الإخلاص والصدق (حين يخلص المتكلم في اداء الفعل فلا يقول ما لايعتقد أو ما لا يستطيع فعله)،الشرط الأساسي أو الجوهري (محاولة التأثير في المتلقي)،وقام بتطبيقها على أنماط مختلفة من الأفعال الإنجازية.

[٦]ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ،٢٢٥، والمقاربة التداولية ،فرانسواز ارميكو،٦٣-٦٦، وآفاق جديدة ٧٥-٧٧.

الكلامية وهو على أرض صلبة من الوضوح والتحديد ،وحتى يكون التصنيف وبيان الأقسام المقدمة للأفعال الكلامية خاليًا من التداخل أو الغموض أو اللبس المخلّ))[١]، فما لبث أن بين أنّ تصنيفه للأفعال الكلامية قائم على وفق أسس منهجية ثلاث كان مقياس الغرض الانجازي المقياس الأساسي فيها مع تضمينه مفهوم المطابقة، وشرط الإخلاص[٢]،واعتماداً على هذه الأبعاد اقترح تصنيفه الخماسي الآتي[٣]:

١- الإخباريات أوالتقريرات.٢- التوجيهات.٣- الالتزاميات.٤- التعبيريات.٥- الاعلانيات.

*** الفعل الكلامي ودلالته على القوة الإنجازية المقصودة:**

كان أوستن قد وضع معيارًا نحويًا لتحديد المنطوق الأدائي ،وهو(الفعل المضارع المسندإلى ضمير المتكلم)،لكنّه اصطدم بمنطوقات أدائية خارجة عن هذا المعيار، مما جعله يفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية ،بمعنى أنّ الفعل الإنجازي الأولي هو كلّ ما أمكن اختزاله، أو تحليله لإرجاعه إلى البنية النحوية يتصدرها فعل إنجازي مسند إلى المتكلم المفرد المعلوم في زمن الحال[٤]،ثم جاء سيرل فخطا خطوة واسعة في هذا الاتجاه فميز بين ماسمّاه الفعل الانجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر من حيث دلالته على القوة الانجازية المقصودة [٥]، إذ قد تتعدد القوة الانجازية فيكون لملفوظٍ ما ما أكثر من غرض انجازي، منه ما تنص عليه الصيغة التركيبية للملفوظ بمعنى حرفي مباشر ،ومنه ما يحتاج إلى استدلالٍ وتحليل لسياق الكلام وملابساته ‘فحين ينطق المتكلم بجملةٍ استفهامية من قبيل : ألم أحذرك من فلان؟ فهو يسأل عن شيء ما، لكنّه لايقصد بسؤاله هذا الاستفهام بل يقصد شيئاً أخر هو الإخبار أي:حذرتك من فلان ، وهذا المعنى يستخلصه المتلقي من المقام، ويكون المتكلم حينها قد أنجز فعلاً آخر غير فعل الاستفهام[٦]، وبهذا يكون سيرل قد قرر أنّ المتكلم لا يقصد ما يقوله دائماً بل قد يتعداه إلى ما لم يقله ،ومحددات هذا التصنيف قوامه عنصران متجذران ضمن مؤشرات السياق

---

[١]الأفعال الإنجازية، ٥٦.

[٢]ينظر: آفاق جديدة ٧٨، والأفعال الانجازية ٦١،والانشاء في العربية بين التركيب والدلالة ،دراسة نحوية تداولية ،د.خالد ميلاد ،٥٠٣، ٥٠٤.

[٣]ينظر:العقل واللغة والمجتمع ،ترجمة:سعيد الغانمي،٢١٧-٢١٩،والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد٢٣٢،-٢٣٨،وآفاق جديدة، ٧٨-٨٠.

[٤]ينظر:آفاق جديدة ،٧٧-٧٨،والتداولية علم جديد في التواصل، ٣٤،والاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي،٤٨،وتداوليات الخطاب السياسي ،٧٣، والتداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل ٢٤.

[٥]ينظر:آفاق جديدة، ٨٠.

[٦]ينظر: التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل ،٢٢٠.

هما:،القصد والاستعمال[١]، وفي ضوء ذلك قامت الباحثة بتقسيم هذا الفصل على مبحثين شملا هذه الأفعال في حال حرفيتها ، وفي حال تعددها الدلالي ،فكان المبحث الأول في الأفعال الكلامية المباشرة وأصنافها،وجاء المبحث الثاني في الأفعال الكلامية غير المباشرة .

الأفعال الانجازية المباشرة: Direct Speech Acts

هي الأفعال التي تطابق قوتها الانجازية قصد المتكلم، فيأتي القول مطابقًا للقصد الذي يتمثل في معاني الكلمات وقواعد التأليف التي تنتظم بها هذه الكلمات التي تتكون منها الجملة فيصل المتلقي إلى قصد المتكلم بادراك هذه العناصر[٢] ويقدم الفعل الانجازي المباشر منطوقًا واضحًا محددًا لا تكون به حاجة إلى التأويل أو بيان أي معنى إضافي؛ لذا سميت هذه الأفعال بالأفعال المباشرة[٣] التي عرّفها سيرل بأنّها الأفعال ((التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفيًا ما يقول وفي هذه الحالة فإنّ المرسل يقصد أن ينتج أثرًا انجازيًا على المرسل إليه ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنجاز))[٤] وسيتوخى البحث في دراسة هذه الأفعال تصنيف سيرل ومنهجه في دراستها؛ لأنّ التطوير الأساسي للنظرية تحقق على يد سيرل بوصفها نظرية منتظمة قائمة على أنّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية، فضلاً على أنّ تصنيفه يقوم على منهج واضح محدد المعالم[٥]، يُعد الأكثر توافقًا لما اشتمل عليه من أنواع الأفعال الكلامية وهي:

أولًا :الإخباريات

وضع الباحثون العرب المقابل العربي(الإخباريات)للمصطلح الإنكليزي(Assertive) الذي يُعد الأقرب للمعنى والأكثر انتشارًا[٦]،وينضوي تحت لواء هذا الصنف من الأفعال تلك الأفعال التي تقوم بنقل الواقع الواقع أو وصفه أو تقريره نقلًا صادقًا أمينًا والتعهد للمخاطَب بحقيقة الخبر وتقديمه بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم –وهو غرضها الإنجازي-،وإذا تحقق هذا النقل الأمين أنجزت هذه الأفعال انجازًا

---

[١]ينظر:نفسه والصفحة نفسها.

[٢] ينظر:آفاق جديدة ،٨١.

[٣]ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية، ١٠٧.

[٤]استراتيجيات الخطاب ،١٣٥.

[٥]ينظر:آفاق جديدة،٧١،٧٨.

[٦] تُرجم هذا المصطلح أيضًا بـــ(الإثباتيات ،التقريريات،التمثيليات ،الممثلات)، ينظر: التداولية جورج يول،٨٩،والأفعال الإنجازية ،٢٠٥(الهامش).

ناجحًا،وإلّا أصبحت أخبارًا معيبة[١]، ويتجلى الفعل التأثيري في إقرارالمخاطَب بفحوى النص أو الجملة،أو تكذيبه فيمثل التصديق أوالتكذيب الفعلالتأثيريالناتج عن هذه الأفعال، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم[٢]، أي جعل الكلام ملائمًا للواقع الخارجي، والحالة النفسية التي تعبر عنها هي الاعتقاد[٣]، أيّ تمثيل الحالة كما يعتقدها المتكلم.

وتعد هذه الأفعال من الإضافات التي أضافها سيرل لنظرية الأفعال الإنجازية، إذ استبعد أوستن كثيرًا من صور الإخباريات بوصفها مجرد إخبار أو تقرير أو وصف،لكن سيرل رأىأنّ الخبر لايقف عند حدود الوصف أو نقل المعلومات فحسب بل هو أيضًا إنجاز فعلي بمجرد النطق به وإقراره،فعدّ الوصف والإخبار غرضين إنجازيين شأنهما شأن الأغراض الانجازيةالأخرى[٤].

ويقصد المتكلم التعبير الخبري من أجل تحقيق الفائدة للمخاطَب وإعلامه بمعلومات جديدة عليه،وهو ما سمّاه البلاغيون العرب (فائدة الخبر)،أو لتثبيت ما يعرفه السامع وتذكيره به وهو ما سمّوه (لازم الفائدة)[٥]؛لذا فإنّ هذه الأفعال تُعد من أكثر الأفعال دورانًا في الكلام؛ لأنّها من أعمّ المعاني فائدة[٦].

وبالعودة إلى جذور تراثنا العربي اللساني نجد أنّ علماء العربية قد عَرفوا هذه الأفعال من خلال دراستهم للكلام وتقسيمه على الخبر والإنشاء،فالخبرعندهم ما كان له واقع يطابقه أولا يطابقه[٧]، وهو يحتمل الصدق والكذب[٨]، لكنّهم اختلفوا في معايير الحكم على الخبر بالصدق أو الكذب،ولهم في ذلك

---

[١]ينظر: العقل واللغة والمجتمع ،ترجمة:سعيد الغانمي ،٢١٧،والتحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد،٢٣٣، والأفعال الانجازية، ٢٠٥.

[٢] ينظر: آفاق جديدة،، ٧٩.

[٣] ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت ،١٩٩٤م ، ٣٠.

[٤] ينظر:الأفعال الانجازية ،٦١،والأبعاد التداولية عند الأصوليين ،مدرسة النجف الحديثة إنموذجا،٩٧-٩٨،والأبعاد التداولية في نهج البلاغة،٢٩.

[٥] ينظر: مفتاح العلوم ،١٦٦، والأفعال الإنجازية ،١٠٩-١١٠.

[٦] ينظر: دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، ٥٤٣.

[٧]ينظر: آفاق جديدة ،٩٤.

[٨] ينظر: المقتضب،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥ه)، ٨٩/٣، والتعريفات،الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، (ت٨١٦هـ)، ٨٤.

أراء مستفيضة [١]، أمّا في الدرس التداولي فإنّ مسألة الصدق والكذب في الإخباريات تشير إلى الكيفية التي تُمَثل بها الألفاظ تمثيلًا مرضيًا للواقع والأحداث والمواقف وتنوب عنها وبأيّ معنى تحيل إليها[٢].

القوة الانجازية وحالة المتلقي:

تختلف شدة القوة الإنجازية لفعل الإخبار بحسب توفر عناصر لغوية وتداولية تُسهم في تعديل القوة الإنجازية ،وهذه القوة الإنجازية للفعل الكلامي تحددها حالة المتلقي، فإنْ كان خالي الذهن جاء الفعل خاليًا من أيّ مؤكدات، أمّا إذا كان منكرًا للفعل فإنّ المتكلم يقوم بتعديل خطابه باستعمال المؤكدات وفقًالدرجة إنكاره، ونجد أصل هذه الفكرة عند العلماء العرب،وذلك عندما قسموا الخبر على ثلاثة أضرب اعتمادًا على السياق وأحوال المخاطب[٣]: الخبر الابتدائي: وفيه يكون المخاطب خالي الذهن من من الحكم الذي يتضمنه الخبر، فلا يحتاج المتكلم في هذا النوع من الإخبار إلى استعمال أيّ أداة من أدوات التوكيد، والضرب الثاني:الخبر الطلبي: وفيه يكون المخاطب مترددًا وشاكًا في حكم الخبر وطالبًا؛لأنْ يصل إلى اليقين في معرفته فيستعين المتكلم ببعض المؤكدات؛ ليرسخ ذلك عنده،أمّا الثالث فهو الخبر الإنكاري: وفيه يكون المخاطب عارفًا بالخبر منكرًا له، فيحتاج المتكلم في مثل هذه الحالة إلى مزيد من المؤكدات لتوكيد الخبر له، وكلما زادت درجة إنكار المخاطب زاد المتكلم من أدوات التوكيد .

وهذا التقسيم تقسيم تداولي، سُمي في الدرس التداولي الحديث بالاختلاف في درجة شدة الغرض من القول[٤]، ويتوقف على حال المتلقي، وهو يذكرنا بالحوار الذي دار بين الكندي وأبي العباس المبرد*، إذ إذ نظر الكندي إلى المحتوى القضوي دون النظر للقوة الإنجازية التي تغيرت شدتها من جملة إلى آخرى بحسب حال المتلقي الذي يُعد قطبًا أساسيًا في العملية الخطابية، والمتكلم الحاذق هو الذي يدرك حال مخاطَبه فيلجأ إلى تعديل ملفوظه بحسب حالته التي يكون عليها،وقد ذكر سيرل مثالًا أوضح فيه

---

[١] ينظر على سبيل المثال: مفتاح العلوم ١٦٦،والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم،سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، ١٧٩وما بعدها، وتحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ، قطب الدين الرازي(ت٤٩٣هـ)، ٤٢،وفي البلاغة العربية ،علم المعاني٤٢-٤٣.

[٢]ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ،١٧٢.

[٣] ينظر: مفتاح العلوم، ١٧٠-١٧١، والجنى الداني ،١٣٠.

[٤] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ٩٦-٩٧.

*حيث قال الكندي للمبرد بأنه يرى في كلام العرب حشواً وذلك في قولهم: عبد الله قائم، وإنّ عبد الله قائم، وإنّ عبد الله لقائم، فيجيبه المبرد بأنّ المعاني مختلفة على الرغم من انّ الألفاظ واحدة، فالجملة الأولى إخبار عن القيام، والثانية جواب عن سؤال سائل، والثالثة جواب عن إنكار منكر قيام عبد الله، ينظر: دلائل الإعجاز ،٣١٢-٣١٣.

الاختلاف في درجة الشدة هذه بقوله: (اقسم أنّ بيل سرق المال) و (أظن أنّ بيل سرق المال)، فالمحتوى القضوي واحد في الجملتين وهو (سرقة بيل المال) لكن القوة الانجازية مختلفة ففي الأولى أشد من الثانية[١]،وبناءً على ذلك ندرك أنّ القوة الانجازية ما هي إلاّ درجة تزداد بزيادة المعنى[٢].

وشَملت الإخباريات في المقامات أضرب الخبر الثلاثة،فمن تمثلات الخبر الابتدائي ما جاء في هذه المقامة التي يصف فيها المتكلم وفوده على الملك النضر بن كنانة*فيجده شيخًا صبيح الوجه مليح الشيبة، كريم النسب والفعال،فيقول:((**نزلنا على الخَوَرْنَق والسَّدِير، وأنخْنا مطايا العزم بين روضةٍ وغدير، فسألنا عن بَيْضةِ البلد، وطَوْدها الذي له بسفحِها أرفعُ سنَد، فقالوا: هو النَّضْر بن كِنانة، المُقرْطَس سهام آرائه من أعزّ كِنانة، شيخٌ لبِس عمائمَ دهره الثلاث، فهي على هامةِ همتِّه ثُلاَث، منْ شجرةٍ مُورقة النَّسب، مثمرةٍ بيانعِ ثمار الحسَب ...**))[٣].

جاءت الأفعال الإخبارية مؤدية قوة انجازية مفادها الوصف، الذي يعد-بحسب سيرل- غرضًا إنجازيًا شأنه شأن الأغراض الأخرى[٤]،واستعمل المتكلم الضرب الابتدائي للخبر وهو ما يُستغنى فيه عن مؤكدات الحكم بوصفه صيغة لغوية مطابقة لحال سامعٍ تبدؤه بالخبر ابتداءً[٥]، وقد ساق المتكلم هذا الخبر من غير اللجوء إلى المؤكد؛ لأنّ المخاطب جاهلٌ بهذا الخبر وخالي الذهن مطلقًا مما تفيده به[٦].

ثم ينجزسلسلة من الأفعال الكلامية المثبتة التي غرضها الإخبارعن أمورٍ جهلها المخاطَب قائلاً:((**فتجاذبنا أهدابَ الحديث، وأتى بنوادرَ حازتْ من كلّ تليدٍ وحديث**

حتى فاض المقالُ إلى السؤال، عن الداعي لشدِّ رحالِ التَّرحال

فقلتُ: قَحْطُ الديار من الأعْيان، وعُتُو الدهر، وكَلَبُ الزمان

وفَقْدُ كلّ خلٍ رقّت شمائله، إنْ سألته تَهلَّلَ حتى

كأنك تعطيه الذي أنتَ سائله .....

فدعا بالدَواة والقلم وانعمَ بجزيل النعم))[٧].

اندفع المتكلم في هذه الحادثة اللغوية مخبرًا المخاطَب بمقاصده مستغنيًا عن المؤكدات؛ لإفادة السامع أمرًا يجهله هو (الداعي للتَّرحال عن الوطن)بدليل سؤاله عنه، وجواب المخاطَب إنّما هو إخبارٌ له،

---

[١] ينظر: التداولية عند العلماء العرب ،٩٧.

[٢]ينظر: الأفعال الانجازية، ٢٦٨.

*شخصية مقامية.

[٣] ريحانة الألبا، ٢/ ٣٧٢-٢٧٣.

[٤]ينظر: الأفعال الانجازية ،٦١.

[٥]ينظر:المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع،أ.د عيسى علي العاكوب، ٨٢.

[٦] ينظر: مفتاح العلوم، ١٧٠.

[٧]ريحانة الألبا، ٢/٣٧٤-٣٧٥.

والمعروف أنّه يؤتى بالخبر لإفادة المخاطَب بمضمون الخبر، وهو ما يسميه البلاغيون (فائدة الخبر)[١]؛ ولهذا كان من أنواع الخبر الابتدائي بالنظر لحال المخاطَب الذي كان خالي الذهن من المحتوى الخبري الذي سيورده المتكلم فهو كان متسائلًا طالبًا للخبر، وقد وظّف في كلامه مجموعة من الصور المجازية؛ليأسِر المتلقي ويؤثر فيه؛ فيضمن بذلك تلقي السامع لخطابه على النحو الذي يريده[٢]،ومن ثمَّ حققت هذه الأفعال الإخبارية ما عليها من وصفٍ وإخبار لتترك فعلًا تأثيريًايظهر من خلال ردة فعل المخاطَب الذي تمثلباستدرار العطاء للمتكلم،وإكرام وفادته، فالتأثير المترتب عن الإخبار هنا كان تأثيرًا سلوكيًا، بدليل قوله :(فدعا بالدَواة والقلم وأنعّمَ بجزيل النعم).

ومن الخبر الابتدائي أيضًا قوله في هذه المقامة:**((ولمّا فصَلنا عنْ المكان ،دعوتُ الشيخَ إلى منزلي بالخَان ،فقَالَ: إنّ نَفْسِي لا تَطِيبُ بمُقَام ،حتى أَفتقدَ النَاقَة والغُلام، قُلْتُ: وما ذاكَياحُمَة العَقْرب؟ فضَحَكَ حتى اسْتَغْرَب، وقال:أمّا النَاقة فَركُوبَتي التي جَرتْ على أُجْرَتَها المُخاصَمة ،وأمّا الغلامُ فخَصْمي الذي رَأيْتَه في المَحْكَمَة))**[٣].

إذ جاءت الأخبار الواردة في الخطاب أعلاه كشفًا عن أمورٍ خُفيت على المخاطَب فراح يسأل عنها ،فكان جواب المتكلم إخبارًا له لإزالة ماغَمض عليه منها، ومن ثمّ تحقيق التواصل الكلامي مع مخاطَبه بتزويده بمعلوماتٍ لم يُسبق له معرفتها[٤]، فالخبر هنا جاء وفقًا للسياق وحال المخاطَب الذي كان طالبًامن المتكلم معرفة أمورٍ يجهلها، ليخبره الأخير عنها قائلاً:(أمّا الناقة فركوبتي التي جَرتْ على أجرتها المخاصمة ،وأمّا الغلام فَخَصمي الذي رأيته في المحكمة)،محققًا بذلك قصدًا إخباريًا تمثل في حَمل المخاطَب على معرفة معينة[٥]،وتحقق شرط الإخلاص بالنقل الأمين للواقع؛لأنّ المتكلم نقل الخبر بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في الواقع[٦]،ومن ثمّ فقد ماثل المحتوى القضوي لهذه الأفعال العالم الخارجي[٧]،مما ينبىء بنجاحها.

وقد يأتي الخبر من الضرب الثاني والذي يسمى الخبر الطلبي الذي يأتي مؤكدًا بمؤكدٍ واحد؛لأنّ المخاطَب يكون شاكًا مترددًا في حكم الخبر فيكون بحاجة إلى ما يرسخ ذلك عنده، ومنه ما جاء في المقامة الديرية لنقولا الترك،التي أخرجها بصورة حُلم أبصره البطل في منامه فراح يقصه على الناس قائلًا: **((اصْغُوا يا**

---

[١]ينظر: مفتاح العلوم، ١٦٦.

[٢] ينظر: التداولية، مقاربات في المفهوم والتأصيل،٢٤٩.

[٣] مجمع البحرين، المقامة اليمنية ،٤٤

[٤]ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ،قدور عمران، ٨٧،وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،١٠٨

[٥] ينظر: في تداوليات القصد ، إدريس مقبول ،١٢١٢.

[٦]ينظر:العقل واللغة والمجتمع، ٢١٧.

[٧] ينظر: الأفعال الإنجازية، ٥٧.

محافلَ القوم لعجائبِ ما رأيتُه في سِنَة النوم وهي: إنّي عاينتُ تلالًا تزلزلتْ، وجبالًاتقلقلتْ، وأهويةً تعاسفتْ ورياحًاتقاصَعَتْ، وبروقًا تزاحمتْ.... فلم أدرِ إلاّ وأنا فوق بَحْرٍ عجَّاج مُرْتفعٍ بين الأَوْج والأمواج))[1].

أراد المتكلم الإخبارعن واقعة حدثت معه في عالم النوم علّه يجد من يُعبّرها له،فألقى خبره المتمثل بقوله:(إنّيعاينتُ....) مؤكداً بالرغم من أنّ حال المخاطَب يقتضي الخبر الابتدائي؛لأنّه جاهلٌ بما سيُلقى إليه،واعتماد المتكلم لهذا الصنف من الإخبار لعلّه راجعٌ إلى أنّ في رؤياه من العَجب الكثير،وهي من الرؤى التي قد تكون قليلة وربّما تحدث نادرًا،وهو ما مهّد له بقوله:(اصغوا يا محافل القوم لعجائب ما رأيتُ)،ومن ثمّ قد يكون سامعها مترددًا في قبول تصديقها شاكًا في صدق قائلها ولاسيّما أنّه لاعلاقة تربط بين المخاطَب والمتكلم، ومن ثمّ يسعىالأخيرإلى إقناع المقابل بصدق دعواه مصطفيًا الصيغة اللغوية المطابقة لحال المتلقي المتردد والطالب لمعرفة الحقيقة[2]بإدراجه عنصرًا لغويًا توكيديًا متمثلًا بالأداةالتوكيدية(إنّ)[3]،التي تحقق الاختلاف والتباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول–حسب حسب سيرل-وقد نتج عن هذا الفعل الإخباري فعلٌ تأثيريٌ تمثل في ازدحام الناس (المخاطبين) على المتكلم وسماعهم له.

ويأتي هذا الضرب من الخبر أيضًا بما أفاضت به تلك المرأة عن مكنون شكواها وما علاها من ظلمٍ وتعسف من زوجها وذلك في حديثها المنعقد مع قاضي الصعيد في هذه المقامة قائلةً:**((إنني امرأةٌ مِن كَرائِم العَقائل ، وكِرام القبائِل ،قَدْ خَطَبني إلى وَالدتي العَجوز، رَجلٌ يَدَّعي أنّه من أصحاب الكنُوز، وقَدْ جَعَل كلّ مالِه لِي وَقْفًا ،وصرّفني في بيتِه عينًا ووصفًا، فلمّا حضرتُ إلى بيتِه وجدتُه كبيتِ العنكبوت،لا شيءَ فيه من الأثاث والقوت ،..))[4].**

تفتتح المتكلمة خطابها بعرض دعواها بما يخدم قضيتها التي أفصحت عنها وبما يوجب الالتفات إلى شكواها غاية الالتفات ؛ولتوغل في استمالة القاضي وإثارة استعطافه، استجلبت أخبارًا مؤكدة مثّلها قولها : إنني امرأةٌ من كرام العقائل / قد خطبني ../ قد جعل ..،كانت بمثابة جواب عن سؤال القاضي لها

---

[1] كتاب علم الأدب،(علم الإنشاء والعروض)،الأب لويس شيخو اليسوعي ١٨٩٧م، المقامة الديرية ،٢٧٨.

* تقلقل: الضرب في الأرض بشدة ، ينظر: لسان العرب،٥٦٦/١١ (قلل)، تعاسف :السير بغير هداية ولا علم فلا يثنيها شيء ولا يوقفها ، ينظر: لسان العرب٩،/٢٤٥(عَسْف) ، تقاصعتْ، القَصْع الضرب بشدة وهو ضمّ الشيء إلى الشيء بشدة وقوة، ينظر: لسان العرب، ٢٧٥/٨ (قَصْع).

[2] ينظر: المفصل في علوم البلاغة ،٨٣.

[3]ينظر: الجنى الداني ٣٩٣، ومعاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ٢٦١/١.

[4] مجمع البحرين ،المقامة الصعيدية ،٣٠.

قائلاً:((ما وراءَكِ يا عِصام؟))[١]، وهذا العرض له أهمية قصوى في إحراز استمالة القاضي عنطريق تقديمها لنفسها في صورة قابلة للإيحاء بالثقة[٢]، فجاء استعمال التوكيد في هذا السياق ؛لتقديم الخبر بقوة وجعله يحمل معه التسليم لِما يُقال، إذ عرفت المتكلمة أنّ استثمار طاقات اللغة وتوظيفها توظيفًا دقيقًا له أثرٌ فاعل وجوهري في تحقيق الاستمالة ؛ذلك أنّ ((الأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد فاعليتها، أيّ تعمل لمصلحة التأثير والإقناع))[٣]، وهذا التأثير بدا حينما استمع المخاطَب (القاضي) إلى شكواها جيدًا وأولاها عنايته فأمر غلامه بإحضار زوجها على الفو،بما أفصح عنه سياق النص اللاحق[٤].

ومن أضرب الخبر أيضًا ما يسمى بالخبر الإنكاري الذي يكون فيه المخاطَب عالمًا بالحكم غير أنّه ينكره؛لذا يحتاج فيه المتكلم إلى مزيدٍ من المؤكدات لدفع إنكاره والأخذ بحكم الخبر الملقى إليه[٥]،وكلما زاد إنكار المخاطَب زاد المتكلم من أدوات التوكيد لذلك فإنّ الخبر الإنكاري يضم أكثر من أداة توكيدية ويختلف عددها بحسب درجة إنكار المتلقي للخبر قوةً وضعفًا[٦]،ومما جاءمن هذا الضربقول القاضيلذلك القاضيلذلك الرجل الذي حبس ابنته وأقعدها عن الزواج قائلًا:**((يا هذا،إنّك قَدْ أثمتَ بحَبْسِكَ هذه الحُرّة! أمّا سَمِعْتَ أنّ امرأةً دَخَلتْ النار في هِرة؟!))**[٧].

استعمل المتكلم عملًا كلاميًا هوالفعل (أثمت)؛لإخبار المخاطب عن شيء لا يجهله إنّما ينكره، فإقعاد الفتاة عن الزواج من الأمور المنهي عنها التي يأثم عليها فاعلها، وهذا الفعل من الوجهة التداولية فعل كلامي طابق شروط الإنجاز؛لتضمنه قرائن وشواهد تؤكد صدق وقوعه،فيكون بذلك مطابقًا للواقع،وقد استند المتكلم فيه إلى المتداول من المعهود الذهني الذي مجاله الكتاب والسنة النبوية[٨]،وبما أنّ المخاطَب عارفٌ بذلك؛لأنّه يتشاطر مع المتكلم البيئة الثقافية والدينية نفسها،لكنه منكرٌ لمضمونه؛لذا فقد ألقى المتكلم خبره هذا مؤكدًا بأكثر من أداة توكيدية حتى يحصن كلامه ويدفع مخاطَبه إلى

---

[١] نفسه.

[٢] ينظر: في بلاغة الحجاج ،نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات ،د. محمد مشبال ،١٧٤-١٧٥.

[٣] ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله "بحث"، د. رضوان الرقبي، ٦٩.

[٤] ينظر: مجمع البحرين ،٣٠.

[٥] ينظر: مفتاح العلوم، ١٧١.

[٦] ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم ،محمود عكاشة، ١٧٦-١٧٧، والمفصل في علوم البلاغة ،٨٣.

[٧] مجمع البحرين، المقامة الصورية ،١٠١.

[٨] فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الزواج منها ما جاء في قوله تعالى: في سورة النور /٩ ، سورة النساء/٥، والبقرة/٣، والروم/٧، والرعد/١٠ ،وروي عن رسول الله ﷺ قوله: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض)،الكافي للشيخ الكليني ،٣٤٧/٥.

قبوله[١]،فوظّف لذلكمؤكدين:المورفيم (إنّ)،والمورفيم(قد)[٢]،مما عزز القوة الإنجازية لهذا الخبر التي منحته بعدًا حجاجيًا تمثل بإقناع الرجل تزويج الفتاة واطلاق حبسها،ناهيك عن استعمال الحجة الواقعية المتمثلة بحادثة حبس المرأة لهرة*،مما أدى إلى التأثير بالمخاطب وإقناعه،أمّا اتجاه المطابقة فكان الفعل الإخباري مطابقًا للموضوع الذي خصه المتكلم ،فالحدث الذي تضمّنه الخطاب واقعٌ مشهود بحصوله،مما يجعل انجاز الفعل ناجحًا.

ومما جاء على هذا النحو قول المتكلم بعد أنّ أبصر شخصًا نيرًا في منامه ،فراح يحدثه مصورًا له فقره وعارضًا له احتياجه لدار قائلًا:**((وإذا بنَيْرٍ على صُورة الأَسَد ،يسوس المعالي بالرأي الأَسَد،بَهي الإشْرَاق،رَضِي الأَخْلاق ،فقُلْتُ ومَنْ ذا ،فقِيْلَ لي: هذا شِهَابُ الآفاق ،.....فقُلْتُ: تالله إنّي لمُحْتاجٌ إلى دَار،وأنا رَهِيْنُالقَضَا ولَيْسَ لي مَأوَى سِوى الفَضَا ،فَعَوَّلتُ على عَرْضِ أمْرِي ،وإذاعةِ سِرّي،وقدِمْتُ على ذلك النيّرِ الوَضَّاح ،وأبْدَيْتُ له ما لاقيتُ من ألم البَراح ،وما أنا بِهِ مِن البَلوى ،لِعَدَمِ المَأوى ،فأخَذَ لَوْحًا من الألوَاح،ورَقّم بأحْسَنِ إفْصَاح ،إنَّني لأَهِبَنّكَ مَنْزِلَةً في مَنَازِلِ القَمَر،وأحلنّك مَحَلاً تَسْتَقرُ بِهِ على سَائرِ البَشَر))**[٣].

ساق المتكلم للمخاطَب خبرًا مفاده (احتياجه إلى دار) في قوله: (تالله إنّي لمحتاجٌ إلى دار)وجاء هذا الخبر إنكاريًا بالرغم من أنّ المخاطَب لم يكن لديه علمٌ به قبل تبليغه حتى يكون منكرًا له، لكنّه صاغه بقوة إنجازية عالية تمثلت بتوظيفه ثلاثة مؤكدات:القسم ،وحرف التوكيد(إنّ)،ولام التوكيد[٤]؛ليبث للمخاطَب صدقه، إذ قد يُنكر عليه ذلك أو كما يتصور هو أنّالمخاطَبقد يكون منكرًا؛لذا ساق هذا الخبرموشحًا بالتوكيدات؛لِما يحمله التوكيد من أثر في توثيق الخبروتقديمه بقوة لايقبل معها النقاش،ومن ثمّضمان حسن تلقيه وأثره في نفس السامع لحسم الشك والتردد من ذهنه[٥]،ودفعه إلى الاقتناع بقبول طلبه،وقد جاء الردّ من المخاطَب الذي أضحى متكلماًمنتخبًا الأسلوب نفسه في الخطاب قائلًا:(لأهبنّك منزلةً في منازل القمر،وأحلنّك محلًا تستقر به على سائر البشر)،فكان خطابهُ حاملًا أعلى درجات التوكيدبتضمينّه صيغًا ذات مداليلتوكيدية أضافت قيمًا مضاعفة لملفوظه،مما أحدث أثرًا واضحًا في المتكلم الذي صار مخاطَبًا،بدليل قوله:(هَزّني الطرب،واعتراني العَجب).

---

[١] ينظر: المفصل في علوم البلاغة، ٨٣.

[٢] ينظر: شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، ٤٤٤/٤، والجنى الداني ٣٩٣، ومعاني النحو، ٢٦١/١، و ٢٦٨/٣.

*وهذه الحادثة وردت في قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في أنّ امرأة عذبت بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت، ينظر: جامع أحاديث الشيعة ،السيد البروجردي ٩٢٢/١٦.

[٣] كتاب علم الأدب، المقامة الديرية، ٢٧٩.

[٤] ينظر: الجنى الداني ،١٢٨،٣٩٣،ومعاني النحو،٢٩٥/٢٦١،١/١، ١٣٥/٤.

[٥] ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،عبد الله صولة ، ٢٣٧.

لقد تواتر الخبر بأضربه الثلاثة في المقامات وقد اختلفت درجات التوكيد فيه على وفقالسياق المقامي وموقف السامع و حالة المتكلم الشعورية والنفسية أيضًا من مضمون الخبر، كما أنّ الخبر لم يأتِ لغرض الإفادة فقط بل قد يأتي لغايات وأغراض أخرى يقتضيها المقام ،وعليه فإنّ ما جاء به علماؤنا القدماء في قضية الخبر لايختلف عما جاء به الدرس التداولي الحديث في مجال الإخباريات التي جاء بها اوستن و سيرل .

ثانيًا:التوجيهات

وتقابلالمصطلح الإنكليزي(Directives)عند أكثر الباحثين[١]،في حين قابله بعضهم بـ(الطلبيات)و(الأمريات)[٢]،وهي((تضم كلّ الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها))[٣]،وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيءٍ ما بدرجات متفاوتة من اللين والشدة[٤]؛لذلك فإنّ الخطاب مع هذا النوع من الأفعال الكلامية يُعد ضغطًا ولو بدرجات متفاوتة على المرسَل إليه[٥]،واختلاف تلك الدرجات راجع إلى موقع كلّ من المتكلم والمخاطَب بالنسبةِ للآخر،فكلمّا كان المتكلم متصفًا بصفات العلو والقدرة وكان المخاطَب مهيئًا للامتثال((تكون نتيجة الفعل التوجيهي ملزمة للمرسَل إليه عبر سلطة المرسِل))[٦]،ويكون انجاز الفعل أسرع،إذ تُمثل سلطة المرسِل عنصرًا مهمًا في إعطاء فعل التوجيه قوته الإنجازية،فضلًاعن جهة المنفعة الإنجازية التي متى ما كانت باتجاه المرسِل كان التوجيه واجبًا،وإن كانت باتجاه المرسَل إليه كان التوجيه مستحب الإنجاز مندوب الإيقاع[٧]،واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات،والمحتوى القضوي فعل مستقبلي مطلوب من المخاطَب تحقيقه[٨]،أمّا شرط الإخلاص فيتمثل بإرادة المتكلم ورغبته الصادقة في توجيه

---

[١]ينظر:العقلواللغة والمجتمع ، ترجمة: سعيد الغانمي،٢١٨،والقاموس الموسوعي للتداولية،٧٦،وآفاق جديدة٤٩،٧٩والأفعال الإنجازية، ٦٢، ٢١٤.

[٢] ينظر: التداولية من أوستن إلى غولفمان، ٦٦،ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ٣١،والإنشاء في العربية ، ٥٠٦.

[٣]آفاق جديدة، ١٠٠.

[٤] ينظر: آفاق جديدة، ٧٩،و التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ٣٣٣.

[٥]ينظر استراتيجيات الخطاب ،٣٢٢.

[٦] نفسه ٣٢٤،

[٧]ينظر: استراتيجيات الخطاب ٣٢٢، والاستراتيجية التوجيهية في سورة مريم دراسة في ضوء تداوليات الخطاب،د.لمى عبد القادر خنياب، ٧.

[٨] ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٨٢.

المخاطب[١]،فكلّ توجيه هو تعبير عن رغبة في أن ينفذ المتلقي ما وجه له من عمل ،وهي خاضعة لتنفيذ المخاطَب ؛فيمكن أن تُطاع ويُخضع لها أو تُهمل وتُستنكر[٢]،وتُمثل استجابة المخاطب لِمَا يوجهه إليه المتكلم (الفعل التأثيري).

ويدخل ضمن هذا النوع من الأفعال الاستفهام،والأمر،والنهي، والرجاء،والإذن،والدعوة،والنصح....والأفعال التي جعلها أوستن ضمن أفعال السلوك جميعها[٣].

ويتميز الخطاب فيها بتقديم التوجيه على التأدب؛لأنّ المتكلم يولي عنايته لتبليغ غرضه وقصده الخطابي باستعمال طريقة مباشرة، متجاوزًا جانبًا من التأدب التعاملي والتهذيب الخطابي؛لانّ تبليغ المحتوى يشكل المرتبة الأولى في هذه الأفعال[٤]؛ لذا فإنّ الطابع الرسمي يطغى على هذا النوع من الأفعال،وهذا يضمن الاحتراز من حصول سوء الفهم والتأويل الخاطئ.

وفي التوجيه يُكلف المتكلم المخاطب بعمل ما أو إبعاده عنه فيلجأ إلى هذا الشكل من الأفعال، ويكون من خلال عدة أساليب:

١- التوجيه بالأمر:

الأمر طلب إيقاع الفعل على وجه الاستعلاء مع الإلزام[٥]وقد عرّفهُ العلوي ذاكرًا أنّه صيغة أو قول ينبئ على استدعاء الفعل من جهة الآخر على وجه الاستعلاء[٦]،وله كيانات كثيرة منها:صيغة "افعلْ" كقوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) مريم/١٢،وصيغة لِتفعلْ كقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) الطلاق/٧، واسم الفعل كقوله تعالى: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) المائدة/١٠٥،والمصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) البقرة/٨٣[٧].

أمّا في الدرس التداولي الحديث فيمثل الأمر((رغبة المتكلم في إيقاع المخاطَب للمحتوى القضوي وإرادته لذلك))[٨]،معبرًا عنه بصيغ طلبية يطلب بها المرسِل من المرسَل إليه فعلًا على وجه الاستعلاء، الاستعلاء، ويجب أن يكون المتكلم في وضع يخوله بالأمر ويجعله آمرًا وهو كونه في مرتبة أعلى من

---

[١] ينظر: آفاق جديدة ،٧٩.

[٢] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، ٢١٧-٢٢٠، والخطاب تمثيلٌ للعالم ،١٥٥،واستراتيجيات الخطاب ،٣٢٢.

[٣] ينظر: آفاق جديدة ،٧٩،واستراتيجات الخطاب ،٣٤٩.

[٤] ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٣٢٢ – ٣٢٣.

[٥] ينظر: في البلاغة العربية، علم المعاني، محمود احمد نحلة ،٧٩.

[٦]ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٥هـ)، ٣/ ٢٨١ – ٢٨٢.

[٧] ينظر: جواهر البلاغة، ٧٩، وفي البلاغة العربية ،علم المعاني، د.عبد العزيز عتيق ،٧٥ – ٧٦.

[٨]دائرة الأعمال اللغوية ،١٩٢.

المخاطَب فيدفعه إلى تبني سلوك أو القيام بعمل ما وهذا يكسب الأمر العديد من القيم التداولية[١]بالنظر إلى حالة المتكلم أو منزلته مقارنة مع المخاطَب[٢]،فالعلاقة التخاطبية في الأمر بين المتكلم والمخاطب هي علاقة تراتبية وهذا التراتب إمّا أن يكون واقعيًا أو اعتباريًا يعتقده المتكلم[٣]؛وعلى أساس هذه العلاقة تكون الصيغة إمّا أمرًا إذا كان المتكلم أعلى رتبة من المخاطب ،أو التماسًاإذا تساويا في الرتبة، أو دعاءً أذا خضع المتكلم للمخاطب[٤]،ناهيك عن جهة المنفعة من الخطاب التي تُعد قرينة أيضًا من قرائن معرفة حكم الأمر، والتي متى ما كانت باتجاه المرسِل كان الأمر واجبًا، وان كانت باتجاه المرسل إليه كان الأمر للندب أو النصح والإرشاد[٥]،أمّا فعل التأثير فعادةً ما يكون تأثيرًا سلوكيًا يمثله انصياع المخاطَب لإنجاز ما مطلوب منه سواء كان مقتنعًا أم غير مقتنع[٦].

ومما جاء في المقامات من مقولة الأمر مع توفر الاستعلاء ،وتوجه المنفعة للمتكلم قوله في هذه المقامة:**((خذْ هذه الخمس المِئين ودَعْ الفتاة عندي في قرارٍ مَكِيْن، إلى أنْ يأتي الله بالفتحِ المُبين، فأذعنَ الشيخ لحكمِه على رغمِه))[٧].**

جاءت ملفوظات الأمر(خذ،دعْ) بصيغتها الصريحة على لسان القاضي موجهًا المدعى عليه بعدما جاءته ابنة الأخير تشكو إليه ما ينتابها منه من ظلمٍ طالبةً أن يحكم بينهما،ملزمًا إياه بهذا الفعل،وإفادة الإلزام متأتية من كون التوجيه صادرًا عن مرسِلٍ له السلطة على المرسَل إليه،لأنّه في مقام يؤهله لإصدار الأمر كونه (قاضي المدينة) وهذا من الشروط المُعّدة لإنجازية فعل الأمر[٨]،وهذا النوع من الخطاب يرد بصيغ صريحة ذات وضوحٍ كافٍ يبعدها عن حمولات دلالية أخرى قد تخرج الخطاب من هدفه المباشر[٩]،وقد تحقق الفعل التأثيري الحاصل في الخارج المتمثل بحمل المخاطَب على تحقيق المحتوى القضوي بانصياع المخاطَب للأمر وإن كان غير مقتنعٍ، بدليل القول:(فأذعن الشيخ إلى أمره على

---

[١] ينظر: في البلاغة العربية ،علم المعاني٧٥،ودائرة الأعمال اللغوية ،٩٢ ١– ١٩٣، ومقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة تداولية "أطروحة دكتوراه"،كرفاوي بن دومة، ٢٣٥.

[٢] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ١٠٥.

[٣] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،١٩٢.

[٤] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ١٠٦ ، ودائرة الأعمال اللغوية، ٢٠٤، و استراتيجيات الخطاب، ٣٤٢.

[٥] ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٣٤٣.

[٦]ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،١٩٢.

[٧] مجمع البحرين، المقامة الصورية ،١٠١.

[٨] ينظر: نظرية الأفعال الكلامية، ٢٢.

[٩] ينظر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين ،د.مرتضى جبار كاظم ،٥٠

رغْمهِ)،مما يؤكد القول: إنّ الاقتناع بوصفه وجهًا من وجوه التأثير ليس شرطًا لازمًا في عمل الأمر ليكون السلوك المطلوب من المخاطَب[١].

ومن تمثلات الأمر أيضًا ما جاء على لسان الملك(محمد بكداش) لجنده بعد تولية صهره خليفةً عليهم في هذه المقامة قائلًا:((**فكونوا له خيرَ رعيةٍ بالسمّع والطاعة في جميع الأَحوال، يكنْ لكم بالبرّ والموالاة خيرَ وال**))[٢].

فقوله: (كونوا له خيرَ رعية) يمثل فعلًا انجازيًا تتكون حمولته الدلالية من قوة انجازية حرفية مباشرة تمثلت بالأمر بدلالة قرينة فعل الأمر (كونوا)،وقد عضّد هذا الأمر سلطة المتكلم فهو قائد عسكري وهو ملك الجزائر في تلك الحقبة[٣]، والمخاطَب جنده وتحت سلطته؛ولأنّ العلاقة علاقة سلطوية بين المتكلم والمخاطَب كان الأمر ملزمًا للمخاطَب ،أمّا المنفعة في هذا الخطاب فهي متبادلة بينهما،فمنفعة المرسِل تتمثل في تنفيذ المرسَل إليه أوامره في المستقبل فيؤخذ قصده الذي انطوى عليه خطابه في فعل المرسَل إليه الذي سيأتي به مستقبلًا[٤]أمّا المأمور فيحقق منفعته من خلال تحقق رضا الآمر عليه فيكون له خير خليفة، ويبدو ذلك جليًا في قوله: (يكن لكم بالبرّ والموالاة خيرَ وال)، وهذا قد منح الفعل التوجيهي قوة أنجازية أكبر ،فذكر المنفعة المترتبة على القيام بالفعل يُسهم في مَنح المخاطَب حافزًا لتنفيذ الأمر بأريحية تامة مما يجعل إمكانية التأثير فيه قابلة للتحقق بدرجة عالية ؛لأنّ مخالفته لمقتضى الفعل التوجيهي تحرمه منفعته،وهذا ما يلحظ في الحدث الكلامي المذكور آنفًا ،إذ استجاب المخاطَبون للفعل بدليل قولهم: (أنْ نَعْم)،فحَمل كلامهم وعدًا بتنفيذ الأمر*.

وجاء الأمر بصورة المصدر النائب عن الفعل وذلك في هذه المقامة التي تُظهر قول القاضي للفتاة التي جاءته تشكو إليه ما وقع عليها من ظلم،فما كان من القاضي إلّا أن أكبر شكواها ورقّ لبلواها قائلًا لها:((**يأمّة الله صبرًا! فإنّ مع العُسْر يُسْرًا**))[٥].

فـ (صبرًا) مصدر واقع بدلًا عن فعله المحذوف (اصبري)وجوبًا للدلالة على الأمر[٦]،ومحتواه القضوي فِعْل المخاطَب شيئًا مستقبلًا،وهذا نصح ،بمعنى أنّ الأمر دال فيه على النصح والإرشاد؛لأنّ نفعية الخطاب تعود على المخاطَب الذي متى ما التزم بالفعل (الصبر) توصل إلى الفرج والنجاة مما هو

---

[١] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،١٩٢.

[٢] التحفة المرضية ،٢١٠.

[٣] ينظر: الجزائر خلال الحكم التركي ،صالح عباد، ٢٣٤.

[٤] ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٣٣٧.

*من معاني (نَعَم) الوعد إذا كان قبله طلب، ينظر: كتاب سيبويه، ٤/ ٢٣٤، والجنى الداني، ٥٠٦، ولسان العرب ،٥٧٩/١٢ (نَعم)،ومعاني النحو،٤/ ٢٣٥.

[٥]مجمع البحرين ،المقامة الصورية، ٩٩-١٠٠.

[٦] ينظر: معاني النحو، ١٤٣/٢.

فيه،وانتخاب صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر بدلًا من الفعل الصريح (اصبري)في هذا السياق؛لأنّ فيها نوعًا من المبالغة والقوة لِما تحمله من اختزال هو خصيصة الأمر المؤكد المقتضي للحذف[١] فضلًاعن ما تحمله من إبانة لقصد اللزوم والدوام بحذف ما هو موضوع للتجدد والحدث الذي يكون مكبلًابقيود الصيغ المتعددة والزمن والفاعل الذي يشتت تعلق الغرض ،في حين لا يتعلق المصدر إلاّ بالحدث[٢]،فتناغم استعمالها مع قصد المتكلم الذي أراد زرع الثقة والطمأنينة في نفس المخاطَبة؛ لذا يمكن القول أنّ الغاية من الأمر هنا مَنْح المخاطَب الاطمئنان النفسي لإبعاد روح اليأس والانكسار عنه،وزاد على ذلك أنّه ضمّن خطابه باقتباسٍ من الذكر الحكيم بقوله :(فإنّ مع العسر يسرا)*؛ليزيد من هذه الطمأنينة وليرفع الروح المعنوية عند متلقيه.

وقد يستعمل الأمر بأكثر من صيغة في سياق تخاطبي واحد،منها ما يكون بصيغة الأمر الصريح ،ومنها بصيغة (اسم الفعل)،ومصداق ذلك جاء على لسان الدليل أو المرشد في المملكة الباطنية مخاطبًا ذلك السائح المتحير الذي جاء طالبًا الوقوف على أسرارها وكشف غوامضها بعدما رأى فيها عجباً ،قائلًا : **:((تعالَ بنا الآن نتقدم إلى الأمام، لِنسمعَ ما يدورُ في المَجْلِسِ العالي مِن الكَلام ،ونَطَّلعَ على ما يُبرم بهِ من الأحكَام ،فإنّي أرى أربَابَه في احتفالٍ عَظيم، سيتفاوضون في خَطْبٍ جَسيم، فهلمَّ لِتسمَعَ وترى،وتعرفَ ما جرى))**[٣].

أنجز المتكلم مقولات الأمر هنا بصيغتين ،الأولى بفعل الأمر (تعالَ) الذي هو فعل أمر من التعالي بمعنى (اِعلِّ) ولا يستعمل في غير الأمر،وهو في الأصل لمعنى خاص ثم اِستُعمل في معنى عام هو الأمر مطلقاً[٤]،والثانية بصيغة اسم الفعل(هلمّ)وهو اسم فعل بمعنى تعالَ واقبل[٥]أيضاً، والمحتوى القضوي لهذه الأفعال فعلٌ يُطلب من المخاطَب تحقيقه مع قدرته ورغبته في تحقيقه،والعلاقة التخاطبية التي تربط المتخاطبين علاقة تراتبية قائمة على السلطوية، كون المتكلم يمثل (الدليل أو المرشد في هذه المملكة) وهو على دراية بأسرارها وغوامضها تجعله يمتلك السلطة،ولا نقصد بالسلطة هنا بمفهومها التقليدي الضيق بل مفهومًا أوسع شمل ما يمتلكه المرسِل من خلفية معرفية التي تمثل سلطة في حد

---

[١]ينظر: الإنشاء في العربية ،١٤٤.

[٢]ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

*اقتباس من قوله تعالى : (فإنّ مع العسرِ يُسرًا، إنّ مع العُسرِ يُسْرًا) الشرح٥-٦.

[٣] المقامة الفكرية ،١٥.

[٤] وأصله أنّ الرجلَ العالي كان ينادي السافل فيقول: تعالَ، ثم كَثُر في كلامهم حتى استعمل بمعنى "هلّمَ" مطلقاً، ينظر: ينظر: تاج العروس ٨٥٠٦/١،(علا).

[٥] ينظر: شرح المفصل، ٢٩/٣.

ذاتها[١]*،وكرر المتكلم الأمر هنا مرة باستعمال الفعل الصريح(تعالَ) ومرة أخرى باستعمال اسم الفعل (هلمّ) وهما لمعنى واحد هو (الإقبال)،وقَصد المتكلم من هذا التكرار تقوية منطوقه الإنجازي[٢]،مضافًا إلى ما تحمله دلالة (اسم الفعل) من التوكيد والمبالغة[٣]،وهذا يوحي بمدى رغبة المتكلم في تحقيق الفعل وإصراره عليه،وتمثلت استجابة المخاطَب لهذا الأمر بما يوحي من قوله:((فسرتُ خلفَه بين القائمين، وجَلستُ بإشَارتِه جِهَة اليمين))[٤]،وبذلك تحقق الفعل التأثيري المتمثل بالفعل السلوكي المنجز من المخاطَب.

وجاء الأمر بصيغتيه (افعلْ)، و(لِيفعلْ) في قول الأمير مخاطبًا ذلك الشيخ وغلامه بعدما تشاكيا عنده وتراشقا التهم مخاطبًا إياه بالقول:**((دعْ التُهم بينك وبين الفتى،فلِيذهبْ أمَامَك من حيث أَتى))**[٥].

فالفعل الانجازي التوجيهي (دعْ) و (لِيذهبْ) جاء بصيغتي الأمر على سبيل الاستعلاء، لسلطة المتكلم وعلو رتبته، فهو (أمير الحي)مما يلزم المخاطَب بهذا الفعل؛لأنّه خاضعٌ لِما يوجهه المتكلم إليه،الذي انتخب صيغتين مختلفتين لهذا التوجيه،فاستعمل صيغة الأمر (افعلْ) بقوله: (دعْ) ؛لأنّ هذه الصيغة تستعمل مع المأمور إذا كان حاضرًا مخاطبًا ،فكان استعمالها مع الشيخ أنسب؛لأنّه كان حاضرًا أمامه مواجهًا،لكنه استعمل الصيغة الثانية (لِيفعلْ) مع الغلام التي تنماز باستعمالها مع المأمور الغائب غير المواجه الذي لا يكون الأمر له إلّا بإدخال (اللام)[٦]،وهذا مايميزها عن باقي الصيغ الأخرى في كونها يجوز استعمالها لمخاطبة الغائب [٧]،وكأنّ المتكلم أراد جَعل المتلقي الآخر(الغلام) غائبًا والتركيز مع المتلقي الأول(الشيخ)،وإظهار اهتمامه به؛إشفاقًا من التنديد الذي قد يطاله منه بعدما رأى دهاءه و ضُبة لسانه[٨]،وبالنظر للعوامل السياقية* نجد أنّ منفعة الخطاب تعود للمرسِل؛ مما يجعل هذا الأمر واجب

---

[١] ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٣٤٢.

*هناك ثلاثة أنواع من السلطة: سلطة دينية، وسلطة أبوية، وسلطة فكرية علمية،ينظر:تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً،(إطروحة دكتوراه)، شيتر رحيمة، ٥١

[٢] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة ،٣٣٦.

[٣] ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٨٩/٣.

[٤] المقامة الفكرية ،١٥.

[٥] مجمع البحرين، المقامة العراقية ،٦٥.

[٦]ينظر: المقتضب،١٢٩/٢.

[٧] ينظر: كتاب سيبويه ،٢٥٤/١.

[٨]ينظر: مجمع البحرين، ٦٥.

* تمثلت تلك العوامل في أنّ المتكلم أراد إنهاء القضية خوفاً من التنديد به من قبل الشيخ بعد أن وقف مع غلامه في قضيته ضده؛ لأنّه رأى ضبة لسانه وحسن بيانه في نظم الشعر، وقد توعده الشيخ بهجوه في الأمصار لأنّه ظلمه فقطع النزاع بينهما بأمرهما بالتصالح وترك هذه المخاصمة وأمر للشيخ بالعطاء.

التنفيذ من المخاطَب الذي بادر بتنفيذه على الفور،إذ((انصرف الشيخ والفتى يتضاحكان كأن لم يكن بينهما شيءٌ مما كان))[١]،فتحقق الفعل التأثيري الناتج من هذا القول.

٢- التوجيه بالنهي:

النهي من الأفعال التوجيهية التي تمثل رغبة المتكلم في أن يكف المخاطب عن عملٍ ما هو بصدد المجيء به وتزجيته إلى عمل آخر[٢]، يقول سيبويه:((إذا نهيت المخاطب فأنت تزجيه إلى أمر ما))[٣].

ما))[٣].

وبين النهي والأمر علاقة تشاكلٍ وتباين ،فيتشاكل النهي مع الأمر في أنّ كلاهما عملان((يقومان على تزجية المخاطب إلى أمر لإنفاذه وأدائه في الكون الخارجي))[٤]، ومن حيث شروط العلاقة التخاطبية،ايّ استعلاء المتكلم مقابل دنو المخاطَب ،ومنفعة الخطاب التي تكون للمتكلم الناهي[٥]؛لذا لم تفصل الدراسات العربية بين أسلوبي الأمر والنهي بل تناولتهما مقترنيين ببعضهما؛لأنّهما بمنزلة واحدة[٦]،وبالرغمَ من أنّ كلا العملين متفقان في المحتوى القضوي العام وهو التوجيه لكنّهما يفترقان أو يتضادان في المحتوى القضوي الخاص،ففي الأمر يوجه المتكلم المخاطَب للقيام بالفعل،أمّا في النهي فيوجهه للكف عن الإتيان بالفعل، فما يقصد حصوله في حالة الأمر هو ثبوت مصور أمّا في حالة النهي فهو انتفاء مصور[٧]،والنهي لا يكون إلا إذا كان المخاطَب متلبسًا بالفعل معاينًا في الخارج فيُطلب منه تركه،أمّا الأمر فهو طلب لحصول غير الحاصل في الخارج،وبذلك يقتضي الأمر مقوليًاالسلب،أمّا النهي فيقتضي الإيجاب[٨]،أمّا صورته التركيبة فهي واحدة هي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية كقوله تعالى:(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) الأعراف/٥٦[٩]،وقد ماثلت هذه اللام،اللام المخصصة للنفي،وقد عبر الدكتور شكري المبخوت عن هذا التماثل بقوله:((وهو تماثل أنيق جعل حرف

---

[١] مجمع البحرين،٦٥.

[٢] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٣، والإنشاء في العربية ،١٣٢.

[٣] كتاب سيبويه،٢٨٩/١،والتزجية :الدفع برفق ،ينظر: لسان العرب،٣٥٨/١٤(زجا)

[٤] الإنشاء في العربية، ١٣٢.

[٥] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،١٩٣.

[٦] ينظر: المقتضب، ١٣١/٢،واستراتيجيات الخطاب،٣٤٩.

[٧] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ١٧٣.

[٨] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،د. أحمد مطلوب ، ٣٤٤/٣،ودائرة الأعمال اللغوية،١٩٢ ، ١٩٤.

[٩] ينظر: المقتضب، ١٣٤/٢، وجواهر البلاغة، ٨٤، ومعاني النحو، ٧/٤٠.

اللام الذي يوسم به بعض من عمل النفي هو نفسه الحرف المخصص لوسم النهي فكلاهما في دائرة الأعمال اللغوية مجعول لوسم مقولة السلب))[١].

ورغم توافق أسلوبي النفي والنهي في السلب غير أنّهما يتقابلان في القصد التأثيري منهما، فالأساس في النفي تكذيب معلومة أو قضية حاصلة في ذهن المخاطَب، في حين إنّ الأساسي في النهي حَمْل المخاطَب على الامتناع عن عملٍ أو سلوك مخالف لما هو بصدده بصرف النظر عمّا إذا كان مقتنعًا أو غير مقتنعٍ ؛لأنّ الأرجح من هذا الامتناع المرجو هو مصلحة المتكلم[٢]،أيّ يكون الاقتناع شرطًا لازمًا في النفي غير لازمٍ في النهي ؛لأنّ مداره التأثير السلوكي دون الاعتداد بالتأثير الذهني حاصلًا كان أم غير حاصل.

وما قيل في الأمر يَصدق على النهي في أنّ أصل استعمال النهي أن يكون على سبيل الاستعلاء، فإن لم يصادف ذلك أُشتقتْ منه أعمالًا أخرى كالالتماس ،والنصح ،والدعاء وغيرها من الأعمال التي يخصصها المقام [٣].

ومن تمثلات التوجيه بالنهي في المقامات ،ماورد في قول الرجل الحكيم في هذه المقامة:**((لاتَشْتغلا بالمُفَاخَرةِ عَنْ شُكْرِ هذه النِّعْمَةِ ،واعْلمَا أنّ حُبَّ الفِخَارِ أهبَطَ إبْلِيسَ إلى حَضِيضِ اللعْنَّة، من أوجِّ شَرَفِ الرَحْمَة، فلا تَجْعَلاه لكما إماماً (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)الفرقان/٦٨))**[٤].

ففعلُ النهي هنا تحقق بالملفوظين (لا تَشْتَغلا) و (لا تجعلاه) ،ومحتواهما القضوي منع المخاطَب عن الفعل المطلوب الكفّ عنه والالتزام به مستقبلًا ، وجاء هذا الفعل على لسان العالم الحكيم؛ليبين حكمًاأخلاقيًا ودينيًا هو نبذ التفاخر على الآخرين ،وصدور هذه النواهي حاصلٌ لِما كان من أمرهم إذ أتوا ما نُهي عنه،والشرط الأساس متحقق في أرادة المتكلم ورغبته التأثير في المتلقي عن طريق الإنذار والتخويف الذي تمثل باستشهاده بفعل إبليس-لعنه الله- ،فضلاً على النص القرآني الذي استعان به المتكلم كحجة جاهزة وظّفها لتدعيم خطابه،ليتبوء من خلالها درجة أعلى يستمدها من سلطة الخطاب المنقول على لسانه،فيتوارى وراء خطابه الذي يصبح هو صاحب السلطة[٥]،ويبدو أنّ المتكلم استعان هنا أيضًا بفعل الأمر(اعلما) لتوجيه وجذب انتباه المخاطَب إلى النتائج التي سوف تترتب على هذا التصرف غير المرغوب ،فجاء الأمر والنهي ليتعاونا في إيصال المعنى المطلوب الذي اراده المتكلم .

---

[١] دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٣ – ١٩٤.

[٢]ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٤.

[٣] ينظر: مفتاح العلوم،٣٢٠، ودائرة الأعمال اللغوية ،١٩٤

[٤] المفاخرات والمناظرات،٤٥-٤٦.

[٥]ينظر الحجاج مفهومه ومجالاته ،إعداد وتقديم د.حافظ اسماعيل علوي ، ١٢٨/١،٢٠١٠.

ويلحظ أنّ فعل النهي في قوله: (لا تجعلاه لكما إمامًا) جاء مقترنًا بفعل توجيهي غير مباشر هو (التحذير)، أيّ التحذير من عواقب الفخر الذي أوقع إبليس-عليه اللعنة- في الغي والضلال والتشبه ،بدليل قوله: (إنّ حُبّ الفخار اهبط إبْلِيسَ إلى حَضِيض اللعْنّة من أوجِّ شَرَف ِالرَحْمَة)؛ ليكون نهيه من باب التحذير المقرون بالاستدلال،لجعله وسيلة لتنبيه المخاطب على أمرٍ يجب الاحتراز منه.

وتكون القوة الإنجازية أكبر من النهي العادي وذلك حين يقترن معه الأمر فيستعمل كل منهما كآلية توجيهية لحث المخاطب على عمل ما،فيشكل اجتماعهما في خطابٍ ما قوة إنجازية مضاعفة مما لو استعمل كل منهما على حدة ،ومن ذلك قوله:**((شَهِدَ الَّذي أخْرج َالمَرْعَى،أَنّكَ تُريدُ أنْ تَلْسَعَ الأَفعى ،فَخُذ هذه الجَدْوَى على أنْ لا تَحْضُرنِي بدَعْوَى))**[1]

توالتْ مقولتا الأمر والنهي في هذا الخطاب الذي جاء على لسان القاضي بعد أن رأى مكر وخداع ذلك الشيخ لأجل إحراز المال،فجاء الأمر بصيغته المباشرة في قوله :(خُذْ) ثم أُردفه بالنهي في قوله:(لاتحضرني)،والعلاقة التخاطبية الرابطة بين الطرفين علاقة سلطوية تلزم المخاطَب بالطاعة والانصياع للتوجيه الصادر من المتكلم ؛كون المتكلم في رتبة تعلو المخاطَب فهو (قاضي المدينة)،وطاعته والامتثال له واجب،وقد تحقق الفعل في الخارج بدليل خروج الشيخ عن دار القضاء وإبعاده عنها[2]،مما يوحي بتحقق الفعل التأثيري السلوكي .

٣- التوجيه بالتحذير:

يُعد التحذير من الأساليب التي تُصنَّف ضمن الأفعال التوجيهية ؛لأنّه يقوم على التنبيه والنصح والتوجيه،إذ إنّه((تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه))[3]،ودعوته إلى ترك أمر مكروه[4]،وهناك ارتباط بين التحذير والأمر والنهي ،وقد أشار سيبويه إلى هذا الارتباط ،إذ جعل التحذير معنى مشتق من المعنى الأساسي للأمر أو النهي[5]فقولك :الأسدَ ،أو الجدارَ الجدارَ، يعود إلى بِنية عميقة هي: احذرْ الجدار،أو لا تقربْ الأَسْدَ[6] .

وهذا الارتباط بين الأمر والنهي من جهة، والتحذير من جهة أخرى هو ارتباط قائم على العموم والخصوص، أي أنّ الأمر والنهي أعمّ من التحذير الذي هو أخص منهما؛ لأنَّ كلّ تحذير إمَّا أمر أو نهي،

---

[1] مجمع البحرين، المقامة الصعيدية، ٣٣.

[2] ينظر: مجمع البحرين،٣٤.

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك(ت٦٧٢هـ)،بهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت٧٦٩هـ) ، ٢٢١/٣.

[4]ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي،عبد السلام محمد هارون ، ١٥٢.

[5] ينظر: كتاب سيبويه،/٢٥٣، و ٢٧٣/١.

[6] ينظر:نفسه والصفحات نفسها.

وليس العكس[١]،وبالرغم من هذا التعالق بين (الأمر والنهي)من جهة والتحذير من جهة آخرى إلّا أنّ بينهما ثمة افتراقات تتمثل في قيام التحذير على كيانات خاصة تقوم على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا استغنى فيها عن اللفظ بالفعل[٢]،فضلًاعن افتراقه في اتجاه جهة المنفعة التي تكون باتجاه المرسَل إليه دائمًا[٣]*، وللتحذير كيانات متعددة قائمة على حذف فعل التحذير وفاعله،فيُحدد قصد التحذير منها بالنظر للقرائن الحالية والمقامية[٤] التي تكون الفيصل في تحديد قصد المتكلم من استعمالها،ويُكتفى بذكر المفعول الذي يأتي مفردًا نحو قولك:النارَ محذِّرًا من اللعبِ بها،أو مكررًا نحو:النارَ النارَ، أو معطوفًا نحو:المنافقَ والكَذّابَ،وأيضًا يأتي مختومًا بكاف الخطاب مفردًا أو مكررًا أو معطوفًا نحو:يَدَكَ،أو يدَكَ والنارَ،أو:يَدَكَيَدَكَ ،فضلًاعن ذكره ضميرًا منفصلًا يَسِدُ مسد الفعل المحذوف وهو (إيّاك وفروعه)نحو:إياك والكذّبَ[٥].

وقد تتشكل رغبة المتكلم في رفع قوة منطوقه التحذيري الإنجازية بحسب المقام وطبيعة المخاطب فيلجأ إلى استعمال اللفظ الصريح للتحذير، ومنه ماجاء على لسان الغريب مخاطبًا المقيم في هذه المقامة قائلًا:**((إنّ مُعاناة الخَاصة لأنواع البلايا سُنَّةُ الله قَدْ خَلَتْ في البَرَايا .....وما وقعَ ما وقعَ لأحدِهم بسببِ اغتِرَابِهِ ،ولا بِبُعْده عن أهلِهِ وأصْحابِهِ بعد اقتِرَابِهِ،وهل لغيرِ الله تأثيرٌ بحال أو همّة ،في سلبِ نِعمةٍ أو جلبِ نِقْمَة ؟ فاحْذَر من الوقوعِ في الغَلَط ،وكن لي على هذا الفَضْلِ ممن غَبط))**[٦].

برزت إنجازية التحذير هنا صراحةً بقول المتكلم: (احذرْ) بصيغة الأمر،مما جعل الفعل حاملًا لنوعين من التوجيه (الأمر والتحذير)؛ولأنّ السياق سياق محاججة وجدال بين الغريب والمقيم، يحاول الغريب فيه أثبات أفضليته؛لذا فالوضوح في مثل هذه السياقات يجعل الخطاب مُقنعًا قابلًا للفهم الذي هو شرط

---

[١] ينظر: الإنشاء في العربية ١٤٠.

[٢] ينظر: كتاب سيبويه، ٢٥٣/١، والإنشاء في العربية ،١٤٠، واستراتيجيات الخطاب ،٣٥٦.

[٣] ينظر:استراتيجيات الخطاب،٣٥٧

* نلحظ في أحيان كثيرة قد يأتي التحذير في سياق التهديد، كقول احدهم مثلًا لشخص قد تمادى في المزاح معه: إياك والمزاح معي أو أحذرك من المزاح معي، فالسياق هنا سياق تهديد والمنفعة فيه تعود على المرسل، إلّا إذا نظرنا إلى المسألة من باب تضمن النصح الضمني؛ ذلك أنّ المرسِل عندما يهدد فهو يضمر شيئًا للمرسَل إليه، وتحذيره منه يتضمن مصلحة المرسل إليه بان لا يفعل ما يعود عليه بالمضرة.

[٤]ينظر: كتاب سيبويه ،٢٧٥/١، والإنشاء في العربية ،١٤١.

[٥] ينظر: كتاب سيبويه ،٢٥٣/١، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢٧٥، والإنشاء في العربية ١٤٠ –١٤١، واستراتيجيات الخطاب ٣٥٦.

[٦] المفاخرات والمناظرات، ١٥٨.

جوهري في كل خطاب أقناعي[١]،وقد احدث الفعل تأثيره على المخاطَب بدليل القول:(تصفَّحَ المقيم ما أبداه مع حُسْن استشهاده فأضحى تارةً يَحمَرُ وجههُ خجلًا وآونةً يصفّرُ فَرَقًا ووَجَلًا)[٢].

ومن استعمال صيغ التحذير صراحةً أيضًا ما جاء بصيغة المصدر في قول الملك النوراني محذرًا ذلك السائح الغريب في مملكة الباطن من الشهوة الحيوانية في هذه المقامة قائلًا:**((الحَذَرَ الحَذَرَ من مَكْرِها،والفِرارالفِرار من شَرّها))**[٣].

كي يحذر المتكلم مخاطبه من أن يصبو إلى شهواته الحيوانية أو أن يُغرّ بما تزينت به تلك الشهوات من حُلل الجمال الذي تخفي تحته شرور وأخطار فيقع أسيرًا لمهالكها ومهاويها ما لم يحترس منها،يستعمل صيغة المصدر لفعل التحذير المتمثل بالملفوظ (الحَذَرَ)وجعله بدلًا من احذرْ[٤]،وهو منصوب بفعل مقدر مقدر تقديره (الزم الحَذَرَ)[٥]مع تأكيد هذا التنبيه عن طريق التكرار، لما يحمله التكرار من توكيد وتقوية للمعنى[٦]، فهو يدل على صدق المتكلم[٧]، وتثبيت الشيء في نفس السامع،مما يحقق انجازية أكبر،وبما أكبر،وبما أنّ الفعل التأثيري يحصل حين يغير الفعل الانجازي من حال المخاطَب بالتأثير عليه[٨]،فإنّ هذا الفعل قد تحقق في هذا الحدث الكلامي بما يوحي من قوله: ((ثُمّ إنّي عُذْتُ بالله من شَرها ،وصَرفتُ نظري عن تلك الجهة بأسرها))[٩].

ومن صور التحذير نصب المحذَّر منه بعد المحذِّر الضمير (إياك)، إذ يضمر الفعل (احذرْ) ويسد مسده ضمير النصب "إياك"،ووجوب نصب هذا الضمير بوصفه مفعولًا به لفعل واجب الحذف مع مرفوعه تقديره (أُحذِّر)[١٠]، مثل قولك :إياك والغضب، ومنه ما جاء في هذه المقامة التي تضم عددًا من النصائح والوعائظ ،التي يقول فيها المتكلم:**((يا بُنيَّ عاملْ الناسَ ما استطعتَ بالإحْسَان،وكُنْ بينهم عفيف الطَّرْفِ**

---

[١] ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته،٢٤٦/١، ٢٤٨.

[٢] المفاخرات والمناظرات ،١٦١.

[٣] المقامة الفكرية ،١١.

[٤] ينظر: معاني النحو ١٤٤/٢.

[٥] ينظر: كتاب سيبويه،٢٧٥/١.

[٦] ينظر: كتاب سيبويه، ١٣٢/٤.

[٧]ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ٢٣٧.

[٨] ينظر: في اللسانيات التداولية، ٩٧.

[٩] المقامة الفكرية،١٢.

[١٠]وأصله (أُحذِّرك) ولمّا أريد تقديم الضمير المتصل (الكاف) لإفادة الحصر كان لابد من حذفه والإتيان بضمير منصوب له في معناه هو (إياك)فصار الكلام (إياك أحَذِّر)ثم حذف الفعل والفاعل لاطراده في الكلام الفصيح المأثور،ينظر: كتاب سيبويه ،٢٧٤/١ ،والنحو الوافي،١٠١/٤.

واليدِّ واللسَّان ،وقابلْ النِّعمة بالشُكْرِ،وأَحْيِ الجميلَ بالذّكرِ،وحافظْ على الصديقِ ولو في الحَرِيْق، وإياك الغِيْبَة، فهي بِئسَ الرِّيبة، وانظرْ إلى مَعايبِك قبل مَعايِبِ صَاحِبك))[١].

يفتتحَ المتكلم باب تواصلهمع المخاطَب مستعملًا النداء؛ليكون ممهدًا لمّا سيتلى من أفعال انجازية بعده توزعت بين أمرٍ ونهيٍ وتحذير،يظهر من خلالها المتكلم حكمًا استقاها من تجاربه الدنيوية ،مستعملًا أسلوب الرفق واللين؛لأنّه في سياق نصحٍ وإرشاد،فكان أن ضمّن خطابه نداء (يا بُنيّ) إظهارًا للتودد؛لتقريب المسافة الاجتماعية بينه وبين المخاطَب، لجعله طيعًا لِما يُقال،وجاء التحذير هنا من الغيبة في قوله:(إياك الغِيبة)ارتكازًا على المعهود الذهني بين المتخاطبين بما عرفوه من النهي عنها في قوله تعالى:((وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)) الحجرات/١٢،فحَذّرَ المتكلم من هذه الصفة المقيتة ونهى عنها باستعمال وسيلة من وسائل الفعل الكلامي التوجيهي متمثلة في التحذير، الذي ينبني على إرادة قوية ملحة من المتكلم لتعجيل المطلوب وتأكيده يفوق قوة الإرادة في النهي،وهذه القوة أدت إلى اختزال في بنيته التركيبية بإضمار الفعل والفاعل والاقتصار في الإنجاز على تعجيم محل المنصوب ؛ليناسب معنى التعجيل[٢]،وجاء التحذير بالصيغة النادرة وهي استعمال الضمير دون أن يعطف أو يجر المحذَّر منه بعده فقال: (إياك الغيبة) ولم يقل:(إيّاك من الغيبة)،أو (إيّاك والغيبة)، وهذه من الصيغ النادرة التي أجازها بعض النحويين،و((زعموا أنّ ابن أبي اسحق أجاز هذا البيت في شعر:

إيّاك إيّاك المِرَاءَ فإنَّه إلى الشَّرِ دعاءٌ وللشَّرِ جالبُ

كأنّه قال إيّاكَ ثم أضمر بعد إيّاك فعلًا آخر ،فقال :اتّقِ المِرَاء، وقال الخليل:لو أنّ رجلًا قال :إيّاك نفسكَ لم أُعنِّفه؛لأنّ هذه الكاف مجرورة))[٣].

٤- التوجيه بالاستفهام

لمّا كان الاستفهام طلب العلم بشيء لم يستقر عند السائل[٤]، فله مهمة أساسية تتمثل في أنّه يتعلق بما في أذهان المتخاطبين؛ لأنّه((طلب الفهم، والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بمفرد شخصي أو شيء أو غيرهما، وتتعلق أحيانًا بنسبة أو حكم من الأحكام سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن أم

---

[١] مجمع البحرين، المقامة الأدبية ،٢٠١.

[٢] ينظر:الإنشاء في العربية،١٤٣،١٨٥.

[٣] كتاب سيبويه، ٢٧٩/١

[٤] ينظر: كتاب سيبويه، ٩٩/١، ومغني اللبيب، ١٩/١ ،وجواهر البلاغة ،٨٦.

على شك))[١]، وهو بذلك يُطلب حصول تحقيقه داخليًا عكس ما هو موجود في أنواع الطلب التي يرتبط تحقيقها بفعل خارجي[٢].

والاستفهام ((طلب مجاله الإرادة، إذ يريد به المتكلم من المخاطب أمراً لم يستقر عنده))[٣]،إذ ينبني على عنصرين أساسيين هما المتكلم والمخاطَب؛ لأجل بحث استقرار المستفهم عنه أو عدم استقراره في ذهن كل منهما فهو يتعلق بحالة معينة للمتكلم تتمثل في جهله بأمر ما فيَطلبُ العلم به[٤]،من المخاطَب ساعيًا لحمله على الإجابة[٥]، لذا فهو يُعد آلية من الآليات التوجيهية؛ لإنّه يوجه المرسَل إليه إلى ضرورة الإجابة عنه وتسيير الخطاب نحو ما يريدَه المرسِل [٦]،ومنهما جاء في هذه المقامة :((**ثُمَّ عَهدتُ شاعرًا كنتُ أعهده يَتَلهْوق ويَتَشَدق،ويَتَفَصْح ويَتَمَدح،ويَتَبَجّح ويَتَزَنّح ،وقلتُ له :هَاكَ ماتَحرزُ عليهِ أجرًا،ويُكسبُك بين الناسِ فخرًا،فابنْ لي أيُّ الأُهْلُوبين أبَدع ؟،وبالحقِ فاصدعْ**))[٧]*.

عمد المتكلم إلى مقولة الاستفهام آملًا استحصال معلومة يجهلها من مخاطَبٍ يعتقد أنّه يمتلكها وقادرٌ على إبلاغه بها،فبعد أن شكَّ (المتكلم) في رأي أحد الفلاسفة الذي استقلّ شرّ الحياة بالنسبة إلى خيرها،أراد تحري صحة أحد القولين:(الخير في الحياة أكثر من الشرّ أم العكس)،فجاء الاستفهام هنا فعلًا انجازيًا غرضه توجيه المخاطَب على الإجابة، وهو على حقيقته من طلب الفهم والإفهام،متخيرًا في هذا المقام واسم الاستفهام (أي)الذي يفيد التعيين ويُفسر بـ(همزة الاستفهام) و (أم) في طلب التعيين، والسؤال بها ما هو إلّا بنية سطحية لبنية عميقة فالقول: أيَّهما في الدار؟ الأصل فيه أزيدٌ في الدار أم عمرو؟[٨]،وجوابه يكون بالتعيين[٩]، وهو ما أراده المتكلم من سؤاله ،أي تعيين صحة أحد القولين،أمّا الأثر المرجو من الفعل الإنجازي الاستفهامي فهو تأثير سلوكي تمثله إجابة المخاطَب وهذا غير حاصل

---

[١] في النحو العربي (نقد وتوجيه) ، ٢٨٦.

[٢] ينظر: مفتاح العلوم، ٤١٥-٤١٦ .

[٣] الإنشاء في العربية، ١١٣.

[٤] ينظر: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء ، نواري سعودي ،٨٩.

[٥] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٥.

[٦] ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٣٥٢.

[٧] الساق على الساق،٨٦.

*يتلهوق: يبالغ في كلامه، ينظر:لسان العرب،٣٣٣/١٠(لهق)، يتشدق :المتشدق الذي يلوي شِدْقَه للتفصح ، ورَجلٌ أشدَق إذا كان متفوهاً ذا بيان، ينظر:لسان العرب، ١٧٣/١٠(شدق)، يَتَبَجَّح: يفتخر ويباهي بشيءٍ ما،ينظر: لسان العرب، ٤٠٦/٢(بجح)، يتزنح: التَّزَنُّح أن يرفع الإنسان نفسه فوق قدره ، لسان العرب ٤٦٩/٢(زنح)، الأُهْلوبين:الأُهْلوب: الأسلوب،ينظر:لسان العرب، ٧٨٨/١(هلب).

[٨] ينظر: المقتضب ،٢٩٤/٢.

[٩]ينظر: كتاب الأزهية في علم الحروف،علي بن محمد النحوي الهروي(ت٤١٥هـ)، ١٠٨ .

في الحدث الكلامي المنجز السابق؛لتهرب المخاطَب من الإجابة والمماطلة فيها وصرف السائل بحجة[١]،فالفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعها فقد يتحقق أو لا يتحقق التأثير المطلوب [٢].

ومن مقولات الاستفهام أيضًا قوله في هذه المقامة:((**ثم رأيتُ في طرفٍ آخر شخصًا نحيلَ البدنْ، طَوْيلَ الحَزَن أصفر اللون، أحمر العين، أضنَاهُ الهم، وأفناه السَقم والغَمّ،..... فقلتُ مَنْ هذا الشَخْص البادِي الكَمَد، البَالِي الجَسْد؟، فقال: هذا هو الحَسَد**))[٣].

يوجه المتكلم دليله ومرشده في المملكة الإنسانية سائلًا إياه عن شخصٍ رآه في رحلته الباطنية إليها،فمثّل قوله:(مَنْ هذا الشخص؟) فعلًا كلاميًا تكونت حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية تمثلت بالاستفهام دلت عليه حرفيًا قرينة أداة الاستفهام (مَنْ) التي يستفهم بها عن العاقل[٤]، وبالرغم من أنّ المستفهم عنه في هذا هذا الحدث الكلامي يُعد غير عاقل لأنّه يمثل صفة من الصفات المعنوية هي صفة (الحسد) نُزِّل منزلة العاقل في النص عن طريق تشخيصه، فسوّغذلك استعمال الأداة الموضوعة للعاقل في هذا المحل؛لأنّ أنسنة شعور ما ربّما يُحدث تأثيرًا مضاعفًا في متلقيه[٥]، وغرض الكاتب من ذلك رسم صورة مرعبة للصفات السيئة وتقبيحها في نفس المتلقي، فالخطاب الفني في المقامة ما هو إلّا نشاط لغوي يحاول فيه الكاتب تصوير مواقف شخصية أو اجتماعية متلمسًا العلاج لها حاشدًا بذلك حُلةً من الألفاظ مستعملًا أسلوبًا أدبيًا جميلًا[٦]؛بغية تكوين عوالم وشخصيات خيالية موازية للعالم الواقعي تتحدث لإيصال صوت المؤلف إلى القارىء عن طريق اللغة التي لا تكمن وظيفتها في إيصال المعلومات فقط بل تعمل على دفع المخاطَب لالتزام سلوكٍ معين أو تغيير معتقدٍ ما [٧]، وهو ما يسمى بالوظيفة التأثيرية للغة[٨].

ومن تمثلات الاستفهام ما جاء في هذه المقامة:((**فلمّا دخلا على القاضي حَيّاه الشيخ بالسَّلام وقال: أيّدَ الله شَرْعَ الإسلام،فكأنّ القاضي نَظَرَ إلى رَثاثَةِ بُرْدَيّه ،فلم يَحْفَلْ بالردِّ عليهِ ،فأخذتْ الشَيْخَ الحَميّة ،حَميّةُ الجَاهلِية ،وقال: أراكَ قد ارتَكبْتَ الخِلّة المَنْهيَّ عَنْهَا ،فَقَدْ قال الكِتَاب:إذا حُييّتم بتحيّةٍ فحيّوا**

---

[١] ينظر: كتاب الساق على الساق ،٨٧.

[٢]ينظر: آفاق جديدة، ٦٩.

[٣] المقامة الفكرية ،١٢.

[٤] ينظر: مفتاح العلوم، ٣١٢، ومعاني النحو، ٢٢٩/٤.

[٥] ينظر: تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث، د حمون هنة "أطروحة دكتوراه"، ٢٧.

[٦] ينظر: المقاربة النقدية التداولية للنص الأدبي التراثي، المقامة القريضية لبديع الزمان الهمذاني نموذجاً، دلال موشن، موشن، ٣٤.

[٧]تحليل الخطاب المسرحي في ضوء اللسانيات التداولية،١٧٨.

[٨] ينظر: اللسانيات الوظيفية ،٥٢.

بأحسن منها ،.....فخجلَ القَاضِي واعتذرَإليه،وقد عَظُمَ في عينيه،وقال: هل للَشيْخِ دعوى تُرْفَع ؟ قال: لا،بَلْ لصَاحبِنا دَعْوى لا تُسْمَع))[١].

أراد المتكلم من مخاطَبه إخباره بشيء لم يستقر في علمه فانتخب الدال (هل)الذي يقتضي الفعل،وهو أدعى للفعل من الهمزة ،ومما يُعزز مناسبتها للفعل أنّها تَعمل في الأفعال من حيث أنّها تخلص المضارع إلى الاستقبال[٢]،فجعلها ذلك ألصق بما هو زماني كالفعل ،إلّا أنّ ذلك يبدو منخرمًا في مقولة الاستفهام الواردة على لسان القاضي بقوله: (هل للشيخ دعوى تُرفع) بدخولها على الجملة الاسمية مما يُشعر بأهمية المطلوب بها وكمال العناية به[٣]،فهناك تناغمٌ بين الحالة النفسية للمتكلم والأسلوب الذي انتخبه مستفهمًا ،فهو –أي المتكلم- أراد التعبير للشيخ عن نَدَمِه عن سوء ما بدر منه من خلّة سيئة (عدم ردّ تحيته)مبادرًا بالاعتذار إليه؛لذا فاهتمامه وعنايته بدعواه (ما يسأل عنه) تُعد تعزيزًا لهذا الاعتذار والخجل ؛وعليه يمكن القول:إنّ هذا الاستفهام الذي جاء بالقصد المباشر كان مشوبًا بالعناية والاهتمام بالمسؤول عنه،والاستفهام بـ(هل) يوحي طلب الإجابة بأحد أحرف الجواب[٤]،وهو ماتحقق في إجابة المخاطَب بقوله:(لا) فتحقق بذلك الفعل التأثيري السلوكي المتمثل بتقديم الجواب المطلوب[٥].

٥-التوجيه بالنداء:

يُعد النداء نمطًا من أنماط الأفعال التوجيهية الهدف منه جذب المتلقي ولفت انتباهه حتى يقبل على أنجاز فعلٍ ما،فهو يحفز المخاطَب لرد فعل تجاه المتكلم [٦]،وهو عمل لغوي يتصدر بنيته الخطابية مورفيمات مخصوصة تتدرج في أدائها بحسب المسافة الفارقة بين المتكلم والمخاطَب أو ما يسمى في الدرس التداولي بـ (المركز الاشاري)[٧]،تنوب مناب الفعل المتروك إظهاره[٨]،إذ أرجع النحويون بنية النداء

---

[١] مجمع البحرين ،المقامة اليمنية ٤٢-٤٣.

[٢] ينظر:مفتاح العلوم ٣٠٩،والإيضاح في علوم البلاغة،جلال الدين القزويني (ت٧٣٩)، ٦٠/٣ ،والإنشاء في العربية العربية ١٨٦.

[٣] ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة ، ٦١/٣،وعلم المعاني ،دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ،د.بسيوني عبد الفتاح فيود،٣٨٩.

[٤]ينظر: معاني النحو، ٢٠٥/٤.

[٥] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٧.

[٦] ينظر: استراتيجية الخطاب،٣٦٠،ودراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ،مقاربة تداولية "بحث" ،أبو فرومة حكيمة ،١٢.

[٧] ينظر :النداء بين التداولية وأراء النحاة والبلاغين العرب القدماء"بحث"، د. أسيل سامي أمين ،٢٧٦.

[٨] ينظر: المقتضب،٢٠٢/٤، و النحو الوافي، ١٠/٤،والإنشاء في العربية ،٢١٨،.

التركيبية إلى بنية خبرية عميقة قدروها بفعل أريد أو أدعو[١]،ورأوا أنّ الأصل في قولك (يا محمد) هو: أدعو أو أنادي محمدًا،وحُذف الفعل واكتُفي بالحرف لِيَدُل على النداء؛لقصد الإنشاء؛لأنّ ظهوره يوهم الإخبار[٢]،بيد أنّ من المحدثين من خالف هذا الرأي وعدّ البنية الندائية بنية خاصة تؤدي فائدة التنبيه،وهي خالية من الإسناد ،وليس فيها معنى فعل مقدر ،وما يدل على النداء إنّما هو هذه المورفيمات التي تَسمه نحويًا ؛لِما فيها من دلالة التنبيه التي يفتقر إليها الفعل فيما لو قُدر بدلًا عنها[٣].

والنداء لا يعبر عن قضية ولا يتوفر على شروط المتواليات اللسانية التامة فبنيته الخطابية لا تفيد فائدة يُحسَن السكوت عليها ؛لأنّها غير مكتملة مما حَدى بالدكتور محمود نحلة إلى إخراجه من دائرة الأفعال الكلامية [٤]،وبالرغم من أنّ النداء لايمثل قضية ،فهو ليس له محتوى قضوي يُعبر عنه؛إذ يمكن الاستغناء عنه من دون أن يخل بمضمون الكلام،ولكن للنداء وظيفة تداولية هي تنبيه المخاطَب لفعل لغوي آخر[٥]،وهو ما أشار إليه سيبويه بقوله:((إنّ المنادى مختص من بين أمته لأمرك ونهيك أو خبرك...))[٦]،فهو دعوة المخاطَب للإقبال على الداعي،فكأنّه يقول له (أقبل) بصيغة الأمر ليطلب منه الإقبال عليه فإذا أقبلَ وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يوجهه لأجل انجاز شيء ماسيُقال له بعد هذا النداء[٧]،وبحسبان ذلك يكون النداء عملًا لغويًا انجازيًا دالًا على الطلب،وتتمثل انجازيته في التنبيه وتخصيص المخاطَب من بين أمته[٨]؛لتوجيهه لإنجاز ما يتلوه من أفعال،كونه بنية ممهدة مفتتحة لأعمالٍ

---

[١] ينظر: المقتضب، ٢٠٢/٤،والأصول في النحو،ابن السراج (ت٣١٦هـ)،تحقيق:عبد الحسين الفتلي ، ٣٤٠/١،والإنشاء في العربية، ٢١٧وهذا رأي المبرد الذي تبعه فيه جلّ النحاة فخالفوا بذلك رأيّ سيبويه في تأويل بنية النداء فهو يرى أنّ المنادى منصوب على الفعل المتروك ظهاره والذي يقدر بعد حرف النداء وإنّما حُذف لكثرة الاستعمال ،فأصل يا عبد الله ،يا أدعو عبد الله ،ينظر:كتاب سيبويه،١/ ٢٩١ ،والإنشاء في لعربية، ١٦٤

[٢] ينظر: النحو الوافي، ١٠/٤.

[٣]ينظر:الفعل زمانه وأبنيته ،د.إبراهيم السامرائي ،مطبعة العاني ،بغداد ،١٣٨٦ه،١٩٦٦م، ٢١٢، وفي النحو العربي نقدٌ وتوجيه ،٣٠٣-٣٠٤.

[٤]ينظر:آفاق جديدة ،١١٤.

[٥]ينظر أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ،٦٨٥/٢،ودائرة الأعمال اللغوية ٢٠٩،واستراتيجيات الخطاب ٣٦٠.

[٦] كتاب سيبويه ،٢٣٠/٢ – ٢٣١.

[٧]ينظر:دائرة الأعمال اللغوية ،٢٠٩

[٨]ينظر:كتاب سيبويه ،٢١٣/٢،وعلم المعاني ،بسيوني عبد الفتاح فيود ،٤١٠.

لأعمالٍ لاحقة،ويكون المحتوى القضوي أمرًا أو نهياً أو خبرًا،وما النداء إلّا تخصيص للمعني بهذه الأعمال[١].

ومن مصاديق استعمال النداء كفعل انجازي غرضه التنبيه ما جاء في قول المتكلم: **((اصْغُوا يا مَحَافِلَ القومِ، لِعَجَائبِ ما رَأيْتَهُ في سِنَةِ النوم،وهي إنّي عاينتُ تلالًا تزلزلتْ، وجبالًا تقلقلتْ، وأهويةً تَعاسَفَتْ...))[٢].**

هذا الخطاب موجه إلى جموعٍ من الناس كثيرة بدلالة قول المتكلم (محافل القوم)[٣]، فأراد لفت انتباههم انتباههم للإصغاء لما سيرويه لهم من خبرٍ تناول ما رآه في عالم النوم،مستعملًا لهذا النداء الأداة (يا)؛ لما لها من مدّ صوتي يناسب المقام الذي أنجز فيه النداء[٤]؛فهو في حشود من الناس كثيرة ،فكان من الأنسب مقاميًا استعمال هذه الأداة؛ليستطيع إيصال صوته وتبليغ خطابه لما لها من قيمة تداولية تتمثل في استعمالها للشيء الذي لا يَقْبَل إلّا بالاجتهاد[٥]،وهو ما ناسب قصد المتكلم في جذب انتباه مخاطبيه وحثهم للاهتمام بموضوعه[٦] واستطاع المتكلم إحداث التأثير في المخاطب، إذ تجمع عليه القوم واستمعوا إلى ما أراد قوله ، وبذلك فقد تم انجاز عمل النداء وتحقيق التواصل بين الطرفين.

ويُستعمل النداء والمخاطَب مصغٍ للمتكلم مقبلٌ على حديثه؛ وقَصْد المتكلم من وراء ذلك تقوية معنى كلامه وتوكيده[٧]، ونجد مصداق ذلك في قول شيخ الأطباء لأحد المتطببين وقد صَدّر نصائحه بالفعل الانجازي الندائي قائلًا: **((يا بُنيَّ، لا تجلسْ على الطَعام إلاّ وأنتَ جائعٌ، وقُمْ وأنتَ بما دونِ الشَّبعِ قانع، وباكِرْ في الغداء، ولا تتماسَ في العَشاء))[٨].**

فالمقام مقام وعظٍ ونصحٍ والمخاطَب كان طالبًا لهذا النصح والوعظ بدليل قوله للشيخ :((فلعلك توصيني بما يكون غُنْية اللبيب ،عندَ غَيبةِ الطبيب))[٩]؛ لذا فهو منتبه مصغٍ للمتكلم لكنّ المتكلم أراد توكيد معنى كلامه وتثبيته في نفس متلقيه ؛لاشتماله على نصائح مهمة تتعلق بالصحة،فاستعمل لذلك النداء؛ ليلفت انتباهه أكثر لِما سيُلقى بعده ،واسمًا هذا النداء بالدال (يا)مع استعمال إشارية اجتماعية تخاطبية هي (بُنيّ) وذكرها بصيغة التصغير يشي بدلالة التحبب والتودد ،موظفًا الجانب العاطفي؛ليعبر عن حالة من

---

[١]ينظر:أصول تحليل الخطاب ٢/٦٨٥-٦٨٦،والإنشاء في العربية ١٦٣،والإستراتيجية التوجيهية في سورة مريم ١١.

[٢] كتاب علم الأدب، المقامة الديرية، ١/٢٧٨.

[٣]والمحفل : (مجتمع الناس ويجمع على محافل، وتحفّل المجلس كَثُــرُ أهله) ،لسان العرب، ١١/١٥٧(حفل).

[٤] ينظر: المقتضب، ٤/٢٣٤ – ٢٣٥.

[٥] ينظر: معاني النحو، ٤/٢٧٥.

[٦] ينظر: النداء في القرآن واللغة ،د.احمد محمد فارس ، ١٦٠ .

[٧] ينظر: النحو الوافي،٤/٥.

[٨] مجمع البحرين، المقامة الطبية، ١٨٢.

[٩]نفسه والصفحة نفسها.

التضامن بينه وبين المخاطَب؛لاستمالته وجعله طيعاً للأخذ بالتوجيه المطلوب ولاسيّما أنّه في سياق نصح وإرشاد ،فالنداء في جانبه التداولي جاء لغرض التودد والتضامن مع المخاطب لا لأجل النداء المحض،وليكون مرحلة ممهدة سرعان ما تطوى لينتقل المتكلم منها إلى تحقيق مقصودٍ أهم منه تمثل بما تلاه من أفعالٍ انجازية تراوحت بين الأمر والنهي[١]، وكأن النداء يُهَيء النفس ويعدها لتتلقى ما يأتي بعده من أساليب؛ لأنّه يوقظ الذهن ويلفت الانتباه، فإذا جاء بعده نهيًا أو أمرًا أو استفهامًا فإنّه سيصادف نفسًا يقظة فتلقاه بحسٍ واعٍ، وذهن منتبه[٢].

ويقوم النداء كفعل خطابي بحفظ استمرارية التواصل بين المتكلم والمخاطب حين يورد المتكلم النداء في ثنايا خطابه منبهًا على استمرارية عملية التخاطب مع المخاطب[٣]، ومنه ما جاء في قول المتكلم لمخاطبة (الفقيه) طالبًا رأيه في إحدى المسائل قائلًا:((**افتني أيُّها الفاضلُ الأحذق أيُّ القولين عنْدكَ أحقُ وأصْدق**))[٤].

يلحظ أنّ الإستراتيجية التوجيهية مهيمنة على هذا الخطاب بلحاظ التوجيه الأمري، والندائي،والاستفهامي،وجاءت مقولة النداء في ثنايا كلام المتكلم لينبه على استمراريته التواصلية مع مخاطبه،مستغنيًا عن دال النداء(يا)*؛ لأنّ المسافة بين المتكلم والمخاطب ذات سمة دنيا[٥]،فضلًا عمّا يحققه حذف مورفيم النداء من السرعة في التوجيه واسترعاء انتباه المتلقي[٦]،ووصَف المنادى بمعرفة وخصّه بوصْف (الأحذق)؛ليدُل على أنّه يملك المواصفات التي تؤهله لكل ما أراده منه، وقد تحقق التواصل بين الطرفين بإقبال المخاطَب على المتكلم بقوله:((أمّا إذ جئتني مستفتيًا ورمتَ أن تكون برأيي مُسْتهديًا ... فأنّي أقول لك بعد التروي .. أنّه لابد من عدّ ألفاظ القولين وإحصاء حروف الجَدْولين ،فما كان منها أكثر حروفًا ،فهو أرجح وأحسن تأليفًا))[٧].

وقد يستغني المتكلم عن دال النداء تعظيمًا للمنادى وإجلالًا له[٨]،وورد مصداق ذلك في قوله شعرًا[١]:

---

[١] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،٢٠٩.

[٢] ينظر: علم المعاني،بسيوني عبد الفتاح فيود، ٤١٨.

[٣] ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي، د. احمد المتوكل،١٠٦، والنداء بين التداولية وأراء النحاة والبلاغين العرب القدماء ،٢٧٢.

[٤]كتاب الساق على الساق، ٨٦.

*وتقدير الكلام في هذا الملفوظ (يا أيّها الفاضل الأحذق)، إذ لا يُقدر عند الحذف إلاّ المورفيم (يا)؛ لأنّه أكثر المورفيمات استعمالاً في النداء،ينظر: مغني اللبيب، ٤٤٧/٤.

[٥] ينظر: النداء بين التداولية وأراء النحاة والبلاغين العرب القدماء، ٢٦٧.

[٦]ينظر:معاني النحو، ٢٧٦/٤ –٢٧٧.

[٧]الساق على الساق، ٨٦.

[٨]ينظر:أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،د.قيس إسماعيل الأوسي ،٢٦٨.

أبا حسنٍ قد طِبْتَ حيًا وميتًا وفي نَجَفٍ أشرقْتَ كالكوكبِ الدُّرِّي

فقوله: (أبا حسنٍ) نداء استغنى فيه المتكلم عن مورفيم النداء،وتقديره: (يا أبا حسنٍ)، وبالعودة إلى سياق النص نجد أنّ النداء يتجه إلى إبراز صفات المخاطَب والثناء عليه،ولمّا كان السياق سياق مدحٍ وتبجيل للممدوح (المنادى)،فقد تساوق الحذف مع مقام التعظيم والإجلال لشخص المنادى ؛ذلك أنّ النداء يتشرب معنى الأمر وعند حذف (يا النداء) يزول معنى الأمر ويمحض الإجلال والتعظيم[٢]*،فضلًاعمّا يوحيه هذا الحذف الذي يُعد وسمًا للمنادى القريب[٣]،من حضور ذهني وقرب روحي للمخاطَب (المنادى) لدى المتكلم فبالرغم من غياب المخاطَب هنا حسيًا وبصريًا عن مدارك المتكلم غير أنّه حاضرٌ في وعيه وخاطره كأنّه مشاهدٌ أمامه ؛وكي يعبر عمّا يضمره له من حبّ وقرب نفسي ؛ولإبراز ذلك للعيان استعار رمزية حذف دال النداء الخاص بالمنادى القريب ؛ليستشعر قربه من المنادى قرب النفس والقلب لا القرب المادي.

ثالثًا: التعبيريات

يُطلق مصطلح التعبيريات ويراد به تلك الأفعال الكلامية التي ((يُعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الرضا والغضب والسرور والحزن والنجاح والفشل ...الخ وليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل وتنعكس أثاره النفسية والشعورية على المتكلم))[٤]، والغرض الانجازي لهذه الأفعال التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوفر فيه شرط الإخلاص أو الصدق[٥]، ذلك الشرط الذي إذا ما تحقق أُنجزت هذه الأفعال إنجازًاتامًا[٦]، ولا اتجاه مطابقة لهذه الأفعال؛ لأنّها لا تغير العالم الخارجي كأصناف الأفعال الكلامية الأخرى، فالمتكلم لا

---

[١]ريحانة الألبا،٣٧٩/٢.

[٢]ينظر:البرهان في علوم القرآن،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ) ، ٢١٣/٢، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٢٦٨.

* لمّا كان النداء طلب متكلم من مخاطب ،فقد أُولَ بأنّه مشتق من الأمر–كما هي الأعمال الطلبية جميعها – فيكون النداء أمرًا بالإقبال أو التنبيه ، ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ٢٠٨.

[٣]ينظر:التبصرة والتذكرة،لأبي محمد عبد الله بن علي بن اسحق الصيمري ،٣٥٧، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ٢٦٧

[٤] آفاق جديدة ،١٠٤.

[٥] ينظر:التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد٢٣٤، وآفاق جديدة ٨٠، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د. احمد المتوكل ، ٢٥.

[٦] ينظر: آفاق جديدة، ١٠٤.

يسعى أن يجعل كلماته تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق كلماته، وهذا ماجعل سيرل يعبر عن هذا الخلو في اتجاه المطابقة بـ (الاتجاه الفارغ)[١].

وتندرج تحت هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار، والتعزية، والترحيب، والتمني، والشوق والحبّ، والكره، وكثيرٌ من الأفعال التي أدرجها أوستن ضمن أفعال السلوك[٢]، ويمكن مقاربة ماينضوي تحت هذا الصنف من الأفعال على النحو الآتي:

١- التعجب: يُعد التعجب فعلًا كلاميًا تعبيريًا نفسيًا؛ لأنّه انفعال يَعرضُ للنفس حين تستعظم أمرًا نادرًا لقلة اعتياده أو مجهولًا خَفي السبب[٣]، وقد خصص نظام اللغة للتعجبصيغتين قياسيتين: (ما افعلَه، وأفعلْ به)، هما من صيغ التعجب القياسي أو التعجب المبوب له[٤]. وهناك أيضًا نوع آخر للتعجب وهو وهو التعجب غير القياسي أو (غير المبوب له)، ويشمل ألفاظًا مثل: سبحان الله، لله دره، ويلمه، لله أنت، والاستفهام المجازي الذي يخرج لغرض التعجب، أو ما يكون بألفاظ التعجب مثل عجب،وما يشتق منها[٥].

ومنْ مصاديق التعجب في المقامات والذي ورد بصيغته القياسية (ما أفعلَه) قوله في هذه المقامة:**((قلتُ:وماذا حَمَلك على أنْ تُحبطَ عَمَلكَ، قال: وَصَلْتُ إلى هذه البِلادِ، وقد خَلَّتْ وَفْضَتِي من الزاد، فتوصلتُ إلى القَاضِي بسببٍ لِعلمي أنّه أطغى من فِرْعَونَ ذي الأوتاد، وأَبْخَلُ من كِلابِ بني زِياد، ورَصَدْتُ له حتى طَلبَ دينارَ القَضَاء، فكان عليه أشأمَ من رَغيفِ الحَولاء، فقلتُ للّهَ دَرُّك ما أَطولَ بَاعك، وأَهَول قاعك....فعَجِبْتُ من أفانينِه في المَكْر))**[٦]*.

---

[١] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي،جون سيرل ، ١٨٤، ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ٣٢،

[٢]ينظر: آفاق جديدة، ٨٠، ومحاضرات في فلسفة اللغة، ١٢٠، والأفعال الإنجازية، ٦٢.

[٣] ينظر: شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي ٣٠٧/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية،د.احمد مطلوب ٧٤/٢، والنحو الوافي ٢٤٢/٣

[٤] ينظر: كتاب سيبويه، ٧٢/١، ومعاني النحو، ٢٣٨/٤.، والأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ٩٣-٩٤.

[٥]ينظر: معاني النحو، ٢٥٢/٤، والنحو الوافي، ٢٤٢/٣-٢٤٣.

[٦]مجمع البحرين، المقامة اليمنية، ٤٥

*كلاب بني زياد: يُضرب بها المثل في البخل ؛ لشدة بخل القوم فإنّها لا تزال جائعة حريصة على ما تناله ، الحولاء: امرأة من العرب كانت في بني سعد ، فخطفَ رجلٌ رغيفاً عن راسها فشاجرته وأتسع الخصام حتى اتصل بين الأحلاف فقُتل فيه ألف رجل ، ينظر: مجمع الأمثال ،٣٨٢/١ ، ومعجم المصطلحات التعبيرية /محمد دحروج ، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط١ ، ١٠٥، وهامش مجمع البحرين، ٤٥.

هيمنت على هذا النص عدة تعبيرات تعجبية وبتجليات بنيوية مختلفة جاءت لتعبر عن الموقف الانفعالي والنفسي للمتكلم وغرس التعجب في نفسه من أفانين مكر الشيخ وما رآه من حيله مع قاضي البلاد والاستحواذ على ماله، ومن تلك الدوال التعجبية استعمال الصيغة القياسية المسكوكة له (ما أفعله)في قوله:(ما أطولَ باعك)، أمّا قوله:(أهولَ قاعك) هو تعجبٌ ثانٍ عطف على التعجب الأول، ثم يأتي استعمال التعبير التعجبي غير القياسي في قوله:(لله درك)[١]، ناهيك عن استعماله الفعل التعبيري النفسي (عَجبتُ)بهيأة الفعل القضوي الإخباري؛ ولمّا كانت هذه الأفعالتعبير عما يختلج في نفس المتكلم؛ لذا فليس لها واقع حتى تطابقه، أمّا شرط الإخلاص فقد تحقق في التعبير، فالمتكلم صادق النية في مشاعره وانفعالاته بدليل ملازمته المتعجَّب منه وبقائه معه إعجابًا به وهو ماتفصح به المتوالية اللسانية اللاحقة في قوله :((فعجبتُ من أفانينه في المكر وأساليبه في النظم والنثر، وعَدلتُ إذ ذاك عن الرحيل إلى المقام))[٢].

أمّا التعجب بالصيغة القياسية (أفعلْ به) فقد جاء مصداقه في قول ابن ميمون في مقامته التي يُمجد بها الملك محمد بكداش بعد فتح حصن الجبل:**((وأيّدَ الله أمْرَه الرَفيع تأييداً وألهَمَّه شُكرًا لا يُعدم منه مزيدًا، وجعلَ سَيْفَه الماضي. كلما تقلد لأبواب الفتوح إقلِيدا، ويَسْتأنِف به الإسلامُ عِزًّا جديدًا ... ويُذيقُ الكافرين بأسًا شديدًا ... أكْرِمْ بهِ منْ أميرٍ أصبح الغربُ بنُورِ دَعْوَتِهِ مُشْرِقًا))**[٣].

عبّرالمتكلمباستعمال صيغة التعجب القياسية (أفعلْ به)عن انبهاره بشخصية ممدوحه – الملك بكداش– وما يكنّه له من مشاعرفي قوله: (أكرم به)، محاولاً أشراك المتلقي معه في هذه المشاعر؛ لِما في هذه الصيغة من دعوة جماعية للتعجب، من دون صيغة (ما افعله) التي تدل على تعجب فردي لا جمعي يقوله المرء متعجبًا من شيء ما[٤]؛ لذا فقد ناسبت هذه الصيغة ما أراده ابن ميمون، وهو أشراك القارئ وجعله متفاعلًا معه،والقوة الإنجازية للفعل هي التعجب الذي دلت عليه الصيغة الحرفية للملفوظ متضمنًا معه غرضًاآخر هو المدح، فعلى مستوى التداول مثلًا عندما تقول لصديقك: لقيت اليوم فلانًا ، فيرد عليك قائلاً:أنْعِمْ به وأكرمْ في معرض مدح الشخص الذي ذكرته له، ولو تأملنا في هذه الصيغة للحظنا أنّها تَساق للتعبيرعن الإعجاب في معرض المدح، وليس هذا القول بجازم بل هو رأيٌ مطروح .

---

* والباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتها، ويقال فلان قصير الباع: أي عاجز أو قليل الخبرة، أمّا طويل الباع فهو عكسه: أي رحب كثير الخبرة، ينظر: لسان العرب، ٢١/٨(بوع)، و ٤٢٢/١٥(يدي)، وتاج العروس ٣٤٥/٤٠، ، والقاع: الأرض المستوية الواسعة في وطاءة من الأرض، ينظر: لسان العرب، ٣٠٤/٨(قوع).

[١] ينظر: معاني النحو ،٢٣٨/٤، ٢٥٢.

[٢]مجمع البحرين، ٤٥.

[٣] التحفة المرضية ،٢١٨.

[٤] ينظر: معاني النحو، ٢٤٤/٤.

وجاء التعجب في المقامات بصيغٍ سماعية أيضًا ومن هذه الصيغ صيغة (لله در)و(لله أنت)وهي من العبارات التي استعملت في التعجب، ومعنى (لله درّ)في الأصل: لله لبنه، أي أنّ الله أسقاه لبنًا خاصًا، ثم ضمّن معنى التعجب فأصبح يستعمل فيه[١]، فهي تراكيب مجازية نُقلت للاستعمال في التعجب فأصبحت تقال ممن يَمدح ويتعجب[٢]، وهي من الملفوظات التي تدل على التعجب لا بالوضع بل بقرينة[٣]، ومما جاء بهذه الصيغ في المقامات وذلك في قول الجنود لقائدهم الملك بكداش بعد أن استخلف عليهم صهره لينوب عنه في أداء أمورهم في هذه المقامة:**((....فقالوا كُلّهم :أنْ نَعْم، لله دره من خَلِيفَةٍ وأَنْعُم))**[٤].

عبّر المتكلمون عن إعجابهم بخليفة الملك المتولى عليهم؛ لِما يحمله من صفات الشجاعة والكرم والعفة والحياء[٥]، باستعمالهم الملفوظ اللساني (لله دره) الذي جاءبقوة انجازية مباشرة وبدلالة حرفيةدلت على التعجب وتضمّنتإلى جانبه غرضًا آخر هو المدح؛ لأنّهذه التراكيب متى أُطلقت فإنّه يراد منها التعجب من شيء عظيم يستحق المدح، والدليل انّه متى ما أريد الذم فلا يطلق هذا التركيب بل يقال:لا درّ دره ، أيّ لا كثر خيره لذم العمل المتعجب منه[٦]وتولد عن هذا الفعل الكلامي المباشر فعلًا إنجازيًا مستلزمًا هو قبول المتكلمين واعترافهم بتولي هذا الخليفة عليهم.

وقريبٌ من هذا الملفوظ قولهم (لله أنتَ) وهو أيضًا من التراكيب الدالة على التعجب[٧]، الذي استعملته العرب للتعجب دون قياس[٨]، وجاء في هذه المقامة:**((فلمّا وَقَفُوا على تِلْكَ المَسَائِل ،رَأَوْها من المَشَاكِل، فقالوا له:لله أنتَ فقد أحْسَنتَ))**[٩] .

يأتي هذا الملفوظ على لسان عصبة من العلماء معبرين عن إعجابهم بالشيخ الذي أوضح عددًا من المسائل الإعرابية المشكلة في اللغة العربية ، مشفوعًا باستحسانهم له بقولهم :(فقد أحْسَنتَ)، وقد توفر الفعل التعبيري هذا على شرط الإخلاص المتمثل بجزاء الشيخ والإغداقعليه بالمال والهدايا[١٠].

---

[١]ينظر: معاني النحو، ٢٥٢/٤.

[٢] ينظر: لسان العرب ،٢٧٩/٤(درر).

[٣] ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)،٨٨٥/٢

[٤] التحفة المرضية ،٢١٠.

[٥] ينظر:التحفة المرضية،١٤٤.

[٦] ينظر: لسان العرب، ٢٧٩/٤(درر).

[٧] ينظر: معاني النحو ،٢٥٠/٤.

[٨] ينظر المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ،علي توفيق الحمد ، ويوسف الزعبي ٢٨٥.

[٩] مجمع البحرين، المقامة الكوفية، ٥٨.

[١٠] ينظر: مجمع البحرين، المقامة الكوفية، ٥٩.

٢- المدح والذم: هو عمل لغوي وليس لهذا العمل اللغوي تجلٍ في الخارج بل الموجود هو متعلقه الذي اقتضى المدح أو الذم[١]؛ لأنّهتعبير عن أشياء في نفس المتكلم، فهو لا يريد وصف الجودة أو الرداءة الواقعتين خارجًا بل يكمن أثره في الاستحسان أو التقبيح[٢]، والمدح إيقاع ينجزه المتكلم بألفاظ المدح عندما يريد مدح شخص أو شيء وأدواته وأساليبه كثيرة بعضها يؤدى بدلالة صريحة مثل (امدح، اثني، استحسن ...) أو أفعال مثل نِعْمَ ، حبّذا[٣].

وقد وردت في المقامات (نِعْمَ) دالة على المدح في هذه المقامة:**((فقال: إنّ ليلى قد فَصلت عن مجلسنا المعهود، ولنا موعدٌ انتظرها به أن تعود، فإذا لَقيتَ الأُستاذ فَقل له المعذرة ،وإنّ غدًا لناظِره قريبٌ، فمن يَعشْ يرَه، قُلتُ:أوهي ذاتُ اللبن؟قال: إن لم تكن هي فمن؟ قلتُ: إنّها لنِعْمَ البنية))**[٤].

فالمتكلم في هذه المقامة يفصح عن استحسانه بقوله: (نِعْمَّ البُنية)؛ للتدليل على جودة الممدوح في الخارج منتخبًا الدال (نِعْمَّ)، وهو فعل؛ لأنّه يعمل عمل الأفعال[٥]، ومستعملًا النسق اللساني المتكون من (فعل المدح + الفاعل)، وحَذَف الركن الثالث (المخصوص بالمدح) وهو ليلى؛ لتقدم ما يدل عليها في الكلام ويغني عن ذكرها[٦]، معبراً بذلك عن دواخله وعاكسًا الآثار النفسية والشعورية تجاه الممدوحة، قاصدًا مدحها مدحًا عامًا غير مقتصرٍ على صفة معينة، ومن دون تقييد بذكر خصلة من خصال المدح في الممدوح بما أوحته دلالة فعل المدح (نِعْمَّ)[٧]، وقد ضمّ المتكلم لفعل المدح مورفيم التوكيد(إنّ)واللام التي التي تفيد التوكيد أيضًا[٨]؛ ليؤكد قصديته لمدح ممدوحه، وتحقق الفعل في نفسه ؛ لذا يمكن القول: إنّ الفعل قد أنجز انجازًاتامًا.

أمّا ما ورد من الفعل (حبّذا) فمصداقه قوله:**((قالوا :قد كَتبَ ربّك على نَفسه الرَحْمة ، ولكن ما كلُّ سوداءَ تمرَّة ، ولا كلُّ بيضاء شحمة ، فإنّ الناس قد لَؤموا وجَشِعوا ، حتى لو سُئِلوا التراب أوشكوا أن يمَلّوا ويَمْنَعُوا، فإنْ شئتَ أن تجاورنا غَيِّرْ هذه الشَّيْبَة ، وتكتفي ذُلَّ السُؤالِ وغَصّة الخيبةوإلّا فَخُذ هذه النِّحْلةَ ، واعتمد الرِّحْلةَ ، قال: حبّذا جِوارَكم لولا ضَفَفٌ خَلَّفْتُ، ومَوْعدٍ أخْلَفْتُ))**[٩]*.

---

[١] ينظر: الإنشاء في العربية، ٢٩٣.

[٢] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ١٢١.

[٣] ينظر: معاني النحو ٢٥٤/٤ ، والنحو الوافي ٢٦٠/٣، و٢٦١، و٦٩، والإنشاء في العربية ،٢٩٢.

[٤]مجمع البحرين، المقامة البغدادية،٤٩.

[٥] ينظر: كتاب سيبويه ،١٧٦/٢-١٧٧.

[٦] ينظر: النحو الوافي، ٢٦٨/٣.

[٧] ينظر: معاني النحو، ٢٥٤/٤، والنحو الوافي، ٢٦١/٣.

[٨]ينظر: الجنى الداني، ١٣٤.

[٩] مجمع البحرين، المقامة النجدية، ٣١١.

* قوله: (ما كلُّ سوداء تمرة ولا كلُّ بيضاء شحمة) مثل يُضرب في موضع التهمة ، ينظر: مجمع الأمثال ٢٨١/٢.

كي يستميل المتكلم قلوب المخاطبين من القوم وكسب ودهم ومن ثمّ دفعهم إلى عطائه ، عبّر لهم عن حبّه واستحسانه مجاورتهم، وقرب هذا الشيء من نفسه وقلبه منتخبًا لذلك الفعل الموضوع للمدح هو(حبذا)[١]، الذي يُزاد على الفعل (نِعْمَ) أنّ الممدوح بها محبوبٌ للقلب[٢]، وهو ما يساوق قصده وغايته؛ولأنّ المتكلم لايريد فعلًا مجاورة القوم، بل عبرّ لهم عن ذلك لأخذ العطاء، فهو شخصية تعودت على الإتيان بكل فنون المكر والدهاء ولبس أثوابٍ وأقنعة مختلفة لكديته ومن اجل غنيمته؛ لذايمكن القول: إنّ شرط الإخلاص لم يتحقق في هذا الفعل، ومن ثَمَّ فإنّ الفعل لم ينجز انجازًا تامًا، ولكن ورغم أنّ الإنجاز لم يكن تامًا غير أنّ هذا الفعل قد أحدث تأثيرًا في المخاطَبين تمثل بإكرامهم للمتكلم بأن ((وصلوه كل واحدٍ بدينار،وأرحلوه ناقةً ذات سفار))[٣]، وامتزج مع هذا الفعل الإنجازي التعبيري المباشر فعلٌ تعبيريٌ آخر غير مباشر تمثل في الاعتذار، فقوله:حبذا جواركم لولا صفف خلفتُ، وموعدٍ أخلفت[٤] يمثل اعتذارًا من القوم بعدم قدرته على مجاورتهم، وهذا معنى مقامي بعكس المعنى الأول الذي يؤخذ مباشرة من تركيب العبارة ، فجاء الفعل التعبيري الدال على المدح بقوة انجازيةمباشرة ممتزجًا مع فعل تعبيري غير مباشر تمثل بالاعتذار.

أمّا الذم فقد جاء بالدال (بئس) الموضوع لإنشاءالذم[٥]، وقد تمثل في توظيف ابن حمادوش لهذا الفعل في مقامته التي يصف فيها نزوله في احد أسفاره في خانٍ فيقول في ذلك ذاماً ذلك الخان:**((كأنّه من أبيَاتِ النيران .....لايُسَرُ بهِ النَاظر، ولايَنْشَرحُ له الخَاطِر، فاختَصصتُ منه بحُجْرَة .... حتى مدّ الليل جناحَه... .....وهدأتْ الأصوات ، وصرنا كالأموات ، وتوغلتُ في حَبَائِلَالنَّوم، ولم أدْرِ ما هنالك من القَوْم، فلَمْ يُوقظني إلاّ جَلَبة الأصْوات ...وإذا بجارِي بَيْت بَيْت ، يُحاسِبُ قينةَ على كيت كيت.....فقلتُ :بُعدًا لهذا الجار ، ولاشكَ أنّه بِئْسَ القرار، ولبِئْسَ الخان))**[٦].

المتكلم هنايسند معنى الذم إلى ذلك الخان لِما رآه فيه مما لا يسر الناظر من ارتكابالمعصية والرذيلة وهو ما يُستشف من سياق النص، وبدليل القول:((أنّه من أبيات العصيان))[٧]، وعبّر عن سوء ذلك

---

[١] ينظر: النحو الوافي، ٢٦٢/٤.

[٢]ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ٣٨/٣، وأسرار العربية ،ابو البركات الأنباري (ت٥٥٧هـ) ، ١١١ ، ومعاني النحو، ٢٦٢/٤،

[٣] مجمع البحرين، المقامة النجدية ،٣١١.

[٤] والضفف: كثرة الأيدي على الطعام، ينظر: معجم العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ١٢/٧، وتهذيب اللغة/ محمد بن احمد الازهري(ت٣٧٠ه)، ٣٢٤/١١، وقصد المتكلم بذلك كون عياله كثيرة لا يستطيع تركهم ؛ لأنّه من يقوم على تكفل معيشتهم.

[٥] ينظر: معاني النحو، ٢٥٤/٤.

[٦]رحلة ابن حمادوش الجزائري ، ٧٨-٧٩.

[٧]رحلة ابن حمادوش الجزائري، ٧٩.

المكان، وأوقعه بالفعل الصريح (بئس) الموضوع للذم العام، ذماً لايقتصر على صفة معينة من صفات الذم، بل يشمل العيوب كلها؛ مبالغة في الذم[١]، وليس قصد المتكلم وصف رداءة المكان بل تقبيح قبح ذلك المكان؛لأنّه لا تجلي لفعل المدح أو الذم في الخارج ((إنّما الموجود في الخارج هو متعلق المدح أو متعلق الذم))[٢]، وقد واكب هذا الفعل جملة من التعابير دلت على الذَّم أيضًا لكن بقوة انجازية غير مباشرة هي:كأنّه من أبيات النيران/لا يُسر به الناظر/لاينشرح به الخاطر، وقام المتكلم بتعديل قوة منطوقه الإنجازية مستعملًا وسائل تركيبية تمثلت بـ(أنّ التوكيدية)التي صدّر بها فعله التعبيري ولام التوكيد الداخلة على دال الذم (بئس) فضلًاعن تكراره؛ ليؤكد قصديته في الذم.

٣- التمني: التمني شيء وجداني يعتمر في نفس المتكلم، وهو تشهي حصول الأمر المرغوب فيه الذي لايُرجى حصوله ، أمّا لكونه مستحيلًا أو لكونه غير مطموع في نيله[٣]، وينماز عمل التمني ضمن دائرة دائرة الأعمال اللغوية بالتراكب بين مقولة الإمكان السلبي القائمة على اعتقاد المتكلم امتناع حصول محتواه القضوي، وبين مقولة الإمكان الإيجابي القائم على إرادته حصوله[٤]، وهذا التراكب جعل من التمني فعل انجازي متذبذب، فيدخل ضمن صنف التوجيهيات ؛ لأنّ أساس التمني طلب، ويخرج منها في أنّه طلبٌ لا يمكن تنفيذه من المخاطَب ؛ أمّا لاستحالته أو لكونه غير مطموع به [٥]، ودخوله في صنف التعبيريات أنجع؛ لأنّهوسيلة تعبيرية عن انفعال ذاتي وهواجس نفسية تراود المتمني مأتاها هذا التضارب بين اعتقاد المتكلم ورغبته في حصول ما يتمناه ، وبين الواقع الذي يجعله غير ممكن أو مستحيل، وهذا التضارب يلخصه تحسر المتكلم الذي يقتضي من المخاطَب ضربًا من المشاركة الوجدانية إشفاقًا أو تفاعلًا[٦]، فهو أسلوب قائم على أساس نفسي وغرضه البوح فقط لا التحقق الفعلي.

وجاء التمني فيخطاب المتكلملمجموعة من النسوة الحسان في هذه المقامة قائلًا: **((خرَجْتُ من بيتي كئيباً مبتئسًا ، ساخطًا على جميع النسا، فبينما أنا في بَعض الطريق ، إذ مرَّ بي سِربٌ منهن يَخطرُ بالثوب الصفيق، والحُلي ذي البريق .....فتاقتْ نفسي إلى وصالهنَ ، وتبلبل بالي بجمالهُنَ، ونَسِيتُ ما لقيْتُ ، من لُكاعي في البيت ، وقُلتُليتكن لي لو تنفع ليت))[٧].**

---

[١]ينظر: معاني النحو، ٢٥٤/٤، والنحو الوافي، ٢٦١/٣.

[٢]الإنشاء في العربية، ٢٩٣.

[٣]ينظر: التعريفات، ٦٩، ومعجم المصطلحات البلاغية ،٣٥٣/٢.

[٤]ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٩.

[٥] ينظر: معاني النحو، ٣/ ٢٧٧.

[٦]ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٩ .

[٧] كتاب الساق على الساق، ٤٦٤.

جاء فعل التمني الواقع في المتوالية اللسانية (ليتكن لي)كوسيلة للإفصاح عمّا في نفس المتكلم من رغبة هي: لو أنّ ذاك السرب من النساء الحسانكُن له زوجًا بديلًا عن زوجه ؛ لِما يعانيه من لُؤمها وحماقتهابعد أن أطبق الابتئاس والسخط على قلبه مما قاساه منها، فكان التمني هنا تعبيرًا عن انفعالٍ ذاتي يمثله التحسر على رغبته فيما لا طمع في حصوله على وجه الحقيقة، وغرضه البوح لا التحقق في الواقع؛ لِما يبدو من سياق الواقعة اللغوية بأنّ كلّ واحدة منهن كانت زوجًا لغيره ، وكأن التمني جاء كوسيلة تعويضية للمتكلم عمّا ينقصه في الواقع الخارجي، وإنْكان مدركًا تمامًا بامتناع تحقق محتواها القضوي، بدليل استدراكه بالقول:(لو تنفعُ لَيْتَ)، أمّا المخاطَب فقد اقتصرت وظيفتهعلى المشاركة الوجدانية للمتكلم فحسب[١]، إذ أجابته كل واحدة منهن بأنه ليس وحده الذي يلاقي الضرّ من زوجه بل كل زوجٍ من أزواجهن[٢]، وبذلك فقد حصل التفاعل بين الطرفين.

ومنه ما جاء أيضًافي هذه المقامةالتي تصور حال الفتى الذي ضربه الدهربمخالبهمبدلًا حاله إلى الفقر بعد الغنى، فراح يقصد صديقًا قديمًا لوالده ؛ ليجتني من روض فضله وإكرامه ، يقول المؤلف مصوراً هذه الحال:**((فوَصَلَ إلى دارِه في حَالةٍ رَدِيْئةٍ، وهَيْئَةٍ مُسِيئَة ، يكادُ يَرْثِي لها الحَسُود، وتَصفُو لها القُلوبُ السُود، .....، ودَخَلَ الدَّارَ وخُدَّامُها عَنهُ مُنْقَبضون، مُغْضِون ومُعْرِضُون، ....فخَجَلَ من أوضَاعِهم، وسَخَطَ من طِبَاعِهم....، فما كان إلاّ أنْ أخْرَجَ الرَجلُ رأْسَهُ من شُبَّاكٍ قَصِيّ، وأَرسلَ إليه على لسانِ غُلامٍ خَصِي، يقول:أنا غيرُ مُنْبَسطٍ للكلام ، فأذهبْ بسَلام، فما سَمَعَ الفتى ماسَمع ، كادَ فُؤادهُ يَنْخَلع، حتى تخيّلَ أنّ الأَرضَ أبتَلعتْهُ، أو الرِّيحَ اقتلعتْهُ ، وأسْرعَ بالخروج يبتدرُ البَابَ وسارَ ودُموعهُ تَسْبِقَهُ ، وزَفَرَاتُهُ تَحْرَقُهُ، وهو يَقول :تباً لهذا الغَادِر....ياليْتَنيمِتُّ قبل هذا أو ليْتَني لم أكنْ خُلُقْتُ))**[٣].

يأتي التمني في قول المتكلم:(ياليْتنيمتُ قبل هذا أو ليتني لم أكن خُلقتُ)حاملًا شعورًا بحزن عظيمَ يَقرُب من الجزع من عظيم ما ألَمَّ به وما أصابه من ضَيْرذلك الصديق وخيبة سعيه وأمله فيه، وما هذا التمنيإلّالتجاوز المرحلة التي هو عليها من الكرب الشديد؛ لذلك قال:(يا ليْتَني مُتُّ) بالفعل الماضي ولم يقل:(يا ليْتَني أموت)، أيّ كأنّه يتمنى لو أنّ الموت حصل وانتهى في مرحلة متقدمة على مرحلة التمني، بالرغم من اعتقاده بامتناع تحقق المحتوى القضوي في العالم الخارجي؛ لأنّه مازال حيًا يُرزق، مما يجعل التمني يدخل في المحال، لكنّه جاء هنا كوسيلة تعبيرية للهرب من هذا الموقف الذي أصابه؛ لذا عبّر عن أمنيته بإرادة تحققها، ويمثل اسم الإشارة (هذا) مؤشرًا لغويًا مُعدِلًا للقوة الانجازية؛ لإحالته

---

[١] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ١٩٩.

[٢] ينظر: كتاب الساق على الساق ،٤٦٥ – ٤٦٧.

[٣] الآثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء ،٣٤٤.

إلى اليوم أو الحادثة أو الموقف العصيب الذي مرّ به لبيان شدّته عليه، و جعل الحدث شاخصًا في الذهن ، مما ينمّ عنتحقق الفعل في نفس المتكلم ، وهو مايحقق للفعل انجازيته الناجحة.

٤- فعل الشكر:هو من التعبيريات الاجتماعية؛ إذينجزه المتكلم عرفانًا للمتلقي لإنعامه عليه[١]، ومن مصداقهما جاء على لسان الفتى شاكرًا ذلك الصديق لِما أنعَمّه عليه وما منحه له من عطايا وتيسير لأموره بعد تعسرها قائلًا:((**لقَدْ أَجْمَلتَ فأَجْزَلتَ، وأَكْرَمْتَ فأَتْمَمْتَ، وصَيَّرتَنِي لك عَبْداً رَقِيقا، ولا أقولُ صَاحِباً وصَدِيْقَا، ولَقَدْ صَدَقَتْ فِراسَة والدِي فيك ،ولَسْتُ أَقدَرُ أنْ أُكَافِيكَ...ولأَشْكُرَنّكَ ما حَيَّيتُ ، فإن أَمُتْ فلتَشْكُرَنَّك في التُرابِ عِظَامِي**))[٢].

كي يعبّر المتكلمعن عرفانه بالجميل تجاه ذلك الصديق في مقابل الفضل والإكرام الذي منحه أياه، استدعى أن ينتج هذا الفعل التعبيري الدال على الشكر في قوله:(لأشكرنّك) ردًا على هذا الفضل، وتُمثل لام القسم مع نون التوكيد الثقيلة مؤشرات لغوية للتدليلوالتوكيد على مافي خلجاته من درجة الصدق[٣]، وهو مايضمن للفعل إنجازيته التامةالتي تكمن في تحققه في نفس المتكلم ، فضلًاعمّارافق هذا التحقق النفسي من تحقق عملي هو نتاج هذا الانفعال النفسي مثلّه الفعل السلوكي الحركي الذي يبينه قوله:((فأَكَبّ الفتى على يده يقبلها ويَلثُمها))[٤]، أمّا الفعل التأثيري الكامن في تفاعل المخاطَب مع المتكلم فيظهرفي إحداث الفعل التأثيرفي الطرف المقابل للحوار بقوله:((سأتّخذك ابنًا وولدا))[٥]، وهكذا فقد أدى هذا الفعل التعبيري الاجتماعي التواصل بين الطرفين.

٥- فعل التحية والسلام: من الألفاظ التعبيرية الاجتماعية التي يكون اتجاهها نحو المخاطَب؛لتحقق عملية التواصل الاجتماعي[٦]؛ لاحتوائها على فكرة رد الفعل أو الاستجابة لفعل المتكلم[٧]، وهو من الأفعال التي لا يستطيع الفرد الاستغناء عنها من اجل التواصل والتفاعل وإقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، ويُعد السلام الفعل التعبيري الاجتماعي للترحيب الرسمي في الإسلام، وهو يعني الدعاء وطلب الأمان للمخاطب، وجاء هذا الفعل في الحوارالذي دار بين القاضي وتلك المرأة المدعية على زوجها قائلةً:((**السلام عليك أيّها المولى، ولا زلتَ بالكرامة أولى، فأحسَن ردّ السلام، وقال:ماوراءَكِ**

---

[١]ينظر: لسان العرب ٣/(شكر)١٥٦، والتعريفات، ١٢٨/١ .

[٢] الآثار الفكرية ، مقامة في حسن الوفاء، ٣٤٨.

[٣] ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ١٧٦.

[٤] الآثار الفكرية، ٣٤٨.

[٥] الآثار الفكرية ، مقامة في حسن الوفاء ،٣٤٨.

[٦] ينظر: نظرية الأفعال الكلامية، ١٥٦.

[٧]ينظر: نفسه، ١٥٧.

يا عصام؟))[١]فقولها:(السلام عليك) فعل انجازي تعبيري تشكلت بنيته القضوية من التركيب الاسمي، وإلقاء التحية على هذا النحو فيه ما يُشعر بالتودد إلى القاضي والاعتراف بما هو عليه من منزلة سامقة ومقام رفيع ظهر أيضًا بما أضافته المتكلمة من ألفاظتبجيلية تمثلت بقولها:(أيّها المولى)[٢]، والمولى من الأضداد فهو يأتي بمعنى "المنِعم"، وبمعنى "المنَعم عليه"[٣]، وهنا جاءت بمعنى "الولي" بلحاظ السياق السياق الذي قيلت فيه، إذ ليس لمثل هذه الكلمات معنى دون السياق الذي تقع فيه[٤]، ومن ثمّ فإنّ الفعل الإنجازي تتجسد حمولته الدلالية في قوة انجازية حرفية تمثلت في الترحيب وما رافق ذلك الترحيب من إبداء الاحترام في الوقت نفسه ، وتحقق من خلال هذا الفعل التفاعل والتواصل الإيجابي مع الطرف الآخر للحوار، ويظهر ذلك في إحداث الفعل التأثيري، إذ استجاب المخاطب للتحية بل أحسن ردها كمّا أفاد ذلك من النص.

٦- التعبيرعن التضجر: التضجر من الأفعال التعبيرية؛لأنّه مرتبط بالحالة النفسية للمتكلم فهو ضيق النفس الذي يصيب الفرد بسبب غمٍ أو انزعاج من أمرٍ ما[٥]، ومنه ما جاء بقوة إنجازية وذلك في قول الأمير لذلك الغلام الذي بدل قوافي أبيات مدحٍ هجاءً بالتحريف، معبرًا عن تضجره منه بالقول: **((أُفٍ لك ياعَقق، يا ابن شارب الفَلق))**[٦].

فقد عبّر المتكلم عن ضجره وضيقه من فعل الفتى بالقول:(أفٍ لك)[٧]، إذ إنّ التأفف من الشيء دلالة على الضيق والتأذي منه[٨]، ورافق استعمال هذا الفعل نعوتًا نعت بها هذا الغلام عبّرت أيضًا عن شدةذلك التضجرمنهبقوله:ياعَقق، ويابن شارب الفلق[٩]؛ وعليه فإنّ فعل التضجر الذي جاء بقوة حرفية مباشرة تمثلت بالدال "أُفٍ" امتزج معه فعل تعبيري آخر هو الذم لكن بقوة انجازية غير مباشرة عن طريق النداء.

---

[١] مجمع البحرين، المقامة الصعيدية،٣٠.

[٢] والمولى: الولي الذي يلي عليك أمرك ينظر: لسان العرب، ٤٠٨/١٥(ولي).

[٣]ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد، الأصمعي، السجستاني، ابن السكيت ، نشرها الدكتور اوغشتهفنر، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٧، ٢٤.

[٤] ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلّق عليه: د. كمال محمد بشر٧٢.

[٥] ينظر: لسان العرب ،٤٨١/٤(ضجر).

[٦] مجمع البحرين، المقامة الساحلية ،١٦٦.

[٧] ينظر: لسان العرب، ٦/٩ (أفف) ، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم،محمد سيد طنطاوي، ٢٢٨/٩.

[٨]ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ، ٩١٧/٩.

[٩] العقق :الذي لا يفي أباه حقه ينظر: لسان العرب ٢٥٦/١٠(عقق)، والفلق فضلة اللبن المتقطع من شدة الحموضة؛ فيترك لذلك شرابه ، والعرب تستعمل هذا النعت للذم وتعيير المقابل، ينظر: القاموس المحيط،٩١٩/١(فلق)، وتاج العروس، ٣١١/٢٦(فلق).

٧-**التعبير عن الخوف**: جاء في قوله في هذه المقامة:**((فلمّا سمعَ القومُ ذلك استشاطوا غَضباً، وقالوا: من لنا بردّ هذا الرجيم فنجعله للناس أدبًا؟ قال الفتى: أنا لها فإنّي أعلمُ بمهبّ ريحِهِ،ومَدِبّ طَلِيحِهِ...فانْسَلَلْتُ في أَثر الفتى من بين الجَمَاعة ، فما أَدْرَكْتُهُ إلاّ على بَرِيد، وإذا هو قد جَلَسَ بين الخِزامي وابنتِهِ على ذلك الصَعِيْد ،فلمّا رآني وَثْبَ إليّ وقال:لايفُلُّ الحديدَ إلاّ الحديد ، فاهتز الشَيْخُ تِيْهًا ..ثم قال: يا أبا عُبادَة إنّ الله لَمْ يَخْتَصْ برِزْقِهِأحدًا من خَلْقِهِ، فمن ظَفَرَ بشيءٍ فقد أخذَه بُحَقِّه، لكن أخافُ أنّ القَوْمَ لايأخذون بهذه الفَتوى، فلنَنصرفْ قَبْلَ أنْ تَحلَّ البَلوى))**[١]

بعد أن قام المتكلم بمدح القومبأبيات من الشعر؛ لأجل أن يتناول ميسورهم من العطاء، يكتشفوا أنّ طرد هذه الأبيات مدح وعكسها هجاءً؛ مما يثير غضبهم عليه طالبين من يرده عليهم لمعاقبته، فينجزالمتكلم للتعبير عن شعوره المتوارى المخفي الفعل التعبيري: (أخاف)للتعبير عن حالة نفسية ذهنية هي الخوف، فحولّ ذلك الخوف إلى كلامٍ بادٍ للسامع، ورافق هذا الفعل توفر شرط الإخلاص الذي نص عليه مؤسسو نظرية الفعل الكلامي ليكون الفعل ناجحًا[٢]؛ لأنّ المتكلم في انجازه لهذا الفعل كان صادقًا في التعبير عن فرط خوفه منهم ، ويشهد على صدقه، بأن نهض إلى بعيره المعقول؛ لأجل الهرب منهم والانصراف بعيدًا عنهم[٣]،ويُعد هذا الفعل التعبيري ملفوظًا حجاجيًا لإقناع المخاطَب بنتيجة ظاهرةهي:(الانصراف والهرب من القوم)، أمّا الأثر المرجو من ذلك فقد تحقق بأن سار المخاطَب مع المتكلم مصاحبًا إياه هاربًا معه بدليل قوله:((فسرتُ في صُحبته على حَذَر ، ولبثنا في اجتماعِنا إلى أن فرّقنا القَدَر))[٤].

٨- **التعبير عن الأسف:**الأسف فعل تعبيري دال على انفعال نفسي يُقصد به الحُزن الشديدالذي يعتري النفس من إدراك مايحزنها وماتكرهه مع انكسار الخاطر[٥]، وقد وجدَ البحث تمثلًا لهذا الفعل في قول المتكلم شعرًا[٦]:

أسَفًا على عُمري الذي ضيّعتُه تحت الذُّنوبِ وأنتَ فوقي ترصُدُ
ياربِّ لم أحسَب مرارة مَصدَرٍ عن زَلّةٍ قَدْ طَابَ مِنْهَا المَــورِد

---

[١] مجمع البحرين ، المقامة الرجبية، ١١٣-١١٤، والطليح :الجمل الذي جهده السير،ينظر: لسان العرب ٥٣١/٢ (طلح)، ، والبريد أربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلاً ، ينظر: لسان العرب، ٨٦/٣ (برد).

[٢] ينظر: العقل واللغة والمجتمع،ترجمة: سعيد الغانمي،٢١٩، وآفاق جديدة ،٨٠.

[٣] ينظر: مجمع البحرين، ١١٤.

[٤]نفسه والصفحة نفسها.

[٥] ينظر: آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم ، دراسة موضوعية "رسالة ماجستير"،نعيمة عبد الله البرش، ١٥٣، والأفعال الكلامية التعبيرية النفسية في القصص القرآني "بحث"،د.دلخوش جار الله حسين دزهيي، م.م سوزان رضا عزيز، ٥٤.

[٦] مجمع البحرين ، المقامة القدسية، ٣٢٣.

يارَبِّ قَدْ ثَقُلَتْ عَليَّ كبائرٌ بإزاءِ عيني لَـمْ تَزلْ تَتَـردَّدُ

يارَبِّ إن أبعَدتُ عنك فإنّ لي طَمَعًا بِرَحْمَتِكَ التي لا تُبعِـــدُ

يفصح المتكلم عن مكنونات نفسه التي أوجعتها الخطايا والمعاصيرغبةً في التخفيف عن ألمها وضيقها، معبرًا عن ذلك بالفعل الكلامي (أسفًا)الذي جاء بهيأة أدائية مباشرة؛ لاحتوائه على العنصر المباشر الدال على الأسف الذي أنجزه المتكلم بصيغة المصدر التي تحمل دلالة التوكيد والثبات والدوام[١]؛ لتتناغم مع التعبير عن شدة أسفه وحزنه على ما ضيّعه من عمره غارقًا في الذنوب، ولعلّ في تكرار النداء بقوله:(يارَبِّ) مايعضد شدة هذه الحالة النفسية التي كان يعيشها، مع ما يوحيه هذا التكرار من التضرع والدعاء؛ مما يجعل البحث يتلمس توفرشرط الإخلاص في هذا الفعل التعبيري الكلامي من خلال هذه القرائن المقالية التي تواشجت مع ما يستوحى من فضاء النص من قرائن مقامية تمثلت بأجيج المتكلم ونحيبه ونشيجه حتى أبكى من حَضر[٢] للتدليل على صدق المتكلم فيما عبّر عنه؛ لذا يمكن القول:إنّ الفعل قد أُنجز بنجاح.

٩-التعبير عن السأم: السأم الملل والضجر، فيقال: سئم الشخص إذا ملَّ وضجر، وسئم من الحديث إذا مله وأحس نحوه بفتور، وسئم عمله وانتقل إلى عملٍ آخر[٣]، فهو شعور يعتمر النفس البشرية، وهو من الأفعال التعبيرية التي جاءت بدلالتها الحرفية، على لسان المتكلمة في حوارها مع أحد الفتيان؛ لأجل استمالته للزواج منها قائلةً:((**قَدْ سَئِمْتُ طُوْلَ حَبْسِي، وتوَلّي أَمْرَ نَفْسِي، فإنْ كان لك أرَبٌ في النساء، فاتْبِعْنِي لآخُذْ مالي من الأَشْيَاء، واتبَّعَك حيثُ تشاء**))[٤].

أفصحت المتكلمة عن مشاعر السأم والضيق التي تنتابها بالقول:(سئمت) ، ممهدة بالبوح بهذا الشعور لتوجيه المخاطَب إلى مرافقتها وإتباعها لأجل الزواج منها، ليتحقق في الملفوظ السابق فعلان إنجازيان مباشران تعبيري والأخر توجيهي، فهي تتوجه إلى المخاطَب(الفتى) بهذه المشاعر آملة حدوث ردة فعل منه ؛ لذا صدَّرت تعبيرهابحرف التحقيق والتوكيد (قد)؛ ليزيد من تحقق هذه الحالة، وتوكيدها وتمكينها في نفس السامع وإزالة شكوكه، وقد جاءت ردة فعل الفتى بالاستجابة لدعوتها تلك قائلًا:((افعل وكرامة))[٥]، وتمثلت الاستجابة الثانيةبتأثير سلوكي عملي تمثل في سرعته في النهوض وركوب دابته مسرعًا[٦]، فبالرغم من أنّ المتكلمة قد أساءت أداء الفعل؛ لانتفاء احد شروط الملاءمة – بحسب

---

[١] ينظر: معاني النحو،١٤٤/٢.

[٢] ينظر: مجمع البحرين، ٣٢٢.

[٣] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ،أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١٠٢٠/٢.

[٤] مجمع البحرين، المقامة الحلبية، ٥٣.

[٥] مجمع البحرين، ٥٣.

[٦] ينظر: نفسه،٥٣.

اوستن* - والمتمثل في عدم توفر الأفكار والمشاعر التي يتطلبها الإجراء[١]؛ لأنّ المتكلمةغير صادقة في تلفظها، ولا نية لها في إتمام الفعل، إنّما عبرت عن ذلك لغاية معينة هي التحايل على الفتى وإقناعه بالذهاب معها من اجل الإيقاع به، غير أنّ هذا الفعل (السيء) قد أحدث تأثيرًا في المتلقي؛ لأنّ التأثير في النفس لغرض الإقناع لا يشترط فيه أن يكون المتكلم صادقًا فذلك مجرد استراتيجية للوصول لغاية معينة[٢]، وهذا يوصلنا إلى نتيجة أنّ الفعل لوكان فاشلًا أو سيئًا فإنّهقد يكون مع ذلك ذا تأثيرعلى المخاطَب.

رابعًا: الإعلانيات

تجاذبتالمصطلح الإنكليزي(Declarations)ترجماتعدة منها:التصريحات والمُعلنات[٣]، ومنهم من ترجمه بـ (الإيقاعيات)[٤]، وهو المقابل الذي اختاره الدكتور محمود نحلة ،وهو يقسم الأفعال الكلامية في في اللغة العربية مستفيدًا من تقسيم أوستن وسيرل[٥]، مشيرًا إلى صدى هذه الأفعال في التراث الأصولي الأصولي والفقهي والبلاغي العربي[٦]*، وتنماز هذه الأفعال عن سابقاتهامن الأفعال الكلامية بمحورين أساسيين، المحور الأول يتمثل في أنّ التصريح بها يحدث تغييرًا في الوضع القائم[٧]، فيكون الفعل مقارنًا مقارنًا للفظه في الوجود[٨] ،والمحور الثاني:أنّ هذه الأفعالتتطلب وجود عرف غير لغوي فهي تحتاج مؤسسات خارج اللغة أيّ نسق من القواعد التنظيمية تُضاف إلى نسق القواعد اللسانية[٩]، ويتمثلأداؤها

---

* أطلق اوستن على الشروط التي تحقق بها أدائية الأفعال الصريحة "شروط الملاءمة" وحصرها في ثلاثة أنماط ومن هذه الشروط توافر المشاعر والأفكار للطرف المشارك في إجراء الفعل، وعدّ الإخلال بهذا الشرط إساءة في إجراء الفعل وهو ما اسماه بالإساءات، ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها٨٨،، وآفاق جديدة ،٦٣ – ٦٥.

[١] ينظر: آفاق جديدة ٦٤ – ٦٥.

[٢] ينظر: المقاربة النقدية التداولية للنص الأدبي التراثي، ٣٦.

[٣]ينظر:العقل واللغة والمجتمع، ترجمة:سعيد الغانمي ٢١٩، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ٢٣٥، والإنشاء في العربية، ٥٠٧ ، والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي /د.مؤيد ال صونيت ، مكتبة الحضارات ، بيروت–لبنان ، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م ،١١٨.

[٤]ينظر:نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ،٣١.

[٥]ينظر:آفاق جديدة، ٩٨.

[٦]ينظر:آفاق جديدة ،٩٨، ونظرية الفعل الكلامي بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ١٠١، ١٠٩.

*آثر البحث اختيار تسمية (الإعلانيات)؛ لأنّ أفعال هذا الصنف جميعها لها وظيفة الإعلان عن شيء ما ، إذ إنّ غايتها الكلامية تكمن في إحداث تغيير عن طريق الإعلان ، ينظر:في اللسانيات التداولية، ١٠٠

[٦]ينظر:الأفعال الإنجازية، ٢١٠.

[٧] ينظر: العقل واللغة والمجتمع ، ترجمة:سعيد الغانمي٢٢٠،.

[٨]ينظر:آفاق جديدة ،٩٨.

[٩]ينظر:النظرية البراجماتية اللسانية، ١٠٧، والأفعال الانجازية، ٢٠٨.

الناجح في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي[١]، ويكون اتجاه المطابقة فيها مزدوجًا من العالم إلى إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم[٢]، ولاتحتاج من شرط الإخلاص أو الحالة السايكولوجية سوى الاعتقاد والرغبة في وقوع الفعل ناجحًا[٣]، وقد جمع (سيرل) هذا النوع من الأفعال تحت صنف واحد بعد أن كانت مبعثرة في أكثر من صنف عند أوستن أبرزها صنفا القرارات والأحكام [٤]، وتشمل هذه الأفعال أفعال البيع والشراء، والهبة والوصية، والإقرار والإجازة والمنع والإذن والإبراء والزواج والطلاق والوكالة وغيرها[٥].

ومن الأفعال الإعلانية، أفعال الأحكام والقرارات التي يصدرها المتكلم للسلطة التي لديه ويتم تغيير الواقع الموجود عند التلفظ بها ، ومن نحو ذلك ما جاء في هذه المقامة:((**... قام المَولى في عَسَاكِرِهِ المَنْصُورَة بالله وقَال: هَذا خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ في كُلّ حَال، تَخَيّرْتَهُ عَنْي في تَدْبِيْركُمْ، والقِيام بالدَقِيق والجَلِيل مِن أُمُورِكُمْ..**))[٦].

يعلن المتكلم بالقول:(هذا خليفتي عليكم) شيئًا في العالم لم يكن من قبل من منطلق أنّه يمثل سلطة عليا؛ كونه حاكمًا للبلاد وأميرًا للجند، وهو من الشروط الضرورية لنجاح الفعل الكلامي الإعلاني الذي يقتضي وجود مؤسسات خارج اللغة[٧]، ويتمثل الشرط التمهيدي بكون المتكلم قادرًا على انجاز ما يعلنه، أمّا الحالة النفسية التي عبّر عنها الفعل فهو إرادة المتكلم تحقيق الفعل ونجاحه[٨]، وبذلك يكون المتكلم قد أوقع فعلًا بمجرد التلفظ،والانتقال من واقع إلى واقع آخر جديد.

ومن الأفعال الإعلانية قوله في هذه المقامة قائلًا:((**اذهبْ فقد يَسَّرتُكَللِيُسْرى ،لئلا يَضِيْعَ قَوْل شَاعِرِنا : إنّنا نَفْكُّ الأسْرَى**))[٩].

يوقعالمتكلمبالقول:(اذهب فقد يَسرتكَ لليسرى)أمرًا يتمثل بالعفو عن المخاطَب معلنًا إطلاق صراحه بعد حبسه؛ للسلطة التي لديه ، ويعد هذا الفعل فعلًا انجازيًا بمجرد التلفظ به؛ كونه أحدث تغييرًا في الواقع

---

[١] ينظر: آفاق جديدة ،٨٣، والأفعال الانجازية ،٢٠٩.

[٢] ينظر: العقل واللغة والمجتمع ، ترجمة:سعيد الغانمي ، ٢١٩، وآفاق جديدة ،٨٣.

[٣]ينظر:نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،٣٢.

[٤]ينظر:الأفعال الإنجازية، ٦٣.

[٥] ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ٢٣٦، والأفعال الانجازية ،٢١٠.

[٦] التحفة المرضية ،٢١٠.

[٧] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة:سعيد الغانمي، ٢٢٠.

[٨]ينظر: نظرية الأفعال الكلامية ،٣٢.

[٩]مجمع البحرين ، المقامة التميمية، ١٥٧

الخارجي حيث أصبح المتكلم حرًا طليقًا بدليل قوله:((فتسنمتُ تلك الذَّعْلِبة القَوْداءَ، وضربتُ بها البيداء))[١]، فتحقق التطابق بين القول والعالم.

وليس ببعيدٍ عن هذا الصنف الحكم الذي أطلقه القاضي على المخاطَب، وذلك في هذه المقامة:((**فحَكَمَ القاضي عليّ بالحَبْسِ ، وقال: المَالُ فِدَاءُ النَفْسِ، فَخَرَجْتُ لادِرْهمَ معي ولا فَلْس**))[٢]، فهذا الملفوظ:(المالُ فداءُ النفس)أطلقمن خلاله القاضي حكمًا يتأسس عليه أن يكون دفع المال مقابلًا لإطلاق سراح المتكلم من السجن، وسلطة المتكلم القضائية تقتضي وتبت بهذا الواقع، فعند إصداره هذا الملفوظ سيُنجز الفعل الذي بمجرد إعلانه سيُطبق على المخاطَب[٣]، وجاءت استجابة المخاطَب لهذا الفعل بأن قام ببذل المال بما يوحي من قوله اللاحق: (فخرجتُ لا درهمَ معي ولا فَلْس)، وبذلك احدث هذا الفعل تغييرًا في الوضع القائم بمجرد تلفظه.

ومن الإعلانيات أيضاً أفعال المنح والهبة[٤] التي ينجز بها المتكلم فعلًا بمجرد التلفظ به فينقل حق التصرف بالعطية من الوَاهِب إلى من وُهِب إليه، ومما ورد من هذا الفعل إعلان المتكلممنح العطية في هذه المقامة:((**فدعاني الأميرُ إلى بساطِهِ، وأقبلَ عليّ بانبساطِهِ، وأَقمنا عندهُ ثلاثًا من الليالي ، أنقى من اللآلىء، حتى إذا أَزْمَعْنا السَفَر ، وودَعْنا النَفَر، قال للشيخ:نَحْمِلُكَ كمّا حَمَلنَاكَ على الأَدْهَم، فَدُوْنَكَ هذا الجَوادَ المُطَهَّم ، قُلْتُ:مِثْلُ الأَمِيرمَنْ حُمِلَ على الأَدْهَم والأشْهَب، فإنّي أذهبُ كما يَذْهَب، قال:قَدْ وَجَبَتْ لكما العَطيّة فَضْلًا عَنْ المَطيَّة**))[٥].

يصرح المتكلم أنّه يهب للمخاطَب ما أوجبه له من عطية قائلًا : (قد وجبت لكما العطية) ثم أنبرى يمنحه المزيد من الإحسان قائلًا:(فضلاً عن المطية) فأوقع بهذا القول فعلًا إعلانيًا ناجحًا؛ للرغبة الصادقة في إيقاعه لعلّ في التركيب البنيوي مايدل عليها ، إذ تصدره بحرف التحقيق (قد)وما يحمله هذا المورفيم من دلالة التوكيد والتحقيق[٦]، وتقريب الحدث من الحال[٧]؛ ليدل على أنّ العطاء حاصلٌ عما عما قريب، ناهيك عن اصطفاء التعبير بالماضي مع دلالته على المستقبل ؛ ليؤكد نيته و درجة صدقه في انجاز الفعل وكون الحدث متحقق الوقوع ؛ لِما في الفعل الماضي من دلالة قطعية على تيقن

---

[١]مجمعالبحرين١٥٧، والذعلبة:الناقة السريعة، ينظر:لسانالعرب١،/٣٨٨(ذعلب)، والقوداء:الطويلة، ينظر:لسان العرب٣،/٣٧١(قود).

[٢]مجمع البحرين، المقامة الساحلية ،١٦٥-١٦٦.

[٣]ينظر:محاضرات في فلسفة اللغة ،١٢٣.

[٤]ينظر:الأفعال الانجازية ،٢٢٩.

[٥]مجمع البحرين، المقامة التغلبية ،٧٩.

[٦] ينظر: الجنى الداني ،٢٥٥.

[٧]ينظر: شرح الرضي على الكافية ، ٤/٤٤٤، ومعاني النحو، ٣/٢٦٩.

الحصول والوقوع[١]، فأنجز محدثًا بذلك تغييرًا في الوضع القائم تمثل بأن أصبح المخاطَب ذا مالٍ وخيل بما أفاد من قوله:((فخرجنا بالخيل والمال والزاد، ونحن نذم المبدأ، ونحمد المعاد))[٢]، فتحقق التطابق بين القول والكون.

ومن الاعلانيات أيضاً فعل (إعلان التوبة)، وذلك في قول المتكلم معلنًا توبته من المَكْر وخداع الناس في هذه المقامة قائلًا: **((وها أنا قد اعْتَمَدْتُ الأوْبَة، واعْتَصَمْتُ بالتَوْبَة))**[٣].

ينجز المتكلم بهذا المتوالية اللسانية فعلًا لم يكن موجودًا قبل عزمه على إيقاعه هو إعلان التوبة، والتوبة((الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة))[٤]*، وبمجرد عزمه عليه مع صدق النية والإخلاص فإنّه يُحدث أثرًا في عالم التائب بتغيير مسار حياته من المعصية إلى الطاعة، وهذا ما حدث في عالم المتكلم الخارجي، إذ بمجرد نطقهتغير مسار أفعاله من الانغماس في الذنوب إلى الاستغفار والإنابة لله والطاعة، حيث أخذ بالضجيج والبكاء وبات لا يفتُرُ من ذكر الله ولا يَملُ من الصلاة والاستغفار لذنوبه[٥].ومن المؤشرات اللغوية المعدلة للقوة الإنجازيةأنّه أكد فعل التوبة بإدخال المورفيم (قد) الذيصُدِّرَبه الفعل الماضي[٦]، فضلًاعن تصديره الخطاب بـ (ها) التنبيه التي تفيد التوكيد والاهتمام بما يُقال بعدها[٧]؛ ليُشعر أنّ فعله صادر عن اعتقاد ورغبة صادقة ونية صحيحة واهتمام بالمقصود.

ويدخل ضمن هذا الصنف من الأفعال أيضًا أفعال العقود كالبيع والشراء والهبة والوصية والزواج والطلاق والإجازة، والإبراء من الدين[٨]، وأفعال العقود هي الاتفاقات التي تتم بين طرفين حقيقيين كما كما يحدث بين المالك والمستأجر، والبائع والمشتري، أو في الوصية والهبة والتكليف[٩]، فهذه الأفعال تحدث تغيرًا في الواقع القائم بمجرد التلفظ بها، وهي تقتضي عرفًا ومؤسسات غير لغوية كالحاكم

---

[١]ينظر: معاني النحو، ٤/٤٧-٤٨ ، وتحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة ، ١٧٦، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية "أطروحة دكتوراه"،محمد مدور،٢٨٩.

[٢]مجمع البحرين، المقامة التغلبية ،٧٩.

[٣]مجمع البحرين ،٣٢٢ .

[٤]الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(ت٣٩٥ه)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم ، ١/٤٨.

*يمكن أن تُعد التوبة فعلًا تعبيريًا لما تحمله من شعور نفسي متمثلًا بالندم والحسرة لِما سبق من الذنوب، ويمكن أيضًا أن يترشح منها فعلاً طلبيًا؛ لِما يحمله هذا الفعل من طلب غفران ما سُبق من المعاصي.

[٥]ينظر:مجمع البحرين ،٣٢٢.

[٦]ينظر:الجنى الداني ،٢٥٥، ومعاني النحو، ٣/٢٦٨.

[٧]ينظر:كتاب سيبويه ، ٢/٢١٢ ، و٢/٣٥٤، والجنى الداني، ٣٤٧ .

[٨] ينظر: الأفعال الانجازية ،٢٠٩ – ٢١٠.

[٩] ينظر: التداولية عند العلماء العرب ١٢٤، والأفعال الانجازية ٢١٠ – ٢١١

،والقاضي، والدستور والتشريع، والمحكمة[١]، ويتم العقد بالصيغة (الإيجاب والقبول) بين الطرفين[٢].وهذه الألفاظ مثل: بعت، اشتريتُ، آجرتُ..، وضعت واستعملت لمعنى واحد في الخبر والإنشاء، وهو نسبة الفعل للمتلكم والقصد والغرض هو الذي يوجد الاختلاف بينهما، فإذا كان غرض المتكلم الحكاية عن ثبوت المعنى وتحققه فهو إخبار، وإن كان غرضه إيجاد المعنى فهو إنشاء، فيكون إيقاع الفعل بذلك مدلول قصدي، أي أنّ هذه الملفوظات اللسانية تُنقل إلى الإنشاء بعامل قصد المتكلم ونيته، فالفرق بين بعتُ الفعل الإنشائي وأبيع الفعل الخبري أنّه لابد في الفعل الخبري من مطابقته للواقع، أمّا الفعل الإنشائي فلا اتجاه مطابقة له بل يحصل حال التلفظ به [٣]، ومن تمثلات هذه الأفعال في المقامات ما جاء في هذه المقامة: **((أزمعتُ الشُّخُوص إلى الكِنانة، في ركبٍ من بني كِنانة فلما فرغتُ من الأُهبة أَتيت القافلة، في اتِّخاذ الراحلة فعَرَض لي رجلٌ ادهم، وقال: آجرتك هذا المُطَهَّم كل يومٍ بدِرهَم، فرضيتُ باشتراطه..))**[٤].

فالمتكلم يعلن من خلال القول:(آجرتك هذا المُطَهَّم)عقد صفقة بينه وبين المخاطَبحول استئجاره فرسًا، وجاء الفعل بصيغة الماضي لفظًا لا معنى[٥]، والقصد من صياغته في الماضي ليس الإخبار إنّما القصد القصد منه أنّ الفعل اكتمل حدوثه وأصبح ملزمًا للطرفين[٦]، فهذه الصيغة تعد المظهر الواضح للتعبير عن الإرادة في مرحلتها النهائية التي جاوزت التردد والمفاوضة والتفكر إلى دور البت والحسم[٧]، وقيّد المتكلم الفعل بالدال الاشاري(هذا) الذي يفيد تمييز الشيء بالإشارة إليه[٨]، فضلًاعن تعيينه بالوصف بوصفه بـ (المُطَهّم)[٩]، وهذا يمثل احد شروط الملاءمة في الدرس التداولي، وهو أن يكون الكلام واضحًا في الدلالة على المطلوب ، حيث يُفهم منه إيقاع الفعل المراد فهمًا لا لبس فيه ولاغموض[١٠]،

---

[١] ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني دراسة تداولية، ٢٥٩.

[٢] ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، دراسة تداولية ٣٢٢

[٣]ينظر: الإنشاء في العربية ٢٦٨، وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ٨٦.

[٤] مجمع البحرين، المقامة المصرية ١٧٥.

[٥] ينظر: النحو الوافي ،٤٨/١

[٦] دلالة الفعل الكلامي في الخطاب القانوني بين البنية المقولية والكفاية الانجازية"بحث"، أ.م.د:محمد عبد مشكور، م.د :مرتضى جبار كاظم ،٢٧٤.

[٧] ينظر: نفسه ٢٧٣.

[٨]ينظر:معاني النحو، ٨٢/١.

[٩]المُطَهّم: الفرس التام الخلقة ، ينظر: لسان العرب، ١٢/ ٣٧٢(طهم).

[١٠]ينظر:آفاق جديدة، ٩٩.

مما يجعل الفعل يؤدى أداءً صحيحًا[١]، وقد تحقق العقد بين الطرفين والموافقة والاتفاق بينهما، فأبرمت فأبرمت صيغة العقد بالإيجاب من الطرف الأول بقوله (آجرتك)، والقبول من الطرف الآخرمتمثلًا بقوله: (فرضيت باشتراطه).

ومن أفعال العقود أيضًا فعل الرَهْن، وجاء ذلك قوله في هذه المقامة :((**أنا أستأجرها كل يوم بدينار، وهذا غلامي رهنٌ في يديك، حتى أردها عليك، قال: أمّا هذا فغير محظور، على أن تواعدني إلى أجلٍ منظور،فضرب له الأجل، وضرب بها على عجل**))[٢].

فالملفوظ تضمّن التزامات متبادلة بين المتكلم والمخاطَب يلتزم فيها الطرف الأول برَهْن غلامه وتحديد الأجل، ويلتزم الطرف الثاني بإيجاره ناقته المعشار، وقد أُبرمت صيغة العقد بينهما بالإيجاب من الطرف الأول، والقبول من الطرف الثاني، بما يوحيه القول:(فضرب له الأجل، وضرب بها على عَجَل)، وبالرغم من أنّ المتكلم أنجز هذا الفعلبالصيغة التركيبية الخبرية:(هذا غلامي رهن في يديك)، لكن هذا الإخبار لايراد منه التثبيت بل يقصد منه الإيجاد والانجاز فهو إيقاع لا إخبار[٣]، وبالاحتكام إلى إلى العوامل السياقية، فإنّ هذا الفعل لم يكن موفقًا؛ لأنّ المتكلم لم يكن قاصدًا للفعل ولم يراعِ شروط أدائه[٤]، فهو ليس سيّد الغلام ولايملك زمام أمره فلا يجوز له رهنه ؛ لأنّه لا علاقة اجتماعية سلطوية تربط بينهما تقوم على علاقة المالك والمملوك، كون الغلام حرًا لا عبدًا للمتكلم الذي لا يملك السلطة عليه والتي تكون ذات اثر كبير في تحقق انجازيةهذه الأفعال[٥]؛ لينبىء بذلك فشل الفعل بأخبار الفتى للراهن بأنّه حرٌ طليق لا عبدٌمملوك بقوله:((إن صح رَهْن المرء ما ليس له فقد رَهَنْتُك كلّ ما في هذه المنزلة))[٦]، ويبدو أنّ عدم تفطن المخاطَب لمكيدة المتكلم يعود إلى الفعل الكلامي الذي أنجزه هذا الأخير معتمدًا فيه على الشرط الأساسي وهو محاولة التأثير في المخَاطب لإقناعه، فوقعَ ضحيته وانساق مع حيلته ولم يستطع إماطة اللثام عن الصورة الحقيقية إلاّ بعد فوات الأوان، وهنا يبرز أثرمفهوم المؤسسةفي أداء هذه الأفعال، فهي السلطة الضامنة لرصيد قيمة الملفوظات حتى لا تكون كلامًا فارغًا

---

[١]ينظر: نفسه، ٦٤.

[٢]مجمع البحرين ، المقامة التميمية ،١٥٥.

[٣]ينظر:دلالة الفعل الكلامي في الخطاب القانوني بين البنية المقولية والكفاية الإنجازية، ٢٧١-٢٧٢.

[٤]ينظر:آفاق جديدة، ٦٣.

[٥]ينظر:دلالة الفعل الكلامي في الخطاب القانوني، ٢٧٢.

[٦]مجمع البحرين، ١٥٥.

(مجرد كلام)، فسلطة المتلفظ هي ظل المؤسسة التي يستمد منها قدرته على انجاز العمل القولي التي تُخضع مستعملي اللغة إلى التعامل مع التراكيب كأشكال تعاقدية تترجم عن هذه السلطة[١].

خامسًا: الوعديات

ويقصد بها تلك الأفعال التي يلتزم بها المتكلم طوعًا تجاه المخاطَب بفعل شيء ما في المستقبل مع توفر شرط الإخلاص المتمثل بالقصد[٢]، وسميت أيضاً الملزمات والالتزاميات[٣]؛ لأنّ المتكلم يتعهد ويلزم نفسه للمتلقي بالقيام بالفعل الممثل في المحتوى الخبري[٤]، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات[٥]، أي جعل العالم ملائمًا للكلمات، والمحتوى القضوي هو إنجاز المتكلم لشيء في المستقبل مع مع عزمه على الوفاء بما ألتزم ، وقدرته على أداء ما يُلزم به نفسه[٦]، وهي تشترك مع التوجيهات في اتجاه المطابقة ، لكنّها تختلف عنها في المرجع والهدف، فالمرجع أو المُنفذ أو قُل الفاعل في الوعديات هو المتكلم فهو المسؤول عن إحداث الفعل، أمّا في التوجيهيات فهو المخاطَب ، أو من يقع على عاتقه إنجاز الفعل ، أمّا من ناحية الهدف فالوعديات تهدف إلى أن يلتزم المتكلم بفعل شيء من دون محاولته التأثير على مخاطَبه في انجاز أمر ما، فالمخاطَب هنا لا تترتب عليه أيّ أفعال يوجهها المتكلم له وإنّما فقط يستمع، في حين يتمثل هدف المتكلم في التوجيهات في محاولته التأثير على المتلقي لفعل شيء ما[٧]، وهذا ما دعا (سيرل)إلى عدم دمجهما معًا بالرغم من تشابه اتجاه المطابقة بينهما[٨]، ويتأتى شرط شرط الإخلاص الضروري لإنجازها عبر تحقق القصد ووجوده بصورة جادة عند المتكلم [٩]وتتمثلنماذج [٩]وتتمثلنماذج هذه الأفعال في الوعد ،والوعيد، والتهديد ،والضمانات ،والاهتمام ،والتصميم ،والقسم ،والعقد ،والنذور[١٠] .

ومن إنجازياتالوعديات في المقامات، ما جاء في قول ذلك الشخص النوراني للسائح المتحيرفي أحوال المملكة الباطنية الإنسانية:((**قد عَلِمْتُ من أطوارِكَ أنّك رجلٌ أرَيب، وفَهمتُ من عَدم استقرارك أنّك في**

---

[١]ينظر:البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية "بحث"،عثمان بن طالب ، ٤٢، ودلالة الفعل الكلامي في الخطاب القانوني ،٢٧٢

[٢] ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ٢٣٤، وآفاق جديدة ،٧٩، والأفعال الانجازية، ٦٢.

[٣] ينظر:التداولية، جورج يول٩٠ ، وآفاق جديدة، ٧٩ ، ١٠٤

[٤]ينظر:العقل واللغة والمجتمع ، ترجمة: سعيد الغانمي، ٢١٨.

[٥] ينظر: افاق جديدة، ٧٩.

[٦]ينظر:نظرية الأفعال الكلامية، ٣٠-٣١ ، وآفاق جديدة ،١٠٤.

[٧] ينظر: الأفعال الانجازية ،٢١٢، وآفاق جديدة، ٧٩.

[٨] ينظر: الأفعال الانجازية، ٢١٢.

[٩]ينظر:التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد،٢٣٤ ، وآفاق جديدة، ٧٩.

[١٠] ينظر: الأفعال الانجازية،٢١٢.

هذه المملكة غريبٌ ،وإنّك مُتحَيرٌ في أمْرِكَ ، مُتردِّدٌ في فِكْرِكَ ، تُريدُ أنْ تعرفَ الأمْرَ ، ولا ترى مَنْ يُعرفكَ السّرَ، فَرثيتُ لِغُرْبَتِكَ، وأَتيْتُ لِتفرِيجِ كُرْبتِك، وسأُعَرفُك هذه الأحوال خبرًا خبرا، وأُنْبئُك بتَأويلِ ما لَمْتَسْتَطِع عليه صَبْرًا))[1].

يلزم المتكلم نفسه بمباشرة مساق الفعل الممثل في قوله:(سأعرفك هذه الأحوال) وهو لتعريف وإنباء المخاطَب بتأويل ما خفي عليه وما كان متحيرًا في فهم حقيقته، فينجز بذلك فعلًا وعديًا مستقبليًامستعينًا بنظام اللغة في انجازه من خلال الأداة اللغوية (السين)التي هي من أدوات الاستقبال[2]، وهو ما ناسبإنجازية فعل الوعد الذي يقتضي أن يُلزم المتكلم نفسه بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل[3]، مع قدرته على ذلك بوصفه المرشد والدليل في تلك المملكة، وتوفر شرط الإخلاص الذي تمثل بجدية المتكلم وقصده على أداء ما يلزم نفسه به من تحقيق لمضمون الفعل الإنجازي بإزالة ما غُمض على ذلك الرجل.

ومن النصوص التي احتوت على فعل وعدي أيضًا قوله :**((أما ترى عَمْراً لمّا بارز عليًا وجَدَّلته شَعُوب، كَشف سَوْءتَه ولَبِسَ عارًا شَقَّ عليه الجيوب، .....وثالثةُ الأثافي مافي"الاستيعاب"، من أنّ بُسْر بن أرطاة وهو من أبطالِ الأصْحَابِ ، كان مع مَعاوية بصِفّين ، وعليه تدور رَحَا حَرْبِها كُلَّ حِيْن، فقال له:لو بارِزْتَ عليًا، وسَقَيتَه كأسَ الحِمَام نِلْتَ مقاماً عليًا، وصارَ يَعِدَه ويُمنيَّه ، ويُدَلّيّه بحَبْلِ الغرورِ في قَلِيب أمَانيه، حتى صَرعَهُ أبو تُراب في تُرابِ تُرْبتِه ، ولم يَنْجُ إلاّ كما نَجَا عَمروٌ بكَشفِ سَوْأتِهِ))**[4].

فالملفوظ: (نِلْتَ مقاماً عليًا)فعل انجازي وعدي تضافرت فيه العوامل المقالية والمقامية لتُعطي معنى الوعد الذي ورد على لسان معاوية لبُسْربن أرطاة*؛ لاستمالته لمقاتلة الإمام علي"ع"، ومن ثمّألزم نفسَه بهذا الإجراء مستقبلًا، وتضمّن الفعل الكلامي قرينة مقالية دالة على الاستقبال تتناسب وفعل الوعد، تمثلت بأسلوب الشرط الذي أكثر ما يقع في المستقبل[5]، و جاء هذا الشرط متصدرًا بمورفيم الشرط (لو

---

[1] المقامة الفكرية، ٧.

[2]ينظر: معاني النحو، ٢١/٤.

[3] ينظر: آفاق جديدة ،٧٩.

[4]ريحانة الألبا ،٣٧٦/٢-٣٧٧.

*هو بُسْر بن أبي أرطاة القرشي من بني عامر وينسبونه بُسْر بن أرطاة بن عويمر، وكان مع معاوية بصفين فقال له: لو أضفرك الله به وصرعته حصلت على دنيا وآخرة ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى قصده في الحرب فصرعه علي عليه السلام ، ينظر :كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٥٧/١ ، و١٦٤/١.

[5]ينظر:معاني النحو ،٥٤/٤.

(لو غير الإمتناعية)[١]التي دخلت على الفعل الماضي ظاهرًا لكنّه حمل قصدًا مستقبليًا لوقوعه في سياق جملةالشرط[٢]، والقصد من مجيئه مع جملة الشرط إنزال غير الواقع منزلة الواقع ؛ لِما في الفعل الماضي من دلالة قطعية على تيقن الحصول والوقوع[٣]، وبالعودة للفعل الكلامي نجد أنّه طابق شروط انجاز الفعل الوعدي [٤]، فالمتكلم هو الذي ألزم نَفسه بتأدية الفعل في المستقبل بدلالة القرينة المقالية الدالة على الاستقبال التي تمثلت بأسلوب الشرط ، فضلًاعن قدرته على أداء مايلزم نفسه به؛ بالنظر لسلطته ، أمّا شرط الصدق ووجود النية الحقيقية في الأداء يمكن أن نقول:إنّه متحقق وإن كان هذا الأمر لايخضع لمعيار، لكن بتأمل الشواهد التاريخية يُلحظ مقدار سعي معاوية الدؤوب، وهباته ،وإسرافه اللامحدود لِمن يتعاون معه في مناجزة الإمام علي "ع"، أو الإنحراف عنه، وشِرَائه الذَمّ بالأموال والمُنح والهبات الطائلة لأجل ذلك [٥]، فضلًاعن القرينة اللغوية التي تمثلت في تجرد جواب الشرط من (اللام الرابطة) التي يسميها النحاة (لام التسويف أو التأجيل) ؛ لأنّها تدل على تأخر تحقق الجزاء زمنًا طويلًا(الذي يمثل وعدًا ها هنا)، وعدم مجيئها يدل على تحقق الوعد بعد زمن يسير من تحقق الشرط[٦]، الشرط[٦]، وما هذا إلاّ دليل على الرغبة الملحة عند الواعد بتحقيق الوعد فيما لو تحقق الشرط ، أمّا الأثر المرجو من هذا الفعل الوعدي فجاء ممثلًا في استمالة المخاطَب للوعود المغرية التي حملته على تحقيق المطلوب طمعًا في وعد الواعد بمايوحيه الكلام اللاحق والشواهد التاريخية[٧].

---

[١]وهي واحدة من نوعي (لو الشرطية)وتأتي للدلالة على الشرطية الحقيقية وتقتضي تعليق أمر على آخر وجودًا أو عدمًا في المستقبل وترتبط جملتاها ببعضهما ارتباط المسبب بالسبب غالبًا فلا يتحقق معنى الثانية إلّا بتحقق معنى الأولى ، ويوجب زمن الفعل في جملتي الشرط والجواب مستقبلاً معنىً لا صيغةً وتختلف عن لو الإمتناعية بعدم امتناع شرطها ، ينظر:جامع الدروس العربية /مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، ، ٢٥٨/٣ ، النحو الوافي ٣٧٤/٤-٣٧٥

[٢]ينظر:معاني النحو، ٤٧/٤.

[٣]ينظر:نفسه ، ٤٧/٤-٤٨.

[٤]تُقاس صحة انجاز الفعل الكلامي في الوعد إذا تضمّن شروطًا هي: ١-أن يكون المتكلم هو المسؤول عن إحداث المطابقة ، ٢-أن تكون تأدية الفعل في المستقبل، ٣-قدرة المتكلم على إداء ما يلزم نفسه به، ٤-وجود شرط الصدق والنية في تأدية الفعل، ينظر:الإنشاء في العربية ٥٠٦-٥٠٧.

[٥]ينظر:العقد الفريد /ابن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ، ٢١٨/١ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ،١٦٤/١-١٦٥.

[٦]ينظر:النحو الوافي ،٣٧٧/٤.

[٧]ينظر:ريحانة الألبا ،٣٧٧/٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٦٥/١.

ويظهر فعل الوعد أيضًا في قول الرجل لذلك الشخص النيّر الذي أبصره في مَنَامِه فرَاحَ يَعْرضُ عليه احتياجه لدار فما كان من الأخير إلّا أن:((**اخَذَ لَوحًا من الألوَاح،ورَقّمَ به بأحسنِ إفصَاح، إنّني لأَهبنّك منزلةً في مَنازِلِ القَمَر وأحلنّك مَحَلًا تستقرُ بهِ على سائرِ البَشر**))[١].

يلتزم المتكلم أمام المخاطَب بإدائه فعلًا وعديًا يسعى من خلاله إلى جعل الخارج مطابقًا لملفوظه في قوله:(إنَّني لأَهبَنّك منزلةً في منازل القمر، ولأَحلنّك مَحلاً تستقر بهِ على سائر البشر)، داعمًا هذا الوعد بمجموعة من الدوال التوكيدية هي (إنّ + القسم + اللام ونون التوكيد الثقيلة)؛ لأنّ((من شأن من تعده وتضمن له ،أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به، فهو أحوج شيء إلى التأكيد))[٢]، ولاسيّما أنّ حال المخاطَب تقتضي من المتكلم أنْ يؤكد له الكلام بأكثر من مؤكِّد ، فهولا يملك دارًا مطلقًا وأنْ يهبه شخص ما دارًا من دون مقابل يُعد أمرًا مستبعدًا بالنسبة له؛ لذا احتيج فيه لتوكيد الأمر وتثبيته في ذهنه؛ ليزيل أيّشكٍ قد يعتريه، وفي اتصال الفعل بنون التوكيد الثقيلة التي خلصت الفعل للمستقبل[٣] ما يناسب إنجازية الفعل الوعدي الذي يتعهد المتكلم فيه بفعل شيء ما في المستقبل.

ويدخل في حيز الوعديات الأفعال الكلامية التي تنطوي على تهديدٍ ووعيد، إذ يتعهد فيها المتكلم بفعل شيء للمخاطب مستقبلًا[٤]، وهو يرد عادة للدلالة على السوء[٥]، ومنه ما جاء في هذه المقامة على لسان لسان الملك مخاطبًا جندهومعلنًا لهم تنصيبه صهره خليفةً عليهم، متوعدًا من ينشق عن تنفيذ الأمر أو لاينقاد له بالقول:((**وأمّا مَنْ شَقَّ العَصَا،وبانَ عن الطاعةِ وعَصَى، فهو القَاصي ولو مِتُ إليه بالرَحِمِ الدَانِي، فكُونوا له خيرَ رَعيةٍ بالسَمْحِ والطاعةِ في جميعِ الأحْوال، يكُ لكمْ بالبرّ والموالاةِ خيرَ وال**))[٦].

أنجز المتكلمفعلًا وعديًا مثله جواب الشرط (فهو القاصي)[٧]، الذي هو جزاء من تمرد وخالف الأوامر، الأوامر، وقد انتخب له التعبير الاسمي الدال على ثبوت الأمر واستقراره[٨]؛ لتأكيد حقيقة وقوع العقاب العقاب لمن خالف الأمر وعصاه؛ ولمّا كان المتكلم ذا سلطة على المخاطَبين كونه الملك والحاكم عليهم، فهو قادر على انجاز الفعل والالتزام به؛ لذا فقد تحقق الشرط التمهيدي لإنجازالفعل، أمّا شرط الإخلاصفتمثل بجدية المتكلم في تحقيق الفعل وإعلامه بما يترتب عليه من المخالفة والعصيان وما

---

[١] علم الأدب، المقامة الديرية، ٢٧٨.

[٢]استراتيجيات الخطاب ،١٣٦.

[٣] ينظر: معاني النحو، ٤/ ١٣٣.

[٤]ينظر: نفسه، ٣/ ٢٨٢ – ٢٨٣.

[٥]ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف،عبدالرؤوف بن المناوي (١٠٣١ هـ) ، ٣٣٩.

[٦] التحفة المرضية، ٢١٠.

[٧]القاصي: المُبعد المتنحي، يقال قَصيَ قصاً إذا أُبعد، ينظر: لسان العرب ،١٨٤/١٥(قَصا).

[٨]ينظر:معاني النحو:١٥/١، و ١٥٢/٣

ينتظره من عقاب، وقد أنجز المخاطبون في قبال ذلك أيضًا فعلًا وعديًا تحقق بقولهم:(أن نَعْم)[١]الذي يحمل وعدًا بتنفيذ ما أُمروا به من طاعة لخليفة الملك والانقياد له، أُنجزباستعمال الدال (نَعَمْ) الذي لم يعد في هذا الملفوظ حرفًا من حروف الجواب بل هو فعل انجازي دال على الوعد ؛ لأنّه سبق بطلب[٢] تمثل تمثل في قول المخاطب (كُونوا له خيرَ رعيةٍ)، وعد به المتكلم المخاطَب بأنّه سينجز ما أُمر به ، بمعنى (سنكون خيرَ رعيةٍ)، والمتكلم ملزمٌ بانجاز الوعد؛ لأنّ المخاطَب أعلى من الواعد سلطةً، أمّا شرط الصدق في الوعد فقد تحقق أيضًا؛ لأنّ المتكلم يريد فعلًا انجاز الفعل وتحقيق مضمونه، ويظهر ذلك في هذا المقام من رضا المتكلمين وإعجابهم بهذا الخليفة الموعود بقولهم:((لله دَرّه من خليفةٍ وانْعُم))[٣] .

ويرد فعل الوعيد أيضاً الذي هو فعل إلزامي لكنّه ضد مصلحة المتلقي[٤]ولا يعود عليه بالنفع في قول المتكلم في هذه المقامة:((**لأُقِيَمنَّ عليك الحدّ والقَطْع، ولأجعَلنَّك عِبْرَةً إلى يوم الجَمْع**))[٥].

ففي هذا الملفوظ يتوعد ذلك الشيخ احد الفتيان متهمًا إياه بسرقته بعد أن وجده في بيتهمتعهدًا بإنجاز فعل الحدّ والقطع عليه[٦]باستعماله الفعلين الكلاميين الانجازين:(لأقيمنّ) و(لأَجعَلنّ)، وليجعل وعيده أقوى إنجازًا ومن ثمّ أكثر تأثيرًا فقد تم تعديل القوة الإنجازية للفعل باتصاله بلام القسم ونون التوكيد؛ ليؤكّد على درجة صدقه في تحقيق الفعل[٧]،مما يولد الخوف والهلع عند المخاطَب الناتج من تيقنه من قيام المتكلم بالفعل، وهذا ما تلمسه البحث في السياق اللغوي اللاحق بما أفاده قول المؤلف:((فطارتْ نفسُ الفتى شُعَاعاً، واستطار فؤاده ارتياعاً))[٨]، غير أنّ الفعل هنا لم ينجزبصورة صحيحة؛ لعدم توفر القصد والنية عند المتكلم لإنجاز وعيده[٩]؛ إذ وبالعودة إلى السياق التخاطبي نجد أنّ قصد المتكلم هو التحايل

---

[١]التحفة المرضية، ٢١٠.

[٢]ينظر: الأصول في النحو،ابن السراج ٢١٧/٢، والجنى الداني،٥٠٦، ومعاني النحو ٢٣٥/٤

[٣]التحفة المرضية، ٢١٠.

[٤]ينظر: العقل واللغة والمجتمع ، ترجمة: سعيد الغانمي، ٢١٨.

[٥]مجمع البحرين، المقامة الحلبية ،٥٤.

[٦]والحدّ: قصاص الفاسق ، أمّا القَطْع فهو قصاص السارق ، ينظر: التهذيب في فقه الإمام الشافعي /الإمام أبو محمد محمد الحسين بن محمد بن الفراء البغوي(ت٥١٦ه)، تحقيق:الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان١٤١٨ه–١٩٩٧م، ٢٣٩/٧، ولسان العرب ١٤٠/٣(حدد).

[٧]ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ١٧٦.

[٨]مجمع البحرين، ٥٤، شُعَاعا :متفرق ومنتشر ، استطار:تقطع وتطاير ، أيّ أصبحت نفسه متفرقة منتشرة ، وهو كناية عن شدة الخوف، ينظر:لسان العرب ١٨١/٨(شعع)، و٥١٣/٤(طير)، وهامش مجمع البحرين ٥٤.

[٩] ينظر: آفاق جديدة، ٧٩، ١٠٠ والأفعال الانجازية، ٦٢.

على المخاطَب من أجل سلب ماله لا لأجل إقامة الحد أو القطع عليه[١]وعليه يمكن القول: إنّ الفعل كان فاسدًا .

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية غير المباشرة

توطئة: مخالفة المعنى الانجازي للمحتوى القضوي

تتجسم الأعمال اللغوية بتحققها في أقوال[٢]، فإذا طابقت هذه الأعمال القوة الحرفية المُنجزة تُعرف حينذاك بـ (الأفعال الكلامية المباشرة)، لكنَّ هذا الأسلوب لايسري على مقامات التخاطب كلّها، فقد يُعبر المتكلم عن قصده بتجاوز الدلالة الشكلية الحاملة له ، فتتعدد القوة الانجازيةللفعل ويكون للجملة الواحدة أكثر من غرض إنجازي، منه ما نصّت عليه الصيغة التركيبية بمعنى حرفي ظاهر، ومنه ما يحتاج إلى استدلال وتحليل لسياق الكلام وملابساته[٣]، فيُفصح الفعل حينها عن معانٍ غير معبر عنها في محتواه القضوي[٤]، وهو ما أُصطلح على تسميته بـ (الفعل الكلامي غير المباشر)الذي هو((اختزال لقولنا فعل كلامي مُصاغ صياغة غير مباشرة إذا عُبِّر عن قيمته تحت عمل آخر))[٥]، ويدخل هذا التعبير غير المباشر في اهتمامات الدراسات التداولية؛ لأنّ من أهدافها((دراسة استعمال اللغة، فهي لا تدرس البِنية

---

[١]ينظر:مجمع البحرين، ٥٤.

[٢] ينظر:معجم تحليل الخطاب،باتريك شارودو، دومينيك منغنو، ٢٣.

[٣] ينظر: آفاق جديدة، ٧١، و التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، ٢١٩.

[٤] ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ٩٥.

[٥]معجم تحليل الخطاب، ٢٣.

اللغوية لذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة))[١]، وتُعد هذه الممارسة للفعل الكلامي من الإشكاليات المركزية في تداولية الأفعال الكلامية، إذ تكمن المشكلة في هذا النوع من الأفعال في معرفة كيفية أنْ يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئًا آخر، وكيف للمخاطَب أن يفهم مراد المتكلم الضمني؟، ولحلِّذلك يفترض سيرل أنّ المتكلم يستطيع أن يُبلغ المخاطَب أكثر مما يقول في منطوقه باستناده إلى معطيات لغوية أو غير لغوية مشتركة بينهما، فضلًاعمّا يتمتع به المخاطَب من مقدرة عقلانية واستدلالية[٢]، ومثال ذلك قوله تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (الإسراء/٦٤)، فالخطاب من هذا القبيل يكون حاملًا لفعليين لغويين، الأول الفعل الإنجازي الحرفي وهو الأمر، والثاني الفعل المستلزم وهو التهديد ، وهذا الفعل المستلزم يُتوصل إليه بقرائن السياق؛ لأنّه لا يمكن حمل هذا الأمر على حقيقته فهو بمثابة أمر بفعل القبح وهذا منزهٌ عنه تعالى[٣].

ويفترض (سيرل) أنّ لكلّ جملة في اللغة مغزى كلامي يتولد من صيغتها النحوية الحرفية ، ففي سؤال المتكلم للمخاطَب عن إمكانية مناولته الملح في مثال (سيرل) الأشهر والأظهر يكون السؤال هو المطروح في المقام الأول بغض النظر عن أيّ فعلٍ آخر يمكن إنجازه بوساطة هذا السؤال، فإذا كان المتكلم يقصد بسؤاله شيئًاآخر فيكون حينها قد أنجز فعلًاآخر يضاف إلى الفعل الكلامي الذي تدل عليه الصيغة التركيبية المباشرة[٤]، وبذلك يؤكد (سيرل) احتواء الإنجاز غير المباشر على قوتين إنجازيتين:حرفية مباشرة، ومستلزمة غير مباشرة ، وبحسب ذلك يكون الفعل الإنجازي غير المباشر((محول عن الفعل الإنجازي المباشر ، ومن ثمّ فإنّ الفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن الفعل الإنجازي المباشر ولا ينعكس))[٥]، وهذا الذي جاء به (سيرل) في نظريته الشهيرة قد تطرق إليه العلماء العلماء العرب حيث أشاروا إلى هذه الأفعال في حديثهم عن المعاني الأُوَل والمعاني الثواني موضحين أنّه قد يتزامن في الملفوظ معنيان ظاهرٌ(أولي)وهو المعنى الحرفي غير المقصود، وآخر ضمني (ثانوي)هو المقصود أطلقوا عليه معنى المعنى ويتوصل إليه عن طريق المعنى الأول[٦]مع فارق طفيف هو أنّ سيرل يستعمل المصطلحين بطريقة متعاكسة، فمصطلح الفعل الكلامي الأولي أو الرئيس

---

[١] التداوليات علم استعمال اللغة ،٢٠.

[٢] ينظر: آفاق جديدة، ٨٢، و التداوليات علم استعمال اللغة ،٣١٤-٣١٥.

[٣] ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل،نصر حامد أبو زيد،١٠٤.

[٤] ينظر: النظرية البراجماتية، ١٠٨، ونظرية الفعل الكلامي، ١٧٤

[٥] ينظر: آفاق جديدة ،٨٤.

[٦] ينظر: دلائل الإعجاز، ٢٦٣، و مفتاح العلوم، ٣٠٢، ٣٠٤.

عنده هو الفعل غير الحرفي المنجز من خلال الفعل الكلامي الثانوي أو الفرعي (الحرفي)[١]، وعليه فإنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة لا تدل في هيأتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي وإنّما الزيادة في قصد المتكلم[٢]، الذي تدلنا عليه فضلًاعن السمات المعجمية والتركيبية الحواضن السياقية التي يلزم تتبعها لنصل إلى قصدية الخطاب، وبالرغم من أنّ (سيرل) قد أفاد من نظرية (غرايس) في الاستلزام الحواري كإطار للاستدلال على المعنى غير المباشر غير أنّه يُعد واضع الأُسس المنهجية في تحليل الفعل الكلامي غير المباشر؛ لأنّ نظريته تستوعب أفعالًا غير مباشرة ضمن مدى أوسع من النظريات الأخرى[٣]*، إذ إنّه انفرد في بناء مشروعه على أساس مقتضيات العملية التخاطبية والتعاون الخطابي والأفعال الكلامية والمعلومات المشتركة بين المتخاطبين ومبدأ الاستدلال[٤].

وقد قارب البحث تجليات الأفعال الكلامية غير المباشرة من منظور فكرة (سيرل) في حلّ إشكالية التضمين في الاستعمال اللغوي فرصد جملةً من هذه الأفعال، منها ما جاء منبثقًا عن صنف الأفعال الكلامية التوجيهية، ومنها ما جاء منبثقًا عن صنف الأفعال الكلامية الإخبارية و بحسب ورودها في المدونة محل الدراسة.

أولًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن التوجيهيات

ومن ذلك امتناع إجراء الأمر على حقيقته في طلب حصول الفعل على سبيل الإلزام من الأعلى إلى الأدنى، إذ قد يستعمل في غير هذا الأصل الموضوع له فيؤدي أغراضًا تداولية وهذه الأغراض يُتوصل إليها باستحضار القرائن اللغوية والمقام التخاطبي، ويتأتى ذلك عند خرق شرط الاستعلاء للأمر فتختلف حينها الخصائص التخاطبية التي تربط متكلمًا بمخاطَب، ويأتي المعنى مستلزمًا لمعنى آخر غير المعنى القضوي التركيبي، كالدعاءمثلًا، كما في قول المتكلم في هذه المقامة:**((اللهُمَّ اهدِنَا صراطَ الحقِ**

---

[١] ينظر: نظرية الفعل الكلامي، ١٦٧.

[٢]ينظر:آفاق جديدة، ٨٢.

[٣] ينظر: نظرية الفعل الكلامي، ١٧٩.

* كانت معالجة غرايس للمنطوق المتضمن لمعنى غير معناه الأصلي بعيدة عن معالجة سيرل؛ لاختلاف آليات المعالجة فما رأهسيرل أنه من الأفعال غير المباشرة التي تتضمن قوتين انجازيتين وجده غرايس مجرد استلزام حواري يتم عند خرق المتكلم إحدى قواعد التخاطب في مبدأ التعاون فالأمر إذن عنده يتعلق باستلزام حواري لا بإنجاز فعل في العالم الخارجي ، إذ أصبح يميز بين القوة الإنجازية الحرفية المدركة مقاليًا، والقوة الإنجازيةالمستلزمة المدركة مقاميًا، ينظر: التداولية اليوم ،٥٩-٦٠ ، والاستلزم الحواري في التداول اللساني، ٩٦.

[٤] ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ٣١٥، ((مبدأ الاستدلال :هو العملية المنطقية لربط المعطيات الملفوظة والسياقية والمحادثية والتداولية من أجل إنشاء دلالة ويقع مفهوم الاستدلال أساساً من جهة المتلقي)) ، التداولية من أوستن إلى غوفمان ،١٥٣.

والصَواب))[١]، فالمتوالية اللسانية (اهدنا صراط الحقّ) تفصح عن كون الخطاب موجه إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو إذن صادر من منزلة دنيا إلى منزلة عليا، وعليه فإنّ الأمر هنا فقد شرط الاستعلاء حاملًا خضوعًا وتذللًا؛ مما أنجز لنا فعلًا مستلزمًا مقاميًا تكمن قيمته في الدعاء ، وهذا الفعل المنجز (الدعاء) يمكن للمتلقي ان يهتدي إليه من خلال وجود مؤشرات معينة من داخل النص نفسه[٢]، ففي صيغة التعظيم (اللهُمَّ) تعديل للخطاب الذي يميل به عمل الأمر الوضعي إلى الإلزام[٣]؛ لينتج فعلًا غير ملزم هو الدعاء.

وقد يخرج الأمر إلى الالتماس حين تتساوى الرتب بين المتخاطبين، نحو قول المتكلم في هذه المقامة: **((اصْغُوا يا مَحَافِلَ القَوْمِ لِعَجَائبِ ما رَأيْتَهُ في سِنَة النَّوْم، وهي إنّي عَايَنْتُ تِلالاً تَزَلْزَلَتْ ، وجِبَالاً تَقَلْقَلَتْ ، وأَهْوِيَةً تَعَاسَفَتْ ...))**[٤]

صُدر الخطاب بفعل أمروجهه المخاطِب لمجموعة من الناس المجتمعين في أحد المحافل ممن هم مساوون له في الرتبةطالبًا إليهم الإصغاء له بالقول:(اصغوا)؛ حتى يقص عليهم رؤياه علّه يجد مُعَبرًا لها، وهو لايملك السلطة عليهم ليكون أَمِرًا حقيقيًا لهم؛ مما جعل شرط الاستعلاء الذي يضمن للأمر الإنجاز الناجح[٥]منتفيًا هنا، ليكون الغرض الإنجازيالالتماس، وفُهم ذلك من تساوي الرتبة بين المتخاطبين مما يجعلنا ندرك أنّ في النص السابق تحقق فعلين مختلفين من الفعل الانجازي الواحد، إذ حقق فعل انجازي ثانوي(الأمر) تُوصل عن طريقه إلى إنجاز فعل أولي هو الالتماس.

ويخرج الأمرأيضًا للنصح وذلك عندما يكون منجزًا في مقام نصح وإرشاد ممن هو أدنى لمن هو أعلى منه مع الأخذ بنظر الاعتبار جهة المنفعة في الخطاب التي تعود على المخاطَب، ومنه قوله في هذه المقامة:**((يا مولاي: اشكُرْ نِعمَةَ الله لئلَّا يُغيّرها عنك، وكُنْ خائفاً منه كما تخاف الناس منك، وإيَّاك الكِبْرَ والتيّه ، فإنّ غَضَبَ الله على من يأتيهِ ، وكُنْ في اللِيّنِ والشدِّة بينَ بينَ ، فإنّ الناس لايُؤْخَذون بالمحض من الطَّرَفَين ..))**[٦].

يقوم المتكلم هنا بإبداء عدد من النصائح والوصايا للمخاطَب بعد أن طلب منه ذلك، مستعملًا دوال الأمر التي انتقلت من حاضنة الأمر المباشر لتوليد فعل انجازي غير

---

[١] مجمع البحرين، المقامة الخزرجية، ٣٨.

[٢] ينظر: التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ،كلاوس برينكر ١٢٣.

[٣] ينظر: الإنشاء في العربية، ١٤٥.

[٤] كتاب علم الأدب، المقامة الديرية، ٢٧٨.

[٥]ينظر: نظرية الفعل الكلامي، ١١٧

[٦] مجمع البحرين، المقامة العاصمية،١٩٢-١٩٣.

مباشر؛ لأنّ الآمر أدنى مرتبةً من المأمور بدلالة القرينة اللغوية(يا مولاي)، ناهيك عن كون الخطابأنجز في معرض النصح والوعظ، وعائديته النفعية تعود على المخاطَب الذي كان طالباً ذلك النصح من المتكلم بدليل قوله:(أوصني)؛ لِما يبدو على المتكلم منأنّهشيخٌ فقيه تقي[١]، فكان المعنى المستحصد هو (النصح)، أمّا الفعل التأثيري الناتج فتمثل في استحسان المخاطَب هذه النصائح وإطلاقهحزمة من الأوامر لعمالهبتمليتها وتوزيعها على نوابه، فضلًا عن العطاء المادي للمتكلم (الناصح)[٢].

وبالنتيجة فإنّهناك فرقًا بين صيغة الأمر ومعناه فالأمر معنى إنشائي لكن صيغته ليست بالضرورة أن تكون دالة على الإنشاء دائمًا، إذ تخرج أحيانًا لمعانٍ أخرى تُخصص هذه المعاني الإنجازية تبعًا للمقامات التخاطبية المختلفة، وهي غير خاضعة للمواضعة اللغوية من دون الأخذ باعتبارات أخرى مثل السلطة وجهة منفعة الخطاب ونوع الأمر[٣].

ولا يقتصر ذلك على "فعل الأمر"، إذإنّ مايصدق على الأمر يصدق أيضًا على النهيفيجري مجرى الأمر في وجوب تقييدهبشرط الاستعلاء كي تتحقق انجازيته بصورة مباشرة، وإذا فقد هذا الشرط انحرف المعنى لإنجاز أفعال كلامية أخرى من مثل الالتماس أو الدعاء أو النصح[٤]، وقد جاء ذلك في هذه المقامة شعرًا[٥]:

فَما جَدثٌ طافتْ ملائكة الرِّضا به ولهُ الزوارُ تسعى مدى الدهـــرِ

كَمِثلِ ضريحٍ ليس يَعرفهُ امروٌ وليس سوى زيد النحاة به يـــــــدري

فيا صاحِ لا تذكرْ أوابدَ مَعْشَرٍ إذاذُكرتْ فاضتْ دموعي على صـــدري

استعملَ المتكلم الدال الموضوع للنهي (لا+الفعل المضارع) في قوله:(لا تَذكرْ)، وقد انتفت صفة إلزام المخاطب بالفعل؛ لانتفاء شرط التسلط الواجب توفره عند المتكلم الناهي، فالفعل صادر ممن هو مساوٍ للمخاطَب بالرتبة بدليل المؤشر اللغوي:(يا صاحِ)، أيّ (ياصاحبي)الذي جاء مُرَخمًا[٦]؛ ليجعلالفعل ينتقل ينتقل من قوته الإنجازية الحرفية المدركة مقاليًا إلى قوة إنجازيةمستلزمةحاملة لمدلول الالتماس الذي هو فعل كلامي غير ملزم.

---

[١] ينظر: مجمع البحرين، ١٩٢.

[٢] ينظر: نفسه، ١٩٤.

[٣] ينظر: استراتيجيات الخطاب،٣٤٢.

[٤] ينظر: المقتضب، ١٣٠/٢، ودائرة الأعمال اللغوية ،٢١١، والإستراتيجية التوجيهية في سورة مريم، ١٦.

[٥] ريحانة الألبا، ٣٧٩/٢.

[٦] ولا يجوز ترخيم المضاف إلّافي هذا وقد سُمع من العرب مرخمًا، ينظر: لسان العرب ٥٢١/١، مادة (صَحِبَ).

ومن القوة الإنجازيةالمستلزمة للنهي أيضًا النصح نحو قوله في هذه المقامة:**((حتى صَارتْ أصْوَاتُ العَدْلِ والحَقانية والاسْتقَامة، لا تُسمعُ بِحَضْرَةِ العَقْل الحَاكِم في أثْنَاءِ تلك القِيْامة، لاسيَّما وقد غَلّبَ الشرُ والباطلُ والنَقْصُ على الخَيْرِ والحَقّ والكَمَالِ ، وأُبْعِدُوا هؤلاء المغلوبين عن حَضْرة المَلكِ العَقْل في الحَال، ..... غيرَ أنّ أولئك المَغْلوبين كانوا يُنَادُونه بالنصحِ مِنْ بَعِيْدٍ ويقولون: لا تَغْتَرْ بهذه الأحْوَال البَاطِلة، أيّها المَلك السَّعيد))**[1].

أدّى المتكلمون كلامهم باستعمال الصيغة الدالة بنيويًا على النهي (لا + الفعل المضارع)؛ ولأنّ السياق سياق حديث ممن هو أدنى لمن هو أعلى بدليل المؤشر الخطابي:(أيُّها الملك السعيد)، وبما أنّ النهي الحقيقي قائم على وجود تراتبية (عليا ودنيا) مكونة من شرط الاستعلاء؛ لذا لم تعد مقولة النهي هنا دالة على وجوب ترك الفعل بدلالة المراتب المقامية التي تربط المتكلم بالمخاطَب، فما نَهى عنه المتكلمون لا إلزام فيه ولا يستطيعون إرغام المخاطَب على تنفيذه، وكان للسياق الخطابي الذي هو سياق نصح بدليل القول:(كانوا ينادونه بالنصح) الأثر في توضيح الفعل المستلزم المشتق من فعل النهي، والفعل التأثيري متروك للمخاطَب في أن يمتثل له أولا يمتثل بالرغم من أنّ المتكلم يمثل أصوات العدل والحقوالاستقامة[2]، وبذلك يكون المتكلم قد أنجز فعلين لغويين:الأول فعل كلامي دال على طلب من المتكلم للمخاطَب بفعل شيء في المستقبل ، والثاني فعل كلامي مستلزم تمثل بـ(النصح والإرشاد).

ويُعد الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية التي تخرج عن نمطها الحقيقي الذي يريد به المتكلم من المخاطَب أمرًا لم يستقر عنده[3]لتتولد منه أفعالٌ كلامية متنوعة تناسب المقام الذي ولدت فيه، ويسمى في الدرس التداولي الحديث (السؤال البلاغي) ونجد من المحدثين من عرف هذا المصطلح بقوله هو((الاستفهام الذي لايَحتاج فيه صاحبُه إلى الإجابة لبداهتها))[4]، وهو يساوي الاستفهام المجازي عند القدماء ، فكلّ استفهام يخرج عن أصله من طلب الفهم والإفهام ليفيد أغراضًا أخرى مهما كانت هذه الأغراض والمعاني التي يخرج إليها يسمى عند المحدثين بالسؤال البلاغي[5]، وهذه المعاني مثل: التوبيخ والتأنيب والتهديد، والتقرير ... وغيرها من الإنجازات اللغوية التي يكون فيها المتكلم قد قام بإنجاز جملة مع القصد إلى دلالتها الحرفية دلالة آخرى غير حرفية، أي دلالة مدركة مقاميًاومن ثمّ

---

[1] المقامة الفكرية ،٢٩.

[2]ينظر:المقامة الفكرية،٢٨.

[3] ينظر: مفتاح العلوم ،٣٠٣-٣٠٤، والإنشاء في العربية ،١١٣.

[4] الحجاج في الخطاب السياسي ، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس إنموذجًا،عبد العالي قادا ٢٦٨.

[5] ينظر: السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل ،بسمة بلحاج رحومة الشكلي ، ١٢ومابعدها.

نكون بصدد قوتين إنجازيتين اثنتين لمنطوق جملي واحد[١]القوة الإنجازية الحرفية (الاستفهام)، والقوة الانجازيةالمستلزمة التي منها الإنكار الذي يندرج كفعل مستلزم يتولد عن الفعل الأصلي للاستفهام، وهذا الضرب مخصوص بالاستفهام بالهمزة ويندرج تحته قسمان: إنكار إبطالي، وإنكار توبيخي[٢]، وجاء النوع الثاني في قول المتكلم (الأمير)مخاطبًا ذلك الرجل الذي أُتهم بهجاء العرب قائلًا له في هذه المقامة:**((أُفٍّ لك يا أَشْأَمَ من البَسُوس*، أَتَهْجُو العَرْبَ الَّذِين منهُم أُخِذَ الشِّعرُ والخِطَاب))**[٣].

ففي مقولة (الاستفهام): (أتهجو العرب..)إنكارٌ توبيخيٌيقتضي أنّ المخاطب قام بفعل استلزم التوبيخ عليه[٤]هوتصغيره شأنَ العربببعد أن أُتهم بهجائهم وتجرئه عليهم ، فالمتكلم لم يرد من استفهامه هذا السؤال عن شيء يجهله ؛ لأنّه عالمٌ بما قام به المخاطَب من فعل، لكن استفهامه جاء قاصدًا منه توبيخه، غير أنّه ((لم يتخذ لبلوغ ذلك القصد الألفاظ الموضوعة للتوبيخ والتنبيه فيكون توبيخه مسلطًاتسليطًا فظًا ويكون لفظه عاريًا ساذجًا ومباشرًا وإنّما عمدَ إلى إنشاء الاستفهام؛ لتزجية المخاطب وسوقه وحمله على الإقرار بنفسه بما كان فيه))[٥]؛ ولأنّ في الاستفهام طلب ما في الخارج ليحصل ما في ذهن المتكلم السائل، وبما أنّ ما في الخارج حاصل في ذهنه فأنّ المقصود حصوله في ذهن المخاطَب المطالب صوريًا بالجواب، مما يعمق درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجه إليها الملفوظ، ومن ثمّ يسهم في تغيير حاله والتأثير فيه[٦]، فندرك أنّ للاستفهام في الملفوظ السابق قوتين إنجازيتين:حرفية هي الأولى، ومستلزمة هي الثانية التي صارت بفضل السياق القوة الأولى للملفوظ؛ لأنّها تمثل قصد المتكلم من الخطاب[٧].

وقد يُنجز بفعلالاستفهام فعل النفي الذي هو من صنف الإخباريات وما يقارب ذلك ما جاء في هذه المقامة التي يفاخر فيها الليلالنهار قائلًا:**((وهَلْ يُزْرِي بالخَالِ سَوَادُهُ البَارِع أو يُغْرِي بالبَرْص بَيَاضُهُ النَّاصِع))**[٨].

---

[١] ينظر:التداوليات علم استعمال اللغة، ٥٢٦.

[٢] ينظر: معاني النحو، ٤/ ٢٠١، ٢١١.

*هي بسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن ذهل الشيباني قاتلُ كليب، يضرب بها المثل في الشؤم ؛ لإنّها كانت سبباً للحرب بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة، ينظر: مجمع الأمثال ٣٧٤/١، ومجمع البحرين، هامش ص٧٤.

[٣] مجمع البحرين، المقامة التغلبية ،٧٤.

[٤] ينظر: معاني النحو ،٢٠١/٤.

[٥] الإنشاء في العربية ،٤٠٨.

[٦] ينظر: نفسه،٤٠٧ – ٤٠٩.

[٧] ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٣٨٤.

[٨] المفاخرات والمناظرات ،١٣٧.

كان للتركيب الاستفهامي في النص السابق مضمون غير المضمون المجرد الذي نقله حرفيًا، وبمعية السياق التخاطبي نَفهم أنّ المتكلم في سياق محاججة أرتكز في حجاجه على التناقض وعدم الاتفاق، من خلال قلب البرهان على صاحبه باعتماد حجة الخصم واثبات تناقضها وقلبها على مستعملها[١]، إذ يبدو أنّ من أعابه قد تعلل بقبح السواد ، وجمال البياض ، فإذا به يقلب الحجة على خصمه مؤكدًا أنّ ما يراه قبيحًا هو سمة جماله وتميزه ، فغدا ما كان قبحًا في نظر الخصم حسنًا وجمالًا ، وصار ما كان جمالًا في نظره قبحًا، وحجاجه هذا قائمٌ على الاستفهام أسلوبًا؛ لأنّ الأسئلة وسيلة مهمة من وسائل الإثارة ودفع الأخر إلى إعلان موقفه إزاء مشكلٍ مطروح ودفعه إلى الإقرار وتبني موقف محدد إثرها[٢]، فهو يولد بالضرورة نقاشًا ويخلق نوعًا من الحوار مع المخاطَب قد يفضي إلى إقناعه[٣]، والهدف من استعمال الاستفهام هنا هو النفي، فكأن المتكلم يريد القول:(لا يُزري بالخال سواده، ولا يغري بالبرص بياضه الناصع) فسواد الخَال من آيات الجمال التي تترفع بصاحبها عن القبح، وفي المقابل لايمكن أن يغري بياض البَرص الناظر ببياضه الناصع فهو من آيات القبح ؛ لأنّه جاء عن مرض، لكن المتكلم لم يصطفِ هذاالأسلوب بصورة مباشرة؛ لأنّه((إخبار ليس إلّا على حين يكسب الاستفهام الخارج إلى معنى النفي إشراكًا للمخاطب في الأمر وكأنه يريد منه تصديقاً لما قاله))[٤]، فهو يترك للمخاطب قول ذلك[٥]؛مما يحمله على الإقرار والإذعان للنتيجة المرجوة من الخطاب، وعليه فإنّ هذا القول حمل فعلين فعلين انجازين الأول الاستفهام وهو قار في البنية التركيبية لهذا الملفوظ، والآخر المستلزم وهو فعل النفي الذي يندرج ضمن صنف الإخباريات.

أمّا خروج الاستفهام للتمني فقد وجد البحثمصداقه في قول المتكلم شعرًا[٦]:

يا ليتَ ذي الأَكدار أَولَ مَعْهدٍ كانتْ،وذاك الصفو آخرَ معهدِ

ويحي! متى أُمسي ولي نَفْسٌ بلا صَعَدٍ وأنفاسٌ بغيرِ تصَعّـــدِ

غادرت مقولة الاستفهام الواردة محتواها القضويالتساؤلي الظاهر في المنطوق الصوتي أو الحرفي (متى أُمسي ولي نَفْسٌ ....)الذي يمثل المعنى البنيوي المتجلي في الاستفهام بالأداة (متى)التي يُستدل بها

---

[١] ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ،١٩٧.

[٢] ينظر: نفسه ،١٤١.

[٣] ينظر: أساليب الحجاج في الخطاب دراسة تطبيقية،د. الغالي بنهنوم بن المهدي، ٧٧، والتداولية وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات)،د. باسم خيري خضير، ٢٥٣.

[٤] الحجاج تقنية دعائية في مناجيات الإمام السجاد "ع"، الاستفهام الحجاجي انموذجاً "بحث" ، أ.م.د. لمى عبد القادر خنياب ، ٢٠٥.

[٥] ينظر: معاني النحو ،٢٠٩/٤.

[٦] مجمع البحرين ، المقامة الحجازية ،١٦، والصَعَد والتصَعُّد اصله الصّعود وهو المشقة والجهد والشدة، ينظر: لسان لسان العرب ٢٥٢/٣ (صَعَدَ).

على السؤال عن الزمان إلى قوة انجازيةمستلزمة هي (التمني)، والمتوصلإليها بمعونة السياقالمتمثل بمراجعة حال المتكلم التي يُصرح فيها بمكابدتهالهموم والأكدارالتي باتت لاتفارقه فغدت حياته مرةً يكابد فيها الجهد والمشقة والشدة بعد صفوها له، فالمتكلم قَلِق، ضَجر، شَجِي لِما آل إليه حاله ومن ثمّ فإنّ السياق سياق تمنٍ في عمومه بدليل تصدر خطابه بـ (يا ليت)وهذا التمني صادر من متكلم يتلهف لزوال ما تملكه من همومٍ بات مستحيلًا ذهابها عنه، فناسب ذلك استعماله الاستفهام المتصدر بالدال (متى) الذي جَمَع بين طلب الفهم المُقتضي من الاستفهام، وطلب ما لايُطمع في حصوله الذي يقتضيه التمني؛ ليبثَ قصده في أنّ مايريده ويبتغيه غيرقابل للحصول واقعًا[1]، فأنجز المتكلم من خلال هذا الفعل التوجيهي الاستفهامي فعلًا كلاميًا غير مباشر من صنف التعبيريات، وعليه فقد منح أسلوب الاستفهام المتكلم القدرة على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل.

وقد يخرج الاستفهام عن دلالته الوضعية إلى مقاصد خطابية تتمثل في استنطاق المخاطب بأفعال معروفة ومعلومة لدى طرفي الخطاب وغيرهم ، والاستفهام عنها يُعد نوعًا من التقرير والاعتراف بها لا السؤال عنها ومن تجليات ذلك ماجاء في قول النهار مفاخرًا الليل قائلًا: **((فإنّي مَعْرُوفٌ بالوَفَاءِ وصِدْقِ الخَبَرِ ، مَوْصُوفٌ بالصَفَاءِ الَّذي لايَشُوبُ صَفْوه كَدَر ....، وأنا أَتَحَدَثُ بنِعَمِ الله وهو مَوْسُومٌ بِكُفْرَان النِعَّم ، ألستُ مُظْهِرَ الهِدايَّة والدِلالَة ، وهو مُظْهِرُ الغِوَايَّة والضَّلَالَة ؟))**[2].

لم تكن غاية المتكلم من مقولة الاستفهام:(ألستُ مظهرَ الهداية والدلالة، وهو مظهرُ الغواية والضلالة؟)السؤال مسترشدًا عن أمرٍ يجهله فينتظر جوابًا، إنّما ساق ذلك على سبيل الإخبار بالعدول عن التعبير النمطي المباشر للإخبار؛ لأنّه في سياق تحاجج وإظهار منْ الأفضل بالحجج المفحمة التي أراد من خلالها إثبات مفهوم وتقريره وهو:(أنّ النهار يجلو الظُلمة ويكشف ما على وجه الأرض ويوضحه فهو مصدر الهداية، والليل يغطي ما على الأرض فيجعله مظلمًا فهو مصدر الغواية)، فهو يريد تصديقًا واقتناعًا من المخاطَب بقضيته؛ لذا فقد وجد في الاستفهام ضالته، فهو الأكثر مناسبة لتحقيق الإقناع؛ لِما فيهمن طلب الجواب، ولمّا كانت الإجابة بديهية، فالمتكلم يحمل مخاطَبهعلى الإقرار والاعتراف بها، والمصادقة عليها؛ لأنّ الاحتجاج على المعترف أقوى منه على المنكر والمكذب أوالمتوقف[3]، وهذا يعمق درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجه إليها الملفوظ ، وبذلك يكونالمتكلم قد أنجزَ بتلفظه بمقولةالاستفهام فعلين إنجازيين، الفعل الحرفي المتحصل من بنية الاستفهام التركيبية، وفعل مستلزم هو التقرير؛ مدرك من السياقين النصي والمقامي ، أمّا النصي فهو دخول الهمزة على جملة

---

[1] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية، ٢١٣.

[2] المفاخرات والمناظرات، ١٣٢-١٣٣.

[3] ينظر: الخصائص ، ٢٦٧/٣ ، والإنشاء في العربية، ٤٠٨.

منفية[١]، وأمّا المقامي فهو دلالة علم السائل بالجواب التي تُعد قرينة حالية مانعة من إجراء الاستفهام على معناه الوضعي وهو طلب الاستخبار[٢]، وهذا التقرير فعل إخباري وعليه فقد انتقل الفعل التوجيهي المتمثل بمقولة الاستفهام من حيز التوجيهيات إلى حيز الإخباريات.

ومن الأفعال التي تُنجز بلفظ الاستفهام (التعجب) نحو قوله في المقامة الحجازية:**((عَهِدتُكَ بالأَمسِ خَطيبًا فمتى صِرتَ طَبِيبًا))**[٣]، فقوله :(متى صِرْتَ طبيبًا) ملفوظ استفهامي جاءعلى لسان المتكلملمّا رأى المخاطَب مُدعيًا كونه من أطباء جزيرة العربمتعجبًا ومستغربًا من شأنه وكيف صار طبيبًا ؟!؛لأنّه لم يكن على معرفة بعلم الطبّ، فهو رجلٌيجول المدن والصحاري للاحتيال والمكر بالناس مستدرًاعطاءهم، والمتكلم على معرفة مسبقة به وبأحواله وهذا ما صَرحَ به في سياق النص القريب ومن خلال المؤشر اللغوي:(عهدتك)، هذه المعرفة التي أدت إلى اصطفاء الاستفهام كوسيلة للتعبير عن ذلك التعجب الذي انتابه، ولعلّ المنعم النظر في هذا الملفوظ لا يجد استفهامًا خالصًا، ولا تعجبًا محضًا بل هو مزيج من الاستفهام المشوب بالتعجب((إذ لا يخلو التعجب من معنى الاستفهام فالاستفهام معه مستمر؛ لأنَّ مَن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه))[٤]، وعليه فقدأنجز من هذا الفعل الاستفهامي المباشر الذي يُدرج تحت صنف التوجيهيات فعلًا كلاميًا آخرغير مباشر من صنف التعبيريات .

وترى الباحثة أيضًا أنّه يمكن حمل الاستفهام على سبيل الاستهزاء، أيّ استهزاء المتكلم بكون المخاطَب صار طبيبًا مع علمه بأنّه ليس على دراية بهذا العلم ولم يمارسه يومًا .

وقد يجيء الاستفهام أيضًا ليُقصد به الطلب، ونجد مصداقه في سهيل محدثًا عن الخزامي وروايته مع طلاب أحدى المدارس ببغداد بعد أنبَيَّن لهم بعض المسائل المُشكلة في اللغة:**((اندفَعَ في شَرْحِهِ كاليَعبُوب ، حتى مَلأَ العُيُونَ والقُلُوب، فانْهَالَتْ عَلَيهِ الجَوَائِز حتى لَمْ تَبْقَ حَاجَةٌ في نَفْسٍ يْعقُوب، ولمّا قَضَى الوَطَرَ، نهضَ على الأَثر، فقَامَ القَوْمُ يُوَدّعونهُ ، وهم يَوَدُّون لو يَتَبِعُونَهُ، وقالوا:بأَنْفسِنا نَفْديك !، لقد سَعِدَ بك نَادِيك، .....ولم يكن انصرافهِ إلاّ كَلَمْحِ البصر، حتى دخلَ الأُستاذ فأَطرفُوه بالخَبَر....فألقى بطَيلَسَانِهِ إليّ ، وقال: هل لك أنْ تَلْقَاهُ بِهِ فتَرُدَّه ُعَلَيّ؟))**[٥].

---

[١] عندما يخرج الاستفهام بالهمزة عن الاستفهام الحقيقي فإنّه يفيد معانٍ مستلزمة يكون التقرير واحداً منها ، ويختص هذا المعنى –أي التقرير– بمجيء الهمزة مع الجمل المنفية نحو: (أليس اللهُ بكافٍ عَبده)الزمر/٣٦، ينظر: معاني النحو، ٤/٢٠١.

[٢] ينظر: معاني النحو، ٤/٢٠١ ، والإنشاء في العربية، ٤٠٢.

[٣]مجمع البحرين ، المقامة الشامية ،٢٨.

[٤] الحجاج تقنية دعائية في مناجيات الامام السجاد ع، ٢١٠ .

[٥] مجمع البحرين ، المقامة البغدادية، ٤٩.

يفصح ظاهر الخطاب أنّ المتكلم يسأل المخاطَب شيئًا ، باستعماله واسم الاستفهام (هل)في قوله: (هل لك أن تلقاه به فترده عليّ)، لكن بتأمل هذا الملفوظ في فضائهالسياقي نرصد معنىًتداوليًا يتضّمنه القالب اللفظي لمقولة الاستفهام هذه، وهذا المعنى يتمثل بالالتماس المدلول عليه بمعونة السياق الخطابي الذي لايحتمل معه قصد الاستفهام الحرفي، إذ يُظهر هذا السياق أنّ المتكلم (أُستاذ الطلبة) قد تعلّق بالشيخ اللغوي بَعد أن نقلوا له خبر حلّه المسائل النحوية المُشكلة ، فأُعجب بفطنته ونباهته وكان متلهفًا للقائه؛ ليزيده في حلِّ مسائلٍ أخرى ؛ لذا فقد كان طالبًا من يرجعه عليه بعد رحيله عنهم ، وحَمل القصد الطلبي الذي احتمله الاستفهام على (الالتماس)؛ لانتفاء شرط الاستعلاء بين المتحاورين مما لايمكن معه حمل الطلب على الأمر حتى وإن كان الاستفهام يخرج لمعنى (ردّه عليّ) ، فعلى الرغمِ من أنّ المتكلم أستاذ الطلبة فإنّ سياق الخطاب يوحي بأنّ المخاطَب غيرُ مَلْزمٍ بتنفيذ ما يطلبه منه؛ لأنّه لايقع تحت سلطتهِ فهو ليس من طلابه ، وذلك بما أفاده السياق النصي، وبناءً على ذلك فقد ثَبُت أنّه قَصد طلب ذلك منه ملتمسًا لا أمرًا تأدبًا منه؛ لانتفاء سلطته عليه مع ترك الأمر للمخاطب في تنفيذ ذلك الطلب أو عدم تنفيذه، بالإجابة بنعم أو لا ، أيّ أنّ المخاطب يكون ملزمًا بالإجابة فقط لابتنفيذ الطلب، مما يؤكد أنّ دلالة الاستفهام وعمله لايزول عنه وإن خرج لدلالاتٍ أخرى مستلزمة[١]، واختار المخاطَب تنفيذ طلب المتكلم ببلورة إجابته بصيغة فعلية وذلك بالذهاب لإدراك الشيخ وردِّه على الأُستاذ بدليل قولهِ:((فقرعتُ الساقَ حتى أدركته بالسوق))[٢]، مما يوحي بتحقق الفعل التأثيري من الفعل المستلزم.

ثانيًا: الأفعال الكلامية غير المباشرة المنبثقة عن الإخباريات:

ويخرج الإخبار عن انجازيته الحرفية إلى انجازية غير مباشرة يُفصح عنها السياق، ومن ذلك خروجه للدلالة على فعل توجيهي يتمثل بالأمر أو النهي، كما في هذه المقامة:**((والعِلْمُ نِعْمَةٌ، مَنْ نَشَرَها شَكَرَها، ومَنْ كتَمْهَا عن أَهْلِهَا كَفَرَها))**[٣].

صاغ المتكلم خطابًا على سبيل الإخبارمع قصديته أن يضع تحت هذا الإخبار قصد التوجيه المتمثل بالأمرفي قوله :(من نشرها شكرها) والنهي في قوله: (من كتمها عن أهلها كفرها) فيكون المعنى الضمني: (انشروا العلم، ولا تكتموه)؛ لأنّ غرضه إرادة النصح لكن بلين وترفق بعيدًا عن صيغتي الأمر والنهي اللتين تنطويان على توجيه مباشر قد يواجه بالرفض، فضلًاعن أنّ خطابه ينطوي على فكرة معينة أراد سبكها وكأنّها حكمة تصلح لكل زمان ومكان، غير مقتصرة على مخاطَب خاص، وهو ما يحققه انتخابه الفعل الإخباري، فلو استعمل التوجيه بصيغة الأمر الصريح أو النهي الصريح، لفُهِم

---

[١]ينظر:دائرة الأعمال اللغوية، ٢١٥.

[٢]مجمع البحرين، ٤٩ .

[٣] ريحانة الألبا، ٢٥٣/٢.

أنّ ذلك مقتصر على مخاطَب بعينه على عكس الصيغة الإخبارية التي أفادت توجيهًا عامًا[١]، وبذلك فقد خرج هذا الفعل الكلامي من حيز الإخباريات الذي غرضها نقل خبرٍ ما للمخاطب قد يحتمل الصدق أو الكذب إلى حيز التوجيهات التي غرضها توجيه المخاطب لفعل شيء ما.

وشبيه بذلك أيضًاخروج الخبر إلى حيز التوجيه المتمثل بالنصح والترغيب قول المتكلم شعرًا في هذه المقامة[٢]:

العلمُ خيرٌ من صلاةِ النافلة بهِ إلى الله العِبادُ واصِلة

يلوح من خلالالفعل الكلامي الإخباري:(العِلمُ خيرٌ من صلاة النافلة) فعلٌ توجيهيٌ مستلزمٌ أراد منه المخاطِب حثّ المخاطَب وترغيبه بتحصيل العلم؛ لأنّه من أشرف الأمور التي قد ينالها الإنسان وأفضل ما يتقرب به العبد إلى ربّه، مفاضلًا بينه وبين النوافل التي ترفع الدرجات عند الله تعالى وينال بها المرء رضا الخالق جلّ وعلا، فالمعنى الذي يستحصد من هذا الفعل هو التوجيه، أيّ (تقربوا لله بالعلم)، وبما أنّ المتكلم غرضه إيصال فكرة معينة قد تكون أندثرت أو نُسيت فيحاول إعادة تكوينها أو بعثها من جديد في ذهن كلّ سامعٍ لخطابه غير مقتصرٍ على سامعٍ معين فيما لو أُستعملت صيغة التوجيه المباشر[٣]جرد فعله من التقييد بذلك بعدوله إلى التعبير الإخباري باستعمال التركيب الاسمي الذيلايتحدد بزمن معين .

وقد يفارق الفعل حيز الإخبار إلى حيز التوجيه متمثلًا في الإغراء والتحذير، وذلك في قول عبد الله فكري:**((مَنْ وافَقَ صِرَاطَ الاعتدال في دُنياه في جَميع الأحوالِ، وافق الحقَّ وفَازَ بالمَرَام، ومَرَّ على صِراط الآخرةِ يَومَ القِيامةِ كَلَمْحةِ البَرقِ الخَاطفِ إلى دَار السَّلام، ومَنْ انْحَرَفَ عن صِرَاطِ الاعْتِدَال، ذَاتِ اليَمِينِ وذاتِ الشِّمَالِ، وَقَعَ في الدُّنْيَا في نِيرانِمَسَاوِىء الأخْلَاقِوالأعْمَال))**[٤].

تلونت المقولة الإخبارية المؤداة بالجملة الشرطية بحسب السياق الذي وردت فيه، وهو سياق حثٍّ وترغيب على مكارم الأخلاق، وتحذير من عواقب الأخلاق السيئة وتبعاتها، والسبب في تجاوز التعبير المباشر إلى الإخبار كطريقة للتعبير عن هذا التوجيه المتمثل بالإغراء بالجنة ونعيمها، والتحذير من النار وجحيمها ؛ لأنّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي ستكون أقوى تأثيرًا في نفس السامع، وأجدى في مثل هذه المواقف، كون التلطف في الخطاب مع المتلقي يكون أكثر حثًا على الانتباه وسرعة الإجابة .

وقد يفارق الخبر غرضه الذي يتمحور في نقل واقعة قد تكون صادقة أو كاذبة إلى غرض آخر هو الطلب على سبيل التضرع[٥]المتمثل بالدعاء، نحو قوله شعرًا في هذه المقامة[١]:

---

[١] ينظر: جمالية الخبر والإنشاء، ٣٠.

[٢] مجمع البحرين ، المقامة الكوفية،٥٩.

[٣] ينظر: جمالية الخبر والإنشاء ،٣٠.

[٤] المقامة الفكرية ،٢٣.

[٥] ينظر: تحليل الخطاب في ضوءنظرية أحداث اللغة، ١٤٤.

حَيَّاك رَبّكَ مِنْ خَبِيرٍ مآهِرِ في رَوْضِ فَضْلٍ بالمَنَاقِبِ زَاهِرِ
يا عَالِمًا فَطْنًا لَبِيْبًا حَاذِقًا يا كَاشِفًا عَمَّا تَضَمَّنَ خَاطِرِي
جُوْزِيْتَ خَيْرًا دَائماً عَنْي وَلا زِلْتَ المُغِيْثَ لكلِّ لَهْفَةٍ حَاضـــــرِ

أنبثق عن الفعل الإخباري:(حَيّاك الله) و(جُوزيتَ خيرًا) فعل إنجازي غير مباشر يفهم من السياق الخطابي الذي ندرك من خلاله أنّالمتكلم يدعو لمخاطَبه ذلك المُعَبِر للروىء بالسداد والتوفيق وجزاء الخير من الله تعالى بعد أن بيّنَ له تأويلَ رؤياه وكشف له رموزها؛ لذا فإنّ المعنى الحرفي الإخباري لهذا التعبير يُلابس سياقيًا فعلًا آخرتمثل بالدعاء الذي أنجزه المتكلم باصطفاءالفعل الإخباري المتصدر بالفعل الماضي؛ تفاؤلًا باستجابة الدعاء وكأنّه واقع حقيقة لا محالة حيث يكون خبرًا[٢].

ومن صور الدعاء المنبثقة عن الخبر ماجاء في الحدث الكلامي المنجز بين الملك الكريم والسائح المتحيربأسرار وغوامض المملكة الباطنية، وذلك في هذه المقامة:**((..قال :أيّها المسكين، والبائس الحَزين ، قد عَلِمتُ من أطوارك أنّك رَجلٌ أرْيَب، وفَهمتُ من عدم استقرارك أنّك في هذه المملكة غَريب، وأنّك متحيرٌ في أمرك ، متردٌ في فكرك ، تريد أن تعرف الأمر، ولا ترى مَنْ يُعَرفكَ السرَّ، فرثيتُ لغُربتك ، وأتيتُ لتفريج كُربتك ...فقلتُ :كأنّك والله كوشِفتَ بظاهر أمري وخافيه، وقد نَفستَ عني بعضُ ما كُنتُ فيه، فشكرَالله لك هذا الفضلُ العظيم))**[٣].

يوجه المتكلم خطابه للمخاطَب بالفعل الإخباري (شكر الله لك هذا الفضل)، ولمّا كان الإخبار فعلًا صادرًا عن اعتقاد المتكلم مطابقة خطابه لحالة الأشياء في الواقع[٤]، لم نجد هذا المعنى في الملفوظ السابق؛ لأنّ المتكلم لا يريد الإخبار عن الله تعالى بل يسأله داعيًا للمخاطَب امتنانًا وعرفانًا لفضله بعد أن مدّ له يدَ العون وكان له من قبيل الدليل في رحلته للمملكة الباطنية، وشرح ما خفي عليه منها من كل أمر غامض، وأبان له كلّ عجائبها، وقام المتكلم بتعديل خطابه بذكر المدعو وهو الله تعالى حتى يتحقق فعل الدعاء[٥]، فيكون كلامه متضمنًا لفعل انجازي غير مباشر الباعث عليه هو الاعتراف بالجميل وردّ الفضل للمخاطَب بالدعاء له ،وبذلك خرج الخبر إلى معنى الدعاء فأنجز فعلًا كلاميًا توجيهيًا غير ملزم.

ومن الخبر الذي يحمل على الدعاء ما يمكن مقاربته في قوله في هذه المقامة: **((حتى إذا كنتُ يومًا بجَجْر اليمامة ، رأيتُ كتيبةً قد أطبقتْ كالغَمامة ، فحَثحثتُ الجَواد ،حتى حصحص لي ذلك السّواد، وإذا فتىً لاغط، وشيخٌ ضاغط، والناس حولهما يتفرّجون، ولا يُفرِجون، فانتصبتُ مع الوُقوف، ونظرت من**

---

[١] كتاب علم الأدب ، المقامة الديرية ،٢٨٠.

[٢]ينظر:معاني النحو،٢٧٢/٣، و جمالية الخبر والإنشاء،٢٩.

[٣] المقامة الفكرية،٧.

[٤] ينظر: دائرة الأعمال اللغوية ،١٨٤.

[٥] ينظر: الإنشاء في العربية، ١٤٦،.

خِلال الصُّفوف، وإذا الشيخ يقول: ويلَ أُمك يا أخبثَ من الشّيْصَبان، وأروغَ من الثعلبُان ! إلامَ تتمادى في العُقُوق؟ وتتغاضى عن الحُقوق...))[١].

ومعنى(الويل) حلول الشر[٢]، وهي((كلمة دعاء بالهلاك والعذاب، وهي في الأصل مصدر لم يُستعمل لهفعل، يُقال:ويلٌ لزيد، وويلاً له بالرفع على الابتداء، والنصب بإضمار الفعل))[٣]، والمعنى ثابتٌ فيها في إفادة الدعاء وهذا ما أكده سيبويه عندما ذكرها مع ملفوظات أخرى قائلًا:((والمعنى فيهن إنّك ابتدأتَ شيئاً قد ثَبُت عندك ولستَ في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها))[٤]، ويُفهم من هذا أنّ هذا اللفظ الخبري أينما ورد فهو يدل على الدعاء بالشر تخصيصًا ؛ لذا يمكن عده كصيغة اصطلاحية لهذا المعنى أو صيغة من النوع المنمط -بحسب تعبير سيرل- وهي صيغ تدل على استعمال خاص ثابت عرفًا، مما يُمكن المستمع أن يختصر خطوات الاستنتاج للتوصل إلى المغزى المقصود؛ لأنّ سماعها يفضي إلى غير دلالتها الحرفية المأخوذة من صيغتها النحوية[٥]، وعليه لم يعد الملفوظ (ويلَ أُمكَ) فعل كلامي إخباري بل خرج إلى إنجازية غير مباشرة هي الدعاء على (الفتى) المخاطَب بالهلاك والعذاب؛ لأنّه يؤتى به لصاحب الشر، والإخبار يكون لإثبات ذلك له[٦]، وبالنظر للسياق النصي تلحظ الباحثة أنّ هذا الفعل الإخباري قد تولد منه قصدٌ مضمر غير الدعاء هو التوبيخ والذم، ويتجلى ذلك في المتوالية اللسانية اللاحقة وهي قول المتكلم:(يا أخبثَ من الشيصبان ، وأروغَ من الثعلبان)*، وبذلك ثبُت أنّ المتكلم يريد ذم الفتى بنعته بألفاظ مذمومة قاصدًا توبيخه، ناهيك عن أنّ السياق بمجمله سياق نزاعٍ وخلافٍ ومخاصمة بين الطرفين كان فيه الأول متبلبلًا من الثاني، فعمد إلى إظهار مساوئه وذمه أمام القوم، وعليه، وبمباحثة هذا الملفوظ يمكن القول :إنّ هذا الملفوظ الإنجازي الإخباري قد ولّد عدة معانٍ لا معنىً واحداً فلم يَعُد الإخبار المنبثق من المحتوى القضوي للملفوظ هو المعنى الوحيد بل عُلم منه معنى الدعاء وهو المعنى الكامن والثابت في محتواه القضوي الملازم للتلفظ به ، ومعنى التوبيخ والذم التي هي معانٍ استلزامية مدلول عليها بمعونة سياق النص.

---

[١] مجمع البحرين ، المقامة اليمامية، ٢٨٠-٢٨١.

[٢] ينظر: معجم العين ، ٣٨٦/٨(ويل).

[٣] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، ١٥٢٠/١.

[٤] كتاب سيبويه ،٣٣٠/١.

[٥]حسب سيرل فإنّ هناك صيغاً اصطلاحية منمطة تكتسب استعمالات عرفية أو تقليدية لإفادة معانٍ آخر غير معانيها الحرفية وتكون المعرفة اللغوية والنحوية غير كافية للتوصل إلى معناها المقصود بل أنّ معرفة هذه المعاني يكون عن طريق معرفة تقاليد استعمال هذه الصيغ ، ينظر: نظرية الفعل الكلامي ١٨٩-١٩٠.

[٦] ينظر: كتاب سيبويه ، ٣٣١/١، والمقتضب ، ٢٢١/٣.

* الشيصبان :الشيطان ، ينظر :لسان العرب ٤٩٥/١ (شصب) والثعلبان :الثعلب الذكر، ينظر: لسان العرب ٢٣٧/١(ثعلب).

وينجز من فعل الأخبار أيضًا فعل القسم، وذلك على لسان المتكلم في قوله:((**إنّ هذا الفتى عربيُّ الدار، لكنَّه روميُّ النِّجار، وقد بذلتُ فيه من الدينار والدَرْهم ما لايبذلهُ خالدُ بن الأَيّهم، وأفرغتُ جُهدِي في تهذيب لسانهِ وتعديلِ ميزانهِ ، فلم يَزَلْ يَكسِرُ شكيمة اللجَّام ، ويَنزِعُ إلى أَلفاظ الأَعجام ...وهذا ممّا تأباه السجيَّة الأدبيَّة ، وتَستَكُّ منه المسامع العربية وشَهِد الله أنّي أريدُ تهذيبه لا تعذيبه**))[١].

بعد أن أنكر القوم على المتكلم قيامه بتعنيف غلامه، في سياق لوم وتأنيب يلجأ الأخير لتبرير فعله ودفع اللوم عنه للقسم الذي يعطي الكلام قوة توكيدية[٢]؛ ليكون كأمارةً على صدقه[٣]، مستعملًا القسم الكامن في قوله:(شهد الله)[٤]عادلًا عن القسم بصيغته الصريحة لِما يحققه هذا العدول من انجازية وتأثيرية أقوى؛ لأنّ قوله:(شهد الله) استشهاد بالله على صدق مقالته[٥]، وهي شهادة وعلم يُقصد بهما صدق المتكلم[٦]، لذا فإنّ المتكلم قد أنجز فعلًا غير مباشر من خلال لفظ الخبر لتأكيد كلامه ودفع المخاطَب للوثوق به من خلال القسم الذي ما هو إلا فعل كلامي جزئي يندرج ضمن فعل كلامي كلي هو فعل التأكيد[٧] .

---

[١] مجمع البحرين، المقامة اليمامية، ٢٨٢.

[٢]ينظر:معاني النحو،١٣٥/٤.

[٣] ينظر: الإنشاء في العربية، ١٠٠.

[٤] ينظر: الكشاف، ١٧٠/٥،والتحرير والتنوير،محمد الطاهربن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، ٣٦١/٢٢، والإنشاء في العربية، ١٠٨.

[٥]ينظر: التحرير والتنوير، ٣٦١/٢٢.

[٦]ينظر: الإنشاء في العربية، ١٠٨.

[٧]ينظر:التداولية عند العلماء العرب، ٢١٠.

الفصل الثالث

قواعد التخاطب اللساني في المقامات العثمانية

المبحث الاول: الاستلزام الحواري

المبحث الثاني: متضمنات القول (المضمر)

الفصل الثالث

قواعد التخاطب اللساني في المقامات العثمانية

توطئة:

لمّا كان التخاطب انتهاض المتخاطبين بأقوالٍ وأفعالٍ لغرض إفهام كلٍّ منهما الآخر مقصودًا معينًا؛ بغيةَ حصول التواصل والتعامل بينهما، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بارتكازها على عددٍ من القواعد تحدد وجوه فائدتها التواصلية، واستقامتها التعاملية (الأخلاقية)[١]، وقد تجسدت هذه القواعد ضمن ما يسمى بـ(قواعد التخاطب)[٢]، أو قواعد التبليغ[٣]، أو الاستلزامات المحادثية[٤]، التي تشكل مجموعة من من القوانين والقواعد يجب على المتكلم مراعاتها من أجل تنظيم سير المحادثات وتوجيهها، فهي المعايير التي تحكم المحاورات التي تجري بين المتخاطبين، الهدف منها تمكين المتكلم من صياغة أقوالٍ قد تمنعه بعض الأحوال عن التصريح بها بصورة بينة، أو الرغبة في صياغتها على نمطٍ أكثر إبلاغًا وأحسن تأديةً وأقوى إقناعًا ، وتمكين المتلقي من إدراك ما لم يُصرح به المتكلم[٥]، ولا تقف طبيعة هذه القوانين أو القواعد عند حدود مقتضيات الضوابط اللغوية فحسب ،بل تتعداها لتشمل المعطيات غير اللغوية فهي تشكل ((مجموعة من القوانين المكملة للقواعد التركيبية تستمد وجودها من المجتمع ومما جُبل الإنسان عليه من قدرات ذهنية استنتاجية)) [٦]، وقد حاول الباحثون الكشف عن هذه القواعد التي تجعل المخاطَب يدرك ما صرح به المتكلم أو ما لم يُصرح به، وقد افتتح البحث في هذه القواعد الفيلسوف (بول غرايس) في مقاله المنطق والمحادثة، فصاغها ضمن ما يسمى"أحكام المحادثة"[٧]، حيث أراد أن يجعل من المحادثة والحوار آلية منظمة وممنهجة تسير على وفق قوانين وقواعد محددة تنظمها وتوجهها إلى ما تستلزمه من دلالة بحسب إجرائها أو خرقها أو انتهاكها[٨]، فافترض توجيهات

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٣٧، والتخاطب ، مبادئه وقواعده واستراتيجياته وآدابه،أ.د.هاتف الثويني ، ٩.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٩١.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،٢٣٧.

(٤) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية، ٢٢.

(٥) ينظر: الخطاب تمثيل للعالم، دراسة ، دراسة في بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية ، الخطاب المسرحي إنموذجاً،عمر بلخير "رسالة ماجستير"،٩٥.

(٦) الخطاب تمثيل للعالم، ٩٥

(٧) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٣٨، واستراتيجيات الخطاب، ٩٦.

(٨) ينظر: إطلالات على الدراسات اللسانية ،٢/ ٦١١.

أو قواعد صادرة عن اعتبارات عقلية تتدبر السلوك التخاطبي وتجعله فعّالًا ناجحًا[١]، ويمكن لهذه القواعد أن تنتهك عن وعيٍ من دون أن ينتقص ذلك من النشاط الذي تحكمه[٢]، فيوصل حينها المتكلم مقصودة إلى المخاطب من دون أن يصرح بالقول المباشر؛مما يؤدي بالمخاطَب إلى توظيف آليات أخرى لأجل الوقوف على المقصود من الكلام ؛ لذا فإنّ هذه القواعد ليست مجرد معايير ينبغي على المخاطبين إتباعها فحسب بل تمثل مبادىء تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك؛ لأنّها تسمح بالحساب التأويلي للدلالات الضمنية المتفرعة عن الدلالة الجانبية[٣]، وبما أنّ فهم المقصود أو الجانب الخفي من الكلام وإدراك طبيعته يستوجب معرفة ضمنية بقواعد الخطاب التي من شأنها أن ينتظم بها الكلام التي تقوم على النظر في المقام وملابسات الخطاب فضلًاعن الجوانب النفسية والاجتماعية والتربوية المحيطة بالعملية التخاطبية[٤]؛ لذا فقد قدح البحث بدراسة قواعد التخاطب اللساني في المقامات العثمانية من خلال مفهومين مهمين في التحليل التداولي للخطابات، الأول يتمثل بـخرق هذه القواعد وما ينتج عنه من معنى مستلزم متمثل بنظرية (الاستلزام الحواري)، والآخر: يتمثل برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة، من خلال دراسة(متضمنات القول في ضوء لوازمها ولواصقها وهي : الافتراض السابق أولًا ، والأقوال المضمرة ثانيًا).

---

(١) ينظر:محاضرات في فلسفة اللغة،د.عادل فاخوري، ١٥.

(٢) ينظر:مدخل إلى دراسة التداولية ،٨٢ .

(٣) ينظر:قوانين الخطاب في التواصل الخطابي ،حمو الحاج ذهبية ، بحث على الشبكة العنكبوتية،٢٢٨.

(٤) ينظر:قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء(ت٢٠٧هـ)دراسة تداولية "بحث"،أ.م.د:رحيم كريم الشريفي، الشريفي، زينب عادل محمود الشمري،١ ، وكتب المجالس الأدبية ، دراسة تداولية "أطروحة دكتواه"،ماجد ناصر حسين ،١٢٦.

المبحث الأول

الاستلزام الحواري

تُعد نظرية الاستلزام الحواري واحدة من منطلقات البحث التداولي وأحد أهم محاوره ، وتظهر فكرة هذا المفهوم في استعمال المتكلم آلية لغوية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي بل عن طريق القرائن وأوجه الاستدلال العقلي[١]، وتبلورت هذه النظرية على يدّ الفيلسوف الانكليزي (غرايس) الذي استنبتها من رَحم الأفعال الكلامية التي اعتنى بها كلّ من (أوستن) وتلميذه (سيرل) بشقيها المباشر وغير المباشر، لكن (غرايس) ركز على الجانب الثاني المتمثل في الأفعال اللغوية غير المباشرة، محاولًا تفسير الأثر النهائي الذي تكتسبه الملفوظات بصرف النظر عن مدلولها القضوي، فكان مقاله سنة ١٩٧٥م البداية الحقيقية لتناول هذه الظاهرة[٢]، التي مثلت الأصول الجنينية لنظرية الاستلزام الحواري بعد أن لاحظ أنّ جمل اللغات الطبيعية يمكن –في بعض المقامات- أن تدل على معنى غير الذي يوحي به معناها الحرفي [٣]، فلو أنّ صديقًا سألني :هل ستذهب للحفلة يوم الجمعة؟ وأجبته :عليّ أن أعمل، سيفهم أنني لن أستطيع الذهاب بالرغم من أنّي لم أقل ذلك صراحةً، وهذا الذي فهمه سامعي أوصلته له من دون أن أصرح به في تعبيري الحرفي المنطوق (الما قيل)[٤]، وهذا الجانب من دلالة الأقوال يسميه غرايس (استلزامًا حواريًا)، وهو أن يجعل المتكلم سامعه يدرك من الدلالة ما يفوق منطوقه الحرفي[٥]؛ ولأجل سدّ الثغرات بين ما يقال وما يُقصد افترض (غرايس) عمل مبدأ تعاوني يضمن توفره أقصى تحقق للأهداف التي يتوخاها المتحاورون، يشكل نقطة بداية لفهم ما يقال، تسير بهديه أربعة مبادىء أو توجيهات ثانوية تستند في أساسها إلى التصرف العقلي والتعاوني الذي يتميز به البشر عادةً[٦]، تقوم

---

(١) ينظر:الأفق التداولي ، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ،إدريس مقبول ، ١٣.

(٢) ينظر:الاستلزام الحواري في التداول اللساني،العياشي ادرواي، ٩٥.

(٣) ينظر:اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ،أحمد المتوكل ، ٢٦.

(٤) ينظر:التداولية، جورج يول، ٦٥.

(٥) ينظر:القاموس الموسوعي للتداولية، ٢١.

(٦)هذه القواعد لا تحكم وتنظم التواصل اللغوي فحسب، بل تغطي السلوك غير اللغوي كذلك، ويعطينا غرايس أمثلة على ذلك ، فإذا كنت تساعدني على تصليح سيارتي مثلًا فلن أتوقع أن يكون إسهامك أكثر أو أقل من المطلوب ، فإن احتجت أربع لوالب فلا أتوقع أن تناولني أثنين أوستة (قاعدة الكم) ، وإذا طلبت منك لولبًا حجم (٨) فعمدت إليه ووضعته في علبة تحتوي لولب حجم(١٠) وناولتني إياه فإنّك خالفت (قاعدة الوضوح أو الأسلوب)، وإن كنت تساعدني في عمل كعكة واحتجت إلى السكر فلن أتوقع منك تضليلي بإعطائي الملح (قاعدة الكيف) ، وإن كنت أقوم

بتدبر السلوك التخاطبي، وهي تسبق أيّ محاورةٍ لتنظيمها، وتمثل هذه القواعد افتراضات المتحاورين غير المفصح عنها في المحادثات[١]، إذ يُفترض عادةً أن يوفر المتحاورون كمية مناسبة من المعلومات ، وأن يقولوا الحقيقة ، وأن يكونوا ذوي صلة بموضوع الكلام ، وأن يكونوا واضحين قدر الإمكان[٢]، بيد أنّ هذه القواعد تنماز بدينامية تمكن المتكلم من تجاوزها حين تنعدم القدرة على الالتزام بها، فلا يتقيد بإطاعتها بل يستغلها بشكلٍ مقصود وعلني؛من أجل توليد تلويحٍ متعمّد للسامع[٣]؛ مما يوجب على الآخر صرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى ضمني (خفي) يكمن وراء اللفظ ، وعندها سيختلف المعنى الدلالي عن المعنى المستلزم[٤]، وهنا يكمن الاستلزام الذي يمكن وعلى هدىً من ذلك تعريفه بالقول هو((المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة، أو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلًا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري للكلام إلى معنى أخر))[٥]، فهو إذن دراسة يُتغيا منها التوصل إلى ما ورائية الخطاب أو ما ورائية الاستعمال بالاحتكام إلى مقاصد الخطاب التحاورية ، وبالرغم من انتهاك المتكلمين لهذه القواعد تبقى المحافظة على حيثية التعاون قائمة بين الطرفين، وهذا ما أكده (غرايس) من خلال القول بأنّ ((الاستلزام الحواري ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون))[٦]، الذي يُعد تطبيقه ضروريًا لأجل فعالية تواصلية مثمرة بين الطرفين ، فهو يرتكز((على نوع من الذاتية المتبادلة المتمحورة حول خلق استدلالات من جانب المستقبل ، بحيث يتمكن هذا الأخير من التعرف بالشكل المطلوب على أنّ القول ينطوي على قصد المرسِل بأن يجعل التعرف عليه ممكنًا كقولٍ مقصود وبأن يسمح بتأويلٍ محدد))[٧]، وهذا يعني أنّ التعاون يتضمن في الوقت نفسه قصد المتكلم الذي يسعى إلى جعله مفهومًا، وتعرف السامع على هذا القصد، من خلال سعيه إلى فهم ما يريد المتكلم قوله[٨]، وبذلك يشكل (مبدأ التعاون) عاملًا ثالثًا في تأويل الملفوظات يُضاف إلى عاملي معنى الملفوظ، وسياقه المقامي الذي أنتج فيه[٩]، وعليه يمكن القول:إنّ مبدأ التعاون الذي أرساه غرايس ما هو إلّا مبدأ

بخلط مكونات الكعكة فلن أتوقع أن تناولني كتاباً عن الفلسفة (قاعدة المناسبة)، ينظر:نظرية التلويح الحواري،د.هشام عبد الله الخليفة ،٣٢.

(١) ينظر: التداولية اليوم ، ٣٤، ومحاضرات في فلسفة اللغة، ١٥.

(٢) ينظر: التداولية اليوم، ٦٨.

(٣) ينظر: التلويح الحواري، ٣٣.

(٤) ينظر: آفاق جديدة ٣٣، والتداولية اليوم ٥٦ ، والتلويح الحواري، ٢٦.

(٥) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٨، هامش ٢.

(٦) نفسه، ١٠٢.

(٧) مدخل إلى دراسة التداولية، ٧٠.

(٨)ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(٩) ينظر:الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٨.

تفسيري لسؤال: لماذا تدل الأقوال عادةً على أكثر مما تقوله حقيقةً ؟[١]، وعلى هذا الأساس أيضًا يمكن عدّ (غرايس) من خلال طرحه هذه النظرية مرجعًا آنيًا وضروريًا لوصف اللغة في أثناء استعمالها ، وصفٌ عليه أن يشمل بالضرورة متكلمين ومقاصد[٢].

إنّ المتكلم –بحسب نظرية غرايس- يكون أمام أمرين[٣]:إتباع القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون فنحصل بذلك على فائدة قريبة (معنى سطحي)، أو الخروج عن هذه القواعد بخرقها خطابيًا ومن ثَمّ الحصول على فائدة بعيدة(معنى عميق)، وقد وجد البحث مصداقًا للأول في مقامة الورغي (المقامة الخمرية) التي يمدح فيها السلطان قائلًا: **((وَقَفْتُ على السُلطَانِ السَعِيد، فإذا هو فَوْقَ ما نُرِيْدُ، ورأتْ مِنْهُ العَيْنَانِ فَوْقَ ما سمعت منه الأُذْنَان، فألقَيْتُ له ما في جِرابِي، حتى اسْتفرَغتُ ما في وِطَابِي، فلما وَعَى قِصَّتِي، وأساغ من حِينِه غُصَّتِي، قال: ما اسْمُكَ أيُّها الوَدُوْد، فَقُلتُ له: سَعْدَ السُعُود، فقالَ: باسْمِك الفَال ، وعلى الله الاتِكَال))**[٤]، إذ التزم المتكلم بالمبادئ الأساسية في الحوار السابق ، فقد أجاب بصدق (الكيف) ووضوح (الأسلوب)، وأعطى القدر المناسب من المعلومة (الكمّ)، وجوابه له صلة بالسؤال (المناسبة)؛ وعليه إنّ الحوارية السابقة اتصفت بالتوافق بين ما قيل وما قُصد كمًا وكيفًا وملاءمةً وطريقةً، وبفضل هذه التوافقات لم يتولد من الحوار أي معنى آخر غير المعنى الظاهر، فلا فرق بين ما قاله المتكلم وما قصده، وبذلك فليس هناك أي مستوى لمعنى إضافي مستلزم[٥].

أمّا الأمر الآخر أي الإخلال بهذه القواعد والخروج عنها فقد جاء في المدونة –محل الدراسة- على النحو الآتي:

١- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكمّ: (Maxim of Quantity)

تُعد هذه القاعدة ((حدًا دلاليًا يُقصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة)) [٦]، فهي تتعلق بتهيئة كمية معقولة من المعلومات وتقديمها من غير زيادة أو نقصان بغض النظر عن عدد الكلمات المعدة لتحقيق الغرض الإبلاغي في ضوء مبدأ التعاون[٧]، ، ويلتزم المتكلم بها بها حين[٨]:

١- يجعل مساهمته إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر.

([١]) ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية، ٨٠.

([٢]) ينظر:مدخل إلى دراسة التداولية، ١١٢.

([٣]) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٣٩، والاستلزام الحواري في التداول اللساني ،١٠٠.

([٤]) مقامات الورغي ورسائله، المقامة الخمرية، ٤٠.

([٥]) ينظر: المعنى في لغة الحوار، مدخل الى البراجماتية (التداولية)، د. جيني توماس، ٨٣.

([٦]) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ٩٩.

([٧]) ينظر:إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية ، ٦١٩/٢.

([٨]) ينظر: التداولية ، جورج يول٦٨، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ٩٩.

٢- لا يجعل مساهمته إخبارية بقدر يتجاوز القدر المطلوب.

أمّا الإخلال بهذه القاعدة فيكون بوفرة المعلومات المقدمة للمخاطب حيث تكون أكثر مما يتطلب أو بقلتها فتكون أقل مما يتطلبه المقام ، والمتكلم هو من يقوم بهذا الخرق؛ لأنّه محدد بظروف مقامية مسؤولة عن سلوكه نمطًا يخالف هذه القاعدة ويبقي للمخاطب أو السامع سبر أغوار النص وتأويله بما يناسب المقام[١]، الذي يُعد موجهًا لمعرفة قصدية الخطاب الذي يظهر في كل موقف بشكل يختلف عن الآخر.

ومما يقارب النوع الأول من خرق هذه القاعدة المتمثل بتقديم معلومات أكثر مما هو مطلوب ما جاء في هذه المقامة قوله:**((فلمّا رأيتُ هذه الأحوالُ الغريبة ، في هذه المملكةِ العجيبة،راعَني ما رأيْتُ من أمرها، ولمْ اهتدِ إلى خفي سِرِها .....فبقيتُ متفكرًا مضطربًا متحيرًا باهتًا متَغَيرًا متشوقًا لمعرفة الحقيقة ، ولا أجد من يَدُلَني على الطريقة،وإذا شخصٍ عظيمٍ كأنّه ملكٌ كريمٌ ....فعَلَمَ ما صِرتُ إليه من الغُرْبة ورثى لِما أنا عليه من الكُرْبة،فنظرَ إليّ وأقبل عليّ وقال :أيّها المِسْكين والبَائسُ الحزين قَدْ علمتُ من أطوارك أنّك رجلٌ أريب .... فرثيتُ لغربتك وأتيتُ لتفريج كربتك و سأعرفك هذه الأحوال خبرًا خبرًا وأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا، فقلت: كأنك والله كوشفت بظاهر أمري وخافيه ... فشكرَ الله لكَ هذا الفَضلُ العظيم، وإن شِئْتَ إتمام الإكرام فعَرِّفْني باسمك الكريم، فقال: اسمي الفِرَاسة وقد منحَني الله قوة الكِيَاسة، وأطْلعَنِي على خفايا السرائر،فلا تَخْفى عليَّ خَبَايا الضَمَائر))**[٢].

في هذا النص يدور التواصل بين ذلك السائح المتحير في المملكة الإنسانية الباطنية المتشوق لمعرفة غوامضها وأسرارها ، وبين الدليل المتفرس فيها الذي يبدي رغبته في تعريفه بكل ما غُمض عليه ، فيدخل في حوارية معه ،كان الدافع لها رثاؤه لما بدى عليه من الغربة والتحير والاضطراب، مفتتحًا تلك الحوارية بفعل النداء:(أيّها المسكين والبائس الحزين)؛ ليعطف به المخاطَب عليه كي يُقبل مصغيًا إلى ما سيقوله بعد هذا النداء من أعمالٍ لاحقة تراوحت بين الإخبار، والتعبير، والوعد ، والمخاطَب الذي صار متكلمًا يسأل الدليل عن اسمه فيأتي الجواب على لسان المجيب حاملًا خرقًا واضحًا لمسلمة الكمّ في قوله: (اسمي الفراسة،وقد منحني الله قوة الكياسة وأطلعني على خفايا السرائر، فلا تخفى عليّ خبايا الضمائر)، إذ لجأ إلى التفصيل بتقديمه أخبارًا وفيرة تفوق السؤال، فقد كان بإمكانه الاكتفاء بالجواب على قدر السؤال المطروح بالقول:(اسمي الفِرَاسة)، لكنّه لمّا أراد طمأنة المخاطَب الذي كان غريبًا مضطربًا حائرًا في تلك المملكة، يبحث عمّن يثق به ويعتمد عليه في تعريفه بحقائقها وأسرارها، ولأجل دفعه إلى الوثوق بأنّه الشخص المناسب لدعمه ومؤازرتِه والاعتماد عليه في مَهمته التي هي سبر أغوار تلك المملكة العجيبة، جنح إلى بسط القول بالإدلاء بأخبارٍ ومعلومات أكثر عن نفسه تتمثل بذكائه

---

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية ،محمد قاسم محمد البهادلي،٤٨.

(٢) المقامة الفكرية ،٧.

ومهارته في إزالة الحجب وفتح باب الفهم في سبر خفي تلك الأسرار التي أضطرب في أمرها وجعلها واضحة جلية، ومن ثمّ تبديد حيرته وكشف غمته واضطرابه، وعليه يمكن الاستدلال أنّ هذا خرق المتكلم لمبدأ الكمّ لم يكن حشوًا وإنّما جاء لبث قصد هو دفع المخاطَب للوثوق به والسير معه للتعرف على شؤون هذه المملكة العجيبة وأحوالها، وهو ما استطاع انجازه وتحقيقه، بدليل إتباع المخاطَب ومرافقته له[١].

ومما جاء أيضًا انتهاكًا لهذه القاعدة متمثلًا بالإفراط في ذكر الأخبار، ما جاء في هذه المقامة: **((قالوا: جَمَع الله شَمْلك، فأين خلّفتَ اهْلَك؟ قال: قد خلّفتُ الجَرَبَّة في الشَّرَبَّة، لا يملكون حبّة، وهم ينتظرون إيابي على الأَثر، كما تنتظر الأرض وسميّ المطرْ))**[٢].

يبدو من خلال هذا الحوار الذي دار بين مجموعة من القوم وذلك الشيخ النازل في بلدتهم أنّ المتكلم تجاوز القدر المطلوب من الإفادة، فلم يجب على قدر المأمول من السؤال بل أسهب بإعطاء معلومات خارجية لم يُسأل عنها،إذ كان بإمكانه أن يجيب مكتفيًا بالقول: (خلفتهم في مكان (كذا))، لكنه تعرض إلى ذكر أخبارهم وصفات حالهم قائلًا: (لا يملكون حبة، وهم ينتظرون ...)وهذه الإضافة تحمل قصدًا مضمرًا للمتكلم يُستحصد من وراء هذا الخرق المتعمد هو:استدرار عطفهم عليه؛ لأجل مدّ العطاء له بالأموال، وقد استطاع ذلك فعلًا بدليل أنّهم ((جمعوا له قَبْضةً من العين، وقبضةً من اللجُّين))[٣]، وبهذا يمكن القول :إنّ للاستلزام الحواري قوة حجاجية تجعله من الوسائل الدافعة للإقناع .

أمّا ما يقارب المستوى الثاني من الإخلال بهذه القاعدة والمتمثل بإعطاء معلومات أقل مما يتطلبه التفاعل الكلامي، ما جاء في هذه المقامة التي يجري التحاور فيها بين المتخاطبين حول مسألة الطلاق والزواج، فيتوجه المتكلم للمخاطَب سائلًا إياه عن رأيه فيها قائلًا: **((وأنتَ فما ترى ؟ قلتُ : والله إنّها لأحْدَى الكُبَر، ومُعْضِلةٌ تَفِيْضُ لها العِبَر ، قَدْ طالما ارْتَبَكَ فيها العَالِم النِحْرِير ، وضَلّ عَنْ عِلْمِهَا اللَبِيبُ الخَبِيْرُ، لا جَرَمَ أنّ مَعْرِفَةَ الأفْلاكِ وكَوَاكِبَهَا ، وإيشَاء مَعَادِنَ الأرْضِ وعَجَائِبِهَا ،وأسْرَارِهَا وغَرَائبِهَا لأهْوَنُ عَليَّ من أنْ أقُولَ في هذه المَسْألة نَعَمْ أولا))**[٤].

---

(١) ينظر:المقامة الفكرية ،٩.

(٢)مجمع البحرين، المقامة البصرية، ١٢٥ – ١٢٦، والجربة: العيال الكثيرة يأكلون أكلاً شديداً ولا ينفعون، والشربة: موضع اسم مكان ، الوسمي: أول المطر أو هو مطر الثريا ينتظرون خصبه وكلاءه،ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس،مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية ،(د.ت) ١٥١/٢ (جرب)، و ٤٨/٣٤(وسم)، و ٤٧٣/١، ولسان العرب ٦٣٦/١٢ (وسم)، وهامش مجمع البحرين،١٢٥.

(٣) مجمع البحرين، المقامة البصرية ١٢٦، والعين: الذهب ،ينظر:لسان العرب، ٣٠٥/١٣(عين) واللجين: الفضة ،ينظر: لسان العرب ،٣٧٩/١٣(لجن).

(٤)كتاب الساق على الساق ، ٢٣٥-٢٣٦.

بالرغم من أنّ المتخاطبين متعاونان في تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام والغاية هنا تتحدد بموضوع الزواج وما يُنسب إليه من طلاق وما يتعلق به من شؤون الأسرة والعشرة والحبّ وغيرها ، لكن الانتهاك الذي قام به المتكلم في هذه الحوارية يأتي في معرض إجابته عن السؤال المطروح؛ لأنّه لم يقدم المعلومات اللازمة، إذ قام بتقديم إجابة إبلاغية أضعف مما يتطلبه الأمر وأقل مما يقتضي معها إفادة المخاطَب إفادة إخبارية بقدر ما يتطلب السؤال، إلا أنّها تُفسر طبيعيًا على أنّها توصل أكثر مما قيل ، فلمّا كان الحوار هنا حول أمرٍ كبير عجز اللسان عن وصفه ، جاءت الإفادة ناقصة ، لكنّها لم توقع المخاطَب في لبسٍ؛ لأنّ تضرر مبدأ الكَمّ شفَّ عن استعظام المتكلم للأمر، فعُلم أنّ طول الحديث فيه لن يوفيه حقه بناءً على المعرفة المشتركة بينهما، وقد تكون الدلالة الاستلزامية غير هذا بل كان القصد من هذا الخرق هو اجتناب المتكلم الخوض في الموضوعات الكبيرة المشتبكة الملتبسة .

ويمكن التماس خرق قاعدة الكم أيضًا بتهيئة معلومات أو أخبار إلى المرسَل إليه أقل مما يقتضيه الحوارفي هذا النص الحواري الذي جرى بين الشيخ وذلك القاضي، لذي أنكرعليه ظلمه لابنته التي جاءته متظلمة شاكية قائلًا له:**((يا هذا إنّكَ قد أَثِمْتَ بحَبسِكَ هذه الحُرَّة ، أَمَا سَمِعتَ أنّ امرأةً دَخَلَتْ النَارَ في هِرَّة ؟))**[1] .

استلزم المتكلم بإيجاز بعض الجمل والعبارات فاكتفى بالقول: إنّ امرأةً دخلت النار في هِرَّة ، فلم يلتفت إلى تفصيل تتمة الحديث الشريف،أيّ :حبستها فلا أطعمتها ولا تركتها تأكلُ من خَشَاش الأرض[2]؛ تعويلًا على معطيات ذهن المخاطَب في ملء فجوات النص وإكماله وإدراك معناه؛ ولَمّا كان المتحاوران من البيئة الثقافية نفسها؛ لذا فإنّ المخاطَب سيتكىء على المركوز الذهني في تجاوز ظاهر الكلام وتقدير تفصيلات الحديث، ويرجع إيجاز المتكلم للحديث الشريف؛ إلى أنّ غرضه وما أراد إيصاله استبان بما ذُكر، وهو تبليغ المخاطَب أنّ النارَ تجب لمن حبس هِرة أو حيوان وظلمه ، فكيف الحال بمن يحبس أو يظلم إنسانًا؟!، وهذه النتيجة أو القول المضمر التي يتوصل إليها المخاطَب بنفسه تكون ذات أثرٍ على قناعاته أكثر من النتيجة أو القول المصرح به ، ومن ثَمَّ تكون مُلزمة الحجة عليه[3].

٢- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكيف: (Maxim of Quantity)

يتعلق هذا المبدأ بتحري الصدق في الكلام والنزاهة والشفافية، فهو ينص على أنْ لا تقول ما تعتقد عدم صحته أو ما ليس عندك دليل عليه[4]، والقصد من هذه القاعدة ((منع ادعاء الكذب واثبات الباطل))[1]،

([1]) مجمع البحرين، المقامة الصورية ١٠١.

([2]) ينظر:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، ١٧٦٠/٤.

([3]) ينظر: في نظرية الحجاج ، دراسات وتطبيقات،عبد الله صولة ، ١٦٣.

([4]) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٩٩، والتداوليات علم استعمال اللغة، ١٠٨.

وتخرق هذه القاعدة ((حين يقول المتكلم شيئًا غير حقيقي إلى حد بعيد أو شيئًا يعوزه الدليل))[٢]، أيّ وضع اللفظ في غير ما وضع له حقيقةً[٣]، ومنه قول الخفاجي في هذه المقامة واصفًا نهر النيل:**((ثمَّ قال لي: أيُّ البلادِ تُهدى سلامَها ، وأيُّ زَهْرَةٍ تَحِيَّةٍ فَتَحَتْ النَسَمَاتُ أكْمَامَهَا ؟، قُلْتُ :الكِنَانَة المُعِزيَّة ، والخِطَّة التي هي في حضانة نِيلِها محميَّة ، رِيَاضُهُا تَحْيَا بِأَنْهَارِه ، وأصَابِعُهُ تُشِيرُ لِكُنُوزِ خِصْبٍ تُسْتَخرجُ مِن مَعَادنِ أَقْطَارِه، ألا أنّ أصَابِعَ النَاسِ فِي الرَاحَةِ والأَيَاديّ، وفي أصَابِعِهِ أَيَادٍ لِكُلِّ حَاضِرٍ وبَادِي))**[٤].

فقوله: (ألاّ أنّ أصابع الناس في الراحة والأيادي ، وفي أصابعه أيادٍ لكلِّ بادٍ) ليس على وجه الحقيقة ؛ إذ ليس من الصدق أو من الحقيقة أن يكون للنهر أصابعٌ ، وليس من الصدق أيضًا أن تكون للأصابع أيدٍ، بل أنّ الأصابع هي التي تكون في الأيدي، لكنّه أراد الوصف على جهة المبالغة -ولاسيَّما أنّه في سياق مدحٍ لنهر النيل- عبر توظيف أساليب مجازية تُعد من الآليات التي تخرق قاعدة الكيف[٥]، استعاض بها كبديل رمزي عن (الخصب، والعطاء،والخير)، فاليد رمزٌ للكرم والسخاء والعطاء؛ لأنّها الأداة التي تُعطى بها النعم[٦]، وكثرة الأيادي تعني كثرة النِعّم والخصب والخضرة التي يمنحها نهر النيل، وبناءً على ذلك فإنّ قصد المتكلم من هذا الخرق التلويح إلى الخصب والعطاء والخير الوفير الذي يمده نهر النيل على رياض مصر، لكن بأسلوبٍ فيه من المبالغة ما ليس في تعبيرٍ آخر عبر توظيف المجاز، الذي يكون أوقع تأثيرًا في المخاطَب؛ كونه يحفز المتلقي على بذل طاقة إضافية متمثلة في استثمار كفاءته التأويلية لفهم قصد المرسِل الذي لا يريد التصريح به [٧]، بل يضمنه في الانزياحات المجازية؛ ليبلغ مراده ومقصده .

ومن المجازات التي تُعد خرقًا لقاعدة الكيف قوله في هذه المقامة : **((ثم أحْتَجَّ في المَحَافِلِ لِمَنْ قدَّمَهُ منَ الأراذل ، بأنّ قَصَبَ السُّكر أَحلاه كعوبُ الأسافل ، وما على المُحسنين من سَبيل ، قلتُ :لابسُ ثَوبيْ زُورٍ مَكْشوف السَبيل، وما مَثلي ومَثلك إلاّ كمَثلِ فاتكٍ أميرِ الحَرْم ، والنعمان هاتك الحُرمِ، لِجْمعِه بين الرِجَال والنِسَاء ، في عُكاظ الفجورِ صباحاً مَسَاء، فلمّا سمع ما وَشَوا به أحضره ونَفَاه بعدما هَدّده**

([١]) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ٩٩.

([٢]) المعنى في لغة الحوار، ٨٦.

([٣]) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٤٤٠.

([٤]) ريحانة الألبا، المقامة الساسانية ،١٦٣/٢.

([٥]) استراتيجيات الخطاب ، ٤٤١.

([٦]) ينظر: التلوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم، د. فلاح حسن كاطع، ١٠٠.

([٧]) ينظر:استراتيجيات الخطاب عند الأمام علي (ع) مقاربة تداولية، د. باسم خيري ،١٧٩.

وزَجره، فذهب لوادي الأَراك ، وأقام ملياً هناك ، ثم أتى لزيارة البيت والمَقام ، فلَقَى من كان يرضع معه ثَدي المُدام، فتذاكر مع ذلك النديم، عهد أُنسه القديم))[1].

تأتي هذه المقامة في سياق وصفٍ لأحد التجار الذي اعتاد الفسوق والرذيلة ، فيعاقب في كلّ مرة على فسقه ، لكنه ما يلبث أن يعود ثانية لطريق الفجور، وحمل هذا الوصف إيحاءً تصويريًا لفسوق هذا التاجر وتعلقه بفعل المنكرات والفواحش، فحين يصفه المتكلم بالقول: (يرضع معه ثدي المُدام)لا يقصد المؤشرات السطحية للقول فعلًا؛ لأنّ القرينة في هذا القول تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي[2]، بل استعمل هذه المؤشرات استعمالًا مجازيًا عبر خرق قاعدة الكيف بما يوحي بمخالفة الحقيقة، لأجل المبالغة في إظهار شدة تعلق (المتحَدث عنه) بالشراب ومعاقرته له، فهو لا يكاد ينفك عنه، متعلقٌ به كتعلق الطفل الرضيع بأمه، معتمدًا على قدرة المخاطَب في الاستنتاج لفهم المعنى الذي يبتغيه، مع افتراضه أنّ المخاطَب قادرٌ على أن يقِيم قصده عن طريق الاستدلال فيستنتج من كلامه هذا المعنى الملّوح به[3]، وبذلك يكون المتكلم انتهك قاعدة الكيف مع حفاظه على مبدأ التعاون الحواري الذي يجمعه يجمعه مع المخاطَب.

ومن إنجازية الاستلزام الحواري عَبر خرق قاعدة الكيف قولهفي هذه المقامة:**((فقلتُ يا أبا ليلى أين رُمحك العسّال ، الذي قهرتَ به الأبطال ؟ فأشار إلى قلمه وقال :**

وَيْك هذا رُمْحِي ، وهذا سِنَانِي مُنْذ يَوْمِي أَعْدَدْتُهُ للطِعَانِ
لَيْسَ يُروى مِن المِدَادِ وَقَدْ يَنْفِثُ سَمّ الهِجَاءِ كالأُ فْعُوانِ
وَهُوَ قَدْ خَاضَ في المَحَابِرِ حتى خَضَبَتْ رَأسُهُ خِضابَ البَنانِ))[4]

يخبر المتكلم عن رمحه مشيرًا في الحقيقة إلى قلمه، والمفترض في الحوار–وفقًا لـ(غرايس)–أن يكون قائمًا على حيثية التعاون، فلا يُقبل أو يتوقع من المتكلم تضليل أو خداع المقابل، لكن كيف يكون القلم هو الرمح والسنان ؟!. ومن أجل الحفاظ على افتراض التعاون سيتوجب على المتلقي حرف بوصلة الخطاب إلى دلالة استلزامية صدرت عن خرق المتكلم لمبدأ الكيف، لأنّه لا يعني أنّ القلم هو ذلك الرمح العسّال، بل يريد أن يسند إليه صفة شبيهة بتلك التي للرمح بأن يجعله عِدْلًا للسلاح في القوة والغلبة يرهب به أعداءه بهجائهم ويستدر به عطايا ممدوحيه بمدحهم .

([1])ريحانة الألبا ،٣٩٧/٢..

([2])المُدام الذي هو الشرابليس من صفاتها الإرضاع ، بل هو من صفات الأحياء من الإناث ذات الرضيع ،ينظر:لسان العرب ٧١٩/١(كعب)، و١٢٦/٨(رضع).

([3]) ينظر: التداولية عند العلماء العرب٣٠–٣١، والمحاورة مقاربة تداولية ،د.حسن بدوح ، ١٥٩.

([4])مجمع البحرين ، المقامة الأدبية، ٢٠٣.

٣- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الطريقة "الأسلوب":

تنص هذه القاعدة على توخي المتكلم الوضوح، والإيجاز*والترتيب في الكلام، والابتعاد عن الغموض والأطناب أو الإجمال[١]، وتخرق هذه القاعدة بطرق منها خرق المتكلم الوضوح فيأتي بخطابٍ ملبس يحتمل أكثر من قراءة[٢]، ويقصد بالالتباس هنا الالتباس القصدي الذي يريد المتكلم إبلاغه للمخاطَب على أنّه كذلك[٣] ويحصل ذلك حين يحمل النص معنيين أو أكثر من دون وجود قرينة مانعة لذلك[٤]،وهذه المعاني إمّا أن تكون من المشترك في اللفظ أو يكون بعضها حقيقيًا وبعضها الآخر مجازي أو تكون مجازية كلها[٥]، ومنه قول ذلك الرجل البليغ ناصحًا غلامه على مسمعٍ من القوم الحاضرين في محفل يوم المهرجان قائلًا له في هذه المقامة:**((احْرِصْ على الأَعْرَاضِ دُوْنَ الجَوَاهِرِ، واعْدِلْ عَنْ المُسْلمَاتِ إلى الكَوَافِرِ))[٦].**

يبدو في هذا النص من المقامة بحث في مفردات اللغة أتسم بشيءٍ من الظُرف،فالمتكلم ينتخب في خطبته ألفاظًا ملبسة تحتمل أكثر من قراءة فـ (الأَعراض، الجَواهر، المُسلمات، الكَوافر) ألفاظ تصلح لأن تأتي على معنيين أو أكثر، ويمكن توضيحها على النحو الآتي[٧]:

الأعراض ← الأمور الظاهرة البارزة.

↓ جمع عرض، وهو أمور الإنسان التي يرتفع أو يسقط بذكرها بحمد أوذم.

الجواهر ← كنه الشيء وحقيقته .

↓ الحجارة الكريمة.

*يختلف الإيجاز في القول كقاعدة فرعية في مبدأ الطريقة عنه في مبدأ الكم، ففي مبدأ الكم يتعلق الإيجاز بمقدار الأخبار المقدمة، أي يقصد به الإخلال من المعلومات الزائدة التي لا صلة لها بموضوع الحوار، اما الإيجاز في قاعدة الطريقة أو الأسلوب فهو يتصل بطريقة إدراج القول لا بمقداره فيكون المتكلم أمام عبارتين مترادفتين في المعنى، فيختار العبارة الموجزة منها، ينظر، مدخل إلى دراسة التداولية، ٨٦ – ٩٠.

(١) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٠٠، وآفاق جديدة، ٣٤.

(٢) ينظر: اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطوير، د. احمد المتوكل ، ٨١

(٣) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، ٢٩.

(٤) ينظر: نفسه والصفحة نفسها .، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١١٥.

(٥) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١١٥.

(٦) مجمع البحرين، المقامة السروجية، ١٣٩.

(٧) ينظر: لسان العرب ١٤٤/٥(كفر)، ٦٦/٧(كنه)، ٢٩٣/١٢ (سلم) ، ١٧١/٧(عرض).

المُسلمات ←المبتذلات للرجال.
↙اللواتي على دين الإسلام.
الكوافر ←المتسترات .
↙اللواتي يكفرن بالله ولا يعتقدن بوجوده .

يبدو للوهلة الأولى أنّ المعنى يتقوقع في الإيصاء بأمورٍ يصعب استساغتها أو تقبلها من أيّ عاقلٍ ؛ كون المتكلم يَحثُّ السامع على (الحرص على الأمور الظاهرة السطحية وترك الأمور الخفية الحقيقية، والعدول عن زواج المسلمة المؤمنة بالله إلى الكافرة التي تجحد وجود الله)، وبالرغم من أنّ هذه العبارات ملبسة ، وأنّ هذا الخطاب لا يتحصل منه أيّ قرينة تحدد قصد المتكلم إلا أنّ الغلام قد فهمها؛ بفعل المعرفة المشتركة بينهما بوصفه تلميذًا له، ويعلم غايته ومقصده من هكذا خطاب، غير أنّها التبست على القوم بوصفهم طرفًا من أطراف الحوار، وهذا ما دعاهم إلى الإنكار على المتكلم ما سمعوا منه بقولهم:((أولى لكَ ياشَوْلة عَذْوان ، وهَيْلةَ غطفان ، قد أمَرتَ بالسوء ونهيتَ عن الإحسان))[1]، مما يقوي القول:إنّ المعرفة السابقة ضرورية لتوازن صحيح بين ما على المتكلم قوله، وبين ما يمكن أن يقتضيه[2]، وهذا اللبس كان مقصودًا من المرسِل الذي كان هدفه تعمية المعنى عليهم، وعند الرجوع إلى سياق التلفظ نجد أنّ المتكلم ساق خطابه هذا وسط جموع من الناس كثيرة ومقصده إظهار براعته وتفننه في اللغة للمحتشدين مقابل عجْزهم عن معرفة غوامضها ودقائقَها، وقصده من ذلك إثارة فضولهم لمعرفة ما خفي وراء هذه الألفاظ من معانٍ خفية فيقبلوا عليه طالبين الفهم منه؛لذا فقد عمد إلى جذب انتباههم وإثارة اهتمامهم وإبهارهم مستعملًا الألفاظ الغامضة التي تجعل القصد مبهرًا[3]، ولعلّ حاجة السامعين ورغبتهم في التواصل مع المخاطِب جعلتهم يقبلون عليه طالبين منه تفسير ما تحمله هذه الألفاظ من دلالات أُبهمت عليهم ، والأمل يحدوهم بإزالة لبسها من خلال قولهم:((فارْفَعْ الغِشَاء وَلَكَ عِنْدَنَا مَا تَشَاء))[4]،ويلحظ أنّ الدلالة المركزية للدوال كانت هي الحاضرة في ذهن المتكلم وهي المقصودة المضمرة لكنّ الدلالة العقلية الثانوية(الاستعمالية) هي التي ذهب عقل المحتشدين صوبها وفهموها؛ وذلك لأنّ المعاني المعجمية المتعددة للمفردة الواحدة يكون بينها معنى أكثر تبادرًا للذهن من

([1]) مجمع البحرين، ١٣٩، وشولة عدوان :جارية كانت لبني عدوان وكانت تنصحهم فتعود نصيحتها عليهم وبالًا، هيلة غطفان:عنز كانت عند بني غطفان تتطح من يأتيها بالعلف وتأنس بمن يحلبها ، وكنّى بذلك عن معاكسة الواجب، ينظر:هامش مجمع البحرين، ١٣٩.

([2]) ينظر:مدخل إلى دراسة التداولية، ٧٥.

([3]) ينظر: فنون النص وعلومه، فرانسو راستيي، ١٥٥.

([4])مجمع البحرين ،١٤٠.

غيره؛لأنّ الذهن ينصرف إلى المعنى الأكثر شيوعًا وكأنه يمثل النواة الصلبة للكلمة[١]، لكنّ المعنى المضمر أو ما قصده المتكلم وبالرجوع إلى أصل الوضع يكون :(احرصْ على كلّ ما يرفعُ شأنك،واعدلْ عن النساء المبتذلات إلى النساء المتسترات).

ويبتعد المتكلم أيضًا عن الوضوح حين يتوخى الغموض في التعبير، وكثيرًا ما يحدث ذلك عند الاستغراق في الأساليب البلاغية،ولَمّا كانت غاية اللغة إفهامية ؛فعلى المتكلم إيصال المعنى من دون أن يعتريه أي غموض أو إبهام يعيق هذه الغاية ،لكن الغموض لا يعد ((خطأ في التواصل ولكنه تواصل في صيغة أخرى))[٢]؛ لأنّه لا يظل مستمرًا أو عصيًا على فهم السامع، إذ يؤوله السامع بالنظر إلى دلالة الكلمات الأصلية واعتماده الآليات الذهنية الاستدلالية[٣]، وهو يمنح النصوص سمة الانفتاح وقابلية التأويل فضلًاعمّا يضفيه من قيمة جمالية عليها[٤]، ومما جاء خرقًا لمبدأ الطريقة ما جاء في هذه المقامة في ردّ ذلك الشيخ على القاضي عندما طلب منه تطليق زوجه واستبدالها بأخرى تتوافق مع هواه،وترق لحاله، وترأف لبلواه قائلًا:((**هَيْهَاتْ مَنْ يَنْزَعُ بِقَاعٍ صَلْقَعٍ بَلْقَعٍ أو يَتَيَمَّنُ بالغُرَاب الأَبْقَع**))[٥].

يستغل المتكلم هنا قاعدة الأسلوب حين ينتخب للتعبير عن فقره بقوله: (بقاعٍ صَلقعٍ بلقعٍ) بدلًا من القول:إنّه فقير[٦]، وللتعبير عن نحسه بالقول: يتيمن بالغراب الأبقع[٧]، فيكون قصد المتكلم الذي يرغب يرغب في تبليغه هو:(أنّه رجلٌ فقيرٌ نَحْس) مرتكزاً بذلك على علاقة المشابهة وعلى المعهود الذهني المتداول مكتفيًا بالإلماح؛ لأنّه يُمكن المتكلم من التعبير عن أمورٍ كثيرة قد يتحاشى الإفصاح عنها إلّا بأقوال غير جريئة[٨]، فيجنبه ذلك الوقوع في الإحراج، واستطاع المخاطَب استحضار ذلك القصد الخفي الخفي للمتكلم بالاستعانة بقدراته الاستناجية لاستنباط المقصد، الكامن على مستوى العمق عن طريق الاستدلال، وهذا الاستدلال هو الاستلزام الذي يصل إليه ولولاه لانتفى التعاون بين المتحاورين[٩]، لذا

---

(١) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث،د. علي زوين، ٩٥. وفنون النص وعلومه ،١٧٧.

(٢) فنون النص وعلومه، ١٥٦.

(٣) ينظر: القصدية والتأويل في العربية "أطروحة دكتوراه"،مرتضى هاتف بريهي ، ١٥٨.

(٤) ينظر: القصدية في النص الأدبي دراسة لسانية (بحث) ميلود مصطفى عاشور، د. أياد عبدالله، د. زين الرجال عبد الرزاق، ١٢٠.

(٥) مجمع البحرين، المقامة الإنطاكية ٢٠٧.

(٦)أراد تشبيه نفسه بالأرض الخالية القفر ينظر: لسان العرب، ٢١/٨ (بلقع)، و ٢٠٦/٨(صلقع).

(٧)هو الغراب الذي يخالط سواده بياضاً والعرب تتشاءم به ، ينظر: لسان العرب، ١٧/٨(بقع) .

(٨)ينظر:محاضرات في فلسفة اللغة ،٣٠، ونظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك،دان سبيربر، ديدري ولسون، ٣٣٠.

(٩)ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو نظرية المسالك والغايات،د.محمد محمد يونس علي، ٩٢، و التلويح الحواري، ٣١.

فقد دعا الطرف الأخر له ((بالهِمْيان وأبرَزَ له نِصابًا من العِقيان))[١] ، فتحقق التواصل والإفهام بين الطرفين.

٤- الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة المناسبة (الملاءمة):

تقوم هذه القاعدة على مقولة مفادها (ليناسب مقالك مقامك) وتعني أن يكون الكلام مناسبًا لموضوع الحوار، أيّ أن يأتي الخبر متعلقًا بالمقام الذي قيل فيه، وهي تشبه ما ذكره المتقدمون من علماء البلاغة حين جعلوا هذا المعطى شرطًا في صحة بلاغة الخطاب،حين قالوا لكل مقام مقال[٢].

وتخرق هذه القاعدة حين يخوض المتكلم في قول ليس له علاقة بما قيل سابقًا[٣]، فيسوق كلامًا على خلاف ما يتوقعه المخاطَب؛ ليلفت نظره إلى أمرٍ ما، فيخرج عن مناسبة الموضوع ؛ لإيصال معلومةٍ ما إلى المخاطَب الذي يستعمل هذه القاعدة كأداة لتأويل أقوال لا تتناسب مع موضوع الكلام خلال التبادل الحواري[٤]، ومصداق ذلك الحوارية التي دارت بين سهيل والخزامي في إحدى مقامات اليازجي اليازجي في قوله:**((قُلْتُ له:لله دَرُّكَ مَا أَلعَبَكَ بالقُلُوب، وأَبْصَرَكَ بِكُلِّ أُسْلُوب، فهَلْ تأذَنُ لِي فِي التَحوُّلِ إلى صُحبَتِك وَلَو فَاتَنِي وَطَري في سَبِيْلِ مَحَبّتِك؟ قال: يا بُنيَّ قَدْ وَطنْتُ نَفْسِي هَذهِ النَوبَة على الصِّراع، وآليْتُ أنْ لا أَتْرُكَ رَأسًا بلا صُدَاع، لِمَا رَأيْتُ في النَاسِ مِن لُؤم الطِّبَاع، فأخْشَى إذا طَمَى الوَادِي أنْ يَطُمَّ على القَرِي، فَيَلْتَحِقَ ذَنْبُ السَّقيم بالبَرِيّ))[٥].**

يظهر الخرق في ردّ المتكلم على طلب المخاطَب مصاحبته بإيراده جوابًا غير مناسب لسؤاله الذي مقتضاه يستدعي أن يجيبه بالنفي أو الإثبات، لكنّه أجاب بما مفاده أنّه قد عزم على معاركة الناس ذاكرًا أوصافًا لنفسه وسوء نيته وعاقبة مآل مرافقته، ربّما لأنّه أراد صرف المخاطَب عن مرافقته بحجة كي لا يناله من رفقته الضرر والوقوع فيما لا يحمد عقباه، واقتفى أثر التلويح في صياغة الجواب؛ ليصون وجه مخاطَبه من أن يخدشه بإعلامه رفضه بطريقة مباشرة ، أمّا المخاطَب فقد نفذ إليه قصد المتكلم هذا من دون الوقوع في اللبس لكون مبدأ التعاون ما زال مستمرًا بينهما وهذا ما أبقى التواصل ناجحًا بين الطرفين.

ومن انجازيات الاستلزام الحواري المتأتية عن خرق قاعدة المناسبة ما جاء في هذا الحوار الذي دار بين أحد الشعراء وذلك المستفتي في مسألة الخير والشَّر وأيّهما أكثر في الدنيا في قوله في هذه

([١])مجمع البحرين، ٢٠٧، والهِمْيان كيس النفقة، والعِقْيان: الذهب، ينظر: لسان العرب ٤٣٧/١٣(همن) و٢٨٨/١٣(عقن)، ١، وينظر:هامش مجمع البحرين ،٢٠٧..

([٢])ينظر:مختصر المعاني ،سعد الدين التفتازاني ، ٢٦٥، والاستلزام الحواري في التداول اللساني ،١٠٠.

([٣])ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية، ١٠٠.

([٤])ينظر:نفسه ،٩٣.

([٥])مجمع البحرين ،المقامة الأدبية ،٢٠٣- ٢٠٤.

المقامة:**((فابنْ لي** أيّ **الأَهْلَوبين أَبْدَع،وبِالحقِّ فأصْدَعْ، قَالَ: أمّا أنا فَمَالِي مِن خَلاق فِي الدُّنْيَا وَلا نَصِيْب، غَيْرَ المَدْحِ والنَسِيْب، فَفِي الأوْلِ غُصْتِي وَفِي الثَّانِي لَذَّتِي))**[1].

فالمجيب في الحوار السابق لم تصدر منه استجابة تعبر عن التأثير بفعل القول بإصدار فعل إنجازي يتمحور على الإيفاء بالطلب أو الإحجام بالرفض،ولكنّه قابل الطلب بصوغه أفعالًا إخبارية لا علاقة لها بما قيل سابقًا؛لتغيير الموضوع[2]، وبما أنّ المتكلم شاعر من الشعراء همه المدح والحصول على العطاء في مقابل هذا المدح ، فليس له ديدن في الدنيا غير هذا العمل؛ لذا فهو لا يعلم شيئًا عن هذه المسألة التي هي من المسائل التي يخوض فيها العلماء والفلاسفة لا الشعراء،فكان قصده من هذا الخرق الحفاظ على قاعدة (الكيف) التي تتطلب منه أن لا يقول مالا يعتقد صحته أو ما ليس عنده دليل عليه؛ كونه لا يملك الفهم حول سؤال المخاطب ولا يريد أن يكذب عليه[3] ، أو ربما لا يريد أن يحرج نفسه فيقول صراحةً بأنّه لا يعرف الجواب .

وجرى خرق هذه القاعدة أيضًا في مضمار الحوار الحاصل بين ذلك الشيخ ورجلٌ أراد شراء غلامِه وذلك في هذه المقامة: **((فقام في المجلِس بَعضُ حاضريه ، وقال: إنْ كنت تبيعهُ فأنا أشتريه ، فبكى الشيخُ حتى أخضلَ عارِضاه ، وقال: هل منْ يبيع روحه برِضاه ؟ لكنني قد سَئِمتُ العيشَ المديدَ ، كما سَئِمَ لبيد،فضَعِ الفأسَ في الرأس وحَيَّهل بهذه الكأس، فابتدر الرجلُ صفقةَ العقد ، وقفّى على أَثرها بالنقْد))**[4].

جرى خرق هذه القاعدة عَبْرَ الانزياح إلى مقاصد كامنة يمكن إدراكُها استنادًا إلى حاضنة السياق ومعرفته المسبقة ، فالرجلُ يسألُ الشيخَ عن بيع الغلام ، لكن الشيخ يتجاوز جوابهُ في ظاهر الحوار بالبكاء ، وبقاء السؤال من دون إجابة أو الإجابة عنه بما لا علاقة له بالسؤال ، بخرق مبدأ المناسبة الذي يقتضي هنا الإجابة بـ (نعم أو لا) ، إلاّ أنّه خرق هذه القاعدة بسيميائية البكاء التي تضمنت ألمًا وحسرةً على بيع غلامه، وبما أنّ قاعدة المناسبة أو الملاءمة تُعد كأداة يستعملها السامع لتأويل ما لا علاقة له في الظاهر مع ما قِيلَ من خلال التبادل الحواري[5]،فعلى المخاطَب أن يسأل نفسَه عن العلاقة بين (بيع الغلام) و(بكاء الشيخ) ؛ ليصل إلى مراد المتكلم وهو إظهار تعلقه بالغلام وبيان مكانتهِ الكبيرة في نفسهِ، وأتبع المتكلم ذلك البكاء بسؤالٍ :(هل من يبيع روحه؟) وهذا لا يوفر جوابًا لما يفترضه سؤال السائل ،

([1])كتاب الساق على الساق، ٨٦.

([2])ينظر: مدخل إلى دراسة التداولية ، ١٠٠.

([3])ينظر: التلويح الحواري ،٤٨.

([4]) مجمع البحرين ، المقامة المصرية، ١٧٧-١٧٨.

([5])ينظر مدخل إلى دراسة التداولية، ٩٣.

* يريد بالكأس كأس الموت ، فكأنّه أراد القول أنه أيقن بالموت بعد بيعه لغلامه

فثمة خرق في مبدأ المناسبة سوغه مبدأ التعاون الذي يتيح استنتاج قصد المجيب الضمني من خلال سؤاله المقدم كإجابة والذي تضمن فعلًا مستلزمًا مفاده :إنّ الجواب واضح للغاية ومعلوم وهو لا حتمًا وبالتأكيد؛إذ يستحيل أن يلقي الإنسان روحه في مهواة الردى عن طيب خاطر، ثم يناقض هذا القول بقولٍ آخر باستعمال وسيلة لغوية هي (لكن) التي تستلزم عرفيًا التناقض بين المعلومة التي قبلها والمعلومة التي بعدها[١]، فيناقض عدم الموافقة الضمنية موافقة على البيع جاءت بصورة غير صريحة من خلال خرقه لمبدأ (الطريقة)الذي يقتضي الوضوح في الكلام في قوله :(فضَعِ الفأس في الرأس ، وحَيّهل بهذه الكأس)*، وهنا أضفى معنى مضمر عندما اختار مقولاتٍ تلميحية بالموافقة على البيع فقوله: (ضعِ الفأسَ بالرأس) الذي يمثل طلبًا غير مباشر لإنجاز أمر البيع والعجلةَ فيه[٢]، وعضّد هذا المدلول بقوله: (حَيّهل)وهو لفظ تقوله العرب في السرعة والحث، ومعناه (أعجِلْ)[٣]، فساعدت هذه القرائن في تجلية مراد المتكلم ، وقد توصل المخاطَب لهذا القصد بدليل إتمام عملية البيع بين الطرفين ، الذي مثله القول:(فابتدرَ الرجلُ صفقة العقد ، وقَفَى على إثرها بالنقد) ، وبذلك يكون قد تم التواصل بينهما.

ثانيًا: المبادئ المتممة و المستدركة على مبدأ التعاون الغرايسي:

كان (غرايس) قد اقتصر في مبدئه على النظر في الجانب التبليغي من التخاطب مكتفيًا بالتركيز عليه غاضًا البصر عن الجوانب التهذيبية والأخلاقية للحوار[٤]، بالرغم من أنّها لم تغب عنه، إذ ألمح إلى أنّ هناك قواعد أخرى تتعلق بالجانب الأخلاقي أو الاجتماعي تدعو إلى خرق القواعد التحادثية وبلورتها من خلال انتقاء استراتيجية خطابية تبرز المبدأ الأخلاقي التهذيبي في الحوارات، ولكنّه لم يقعد لتلك القواعد أو التوصيات الأخرى[٥]؛ مما أثار ذلك عدة انتقادات انطلقت من هذه الهنة –إن صحَّ عدّها كذلك- اقترحت على أثرها جملةٌ من الإضافات والتعديلات على هذه القواعد[٦]، بما يضبط –بحسبهم- العلاقات أكثر بين المتخاطبين[٧]،ركزّ فيها الباحثون على أهمية الجوانب النفسية والاجتماعية في العملية

---

(١)ينظر: الجنى الداني ،٦١٦،والتداولية ، جورج يول ،٧٦.

(٢)هو مثل يضرب في طلب التعجيل في إنجاز الأمرٍ والإمضاء فيه ، ينظر:محيط المحيط ،المعلم بطرس البستاني (ت١٣٠٠هـ)، ٢٦/٧، وهامش مجمع البحرين، ١٧٨.

(٣)ينظر: لسان العرب، ٧٠٧/١١ ، (حيّ)، وهامش مجمع البحرين ،١٧٨.

(٤) ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي ،٢٣٩، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١١٨.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب ،٩٧.

(٦) ينظر: المفارقات واس الحوار"بحث"، إحسان الباهي، ٥٤.

(٧) لابد من الاشارة هنا إلى أنّ (غرايسGrice) نفسه أقرّ بانّ مبدأ التعاون يُعد نوعاً من المبدأ "المثالي" الذي من شأنه شأنه أن يجعل عددًا معينًا من القواعد التحادثية المحددة أكثر شمولية ومن ثمّ فهو يقر بأنه يمكن إضافة المزيد منها وأنّ ثمة مبادئ أخرى يمكن أن تؤمن إجراءات التفاعل مثل القواعد الغرايسية، ينظر: المضمر ٣٤٦، ٣٥٦.

العملية التفاعلية، فاقترحوا مبادئ تجمع إلى جانب التبليغ جانب التهذيب في التخاطب كانت نظرية غرايس نقطة الانطلاق والتأسيس لها[١]، ومن هذه المبادىء المستدركة على ما أقترحه غرايس:

١- مبدأ التأدب (التهذيب):

تعود صياغة هذا المبدأ إلى الباحثة الامريكية ((روبين لايكوفRobenLakoff)) التي انتقدت الباحثين في وقوفهم عند الشكل اللغوي للحكم على صحة الجمل والملفوظات، فدعتْ في مقالها ((منطق التأدب)) إلى الأخذ بسياق التلفظ بما فيه من افتراضات منطقية أخرى تداولية تحيط بالحدث التخاطبي في الحكم على صحة الملفوظات والتراكيب؛ لذا اقترحت أن يضاف إلى القواعد التخاطبية لـ(غرايس) مبدأً من صنف(لتكنْ مؤدبًا)[٢]، إذ يقضي هذا المبدأ بان يلتزم المتخاطبون بضوابط التهذيب ما لا يقل عن الالتزام به من ضوابط التبليغ[٣]، فدعتْ إلى اعتماد قواعد التهذيب في أثناء التخاطب، وقد فرّعت هذا المبدأ إلى ثلاث قواعد تهذيبية هي[٤]:

١- قاعدة التعفف:مؤداها (لا تفرض نفسك على المخاطب) ، ولا تلح عليه واترك مسافة بينكما، وأوضحت (لاكوف) أنّ هذه القاعدة تمثل علاقة الاتفاق بين مبدأ التأدب ومبدأ التعاون الغرايسي، فالمخاطب يُنتج حواره بصورة رسمية تتطلب الوضوح فيكون بذلك قد أدرج مبدأ التعاون بقواعده[٥]، أمّا علاقة الاختلاف بين المبدأين فتظهر من خلال قاعدتي: التخيير (التشكيك) ، والتودد.

٢- قاعدة التخيير (التشكيك):مقتضاها: (لتجعل المخاطب يختار بنفسه) بانْ يجعل المتكلم مقاصده مشكوكًا فيها تاركًا أساليب الجزم والالحاح آخذًا بأساليب دالة على تخير المخاطب كأسلوب الاستفهام أو التلفظ بأساليب التشكك[٦]؛ كي يجعلَ مخاطبه يختار بنفسه وليترك الخيارات مفتوحة أمام مخاطَبه مما يعطيه حرية اكبر.

٣- قاعدة التودد:تنص على :(لتُظهر الودّ للمخاطب) ويظهر في القاعدتين الأخيرتين نمط الاختلاف بين مبدئي التأدب والتعاون، إذ إنّ المتكلم يرتب حديثه مع الطرف الآخر على وفق قاعدتي التشكيك والتودد وفي ذلك خرق لمبدأ التعاون[٧].

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ٩٧.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،٢٤٠، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١١٨، واستراتيجيات الخطاب، ٢٦٤-٢٦٦.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٤٠.

(٤) ينظر: المضمر ١٠٨، واستراتيجيات الخطاب، ١٠٢.

(٥) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٣٩-٢٤٠.

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ١٠٢.

(٧) ينظر:استراتيجيات الخطاب،١٠٢.

وبتأمل هذه القواعد يُلحظ أنّها قائمة على ضرورة مراعاة العلاقة التخاطبية بين المتخاطبين على وفق ما تقتضيه المعطيات النفسية والعلاقات الاجتماعية فهي تدعو إلى التهذيب في تشكيل الفعل الكلامي وتحقيق قوته الانجازية، فتستدعي مثلًا أثناء الطلب استعمال عبارات غير مباشرة بحسب ما يقتضيه الحال،ويمكن تلمس مصداق هذا المبدأ في هذه المقامة التي يخاطب بها المتكلم حشدًا من الشعراء المجتمعين بعدما قصدهم ليأنس منهم حِكمًا من القول وسحرًا من البيان،قائلًا:

((فَسِرتُ إليهِمْ، وسَلَّمتُ عَلِيهِمْ، وَقُلتُ:هَلْ لَكُمْ في أنْ تُجَالِسُوا مَنْ يَمْتُّ إليكُمْ بالوِدَادِ،وقَدْ بَلغَهُ مِن كَلامِكُمْ ما وخّاه إليْكُمْ عن رَشَاد،قالوا: مَرحَبا بالقَادِمِ، وإنْ يَكُنْ غَير مُنادِمِ))[1].

ما نراه من مبادئ (لاكوف) في هذا الخطاب (مبدأ التخيير)، إذ تجنب المتكلم أساليب الطلب المباشرة وذلك بوضع طلبه في صورة التساؤل ليترك للمخاطَب مبادرة اتخاذ القرار ، وهذا ما سلكه عندما أصطفى الاستفهام في مفتتح كلامه قائلًا:(هل لكم أن تجالسوا؟)الذي هو الأليق بخطاب التلطف من صيغة الطلب المباشر بفعل الأمر ولاسيما في مستهل التحاور[2]، فهو بذلك يجعل الخيار مفتوحاً أمام مخاطَبه في اتخاذ ردة الفعل المناسبة، ولإعطائه حرية أكبر في الاختيار.

ويأتي القانون الثاني الذي نادت به لاكوف (قانون التودد):(لتظهر الودّ للمخاطب) بتسخيره خطابًا وديًا ورابطًا توديًا بينه وبين الطرف الآخر وذلك بإلقائه التحية أو السلام في مفتتح كلامه؛ إظهارًا للتأدب والتلطف، ولترسيخ المودة والإخاء[3]، بما للتحية من أثر علائقي فهي تذيب الجليد بين طرفي التفاعل وتلطف من حدة انتهاك حياضه[4]،وأيضًا بانتقائه فعلًا تعبيريًا لنقل أحاسيسه والتعبير عن مشاعره في قوله:(مَنْ يمتُ إليكم بالوداد)، وهذا الأسلوب يجعله أقرب إلى المخاطَب وأكثر تأثيرًا في نفسه[5]،فيستميله إليه، بما يمكنه من الانخراط الإيجابي في التفاعل الكلامي، وهذه كلّها أخلاقيات لفظية أسهمت بفعالية تحقيق الغرض الإنجازي الذي ابتغاه المتكلم من المخاطَب، وتجلى ذلك في ردّ المخاطبين الذين اظهروا أيضا احترامهم لمبدأ التأدب مع احترام قاعدة التودد في إظهارهم كل الودّ والترحيب للمتكلم بقولهم: (مرحبا بالقادم وإنْ يكن غيرَ منادم).

٢- مبدأ التأدب الأقصى:

---

(١) الساق على الساق، ٤٦٨.

(٢) ينظر:تعدد القصود في المحادثة القرآنية ، قراءة تداولية في قصة إبراهيم "ع""بحث"،أ.د.لمى عبد القادر خنياب ، ٢١٦.

(٣) ينظر: التخاطب ، مبادئه، وقواعده، واستراتيجياته وآدابه، ٨٧.

(٤) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب ، ٢٤١.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ١٠٢.

صاحبه (جورج ليتشLeech) الذي اقرّ بأهمية مبدأ التعاون الغرايسي في التخاطب وانطلق منه مضيفًا عليه بعض المعطيات النفسية والاجتماعية، وذلك في كتابه (مبادئ التداوليات)[١]، فصاغ مبدأه في صورتين متضادتين، الأولى: (قللّ من الكلام غير المؤدب)، والثانية: (أكثر من الكلام المؤدب)، وقيّده بست قواعد ذات صيغة ثنائية، (سلبية وإيجابية) تجنب النزاع وعدم التعاون أو التعارض الذي يعيق المسار التخاطبي هي[٢]:

١- قاعدة اللباقة وصورتاها: قلل من خسارة الآخر ، أكثر من ربح الآخر.

٢- قاعدة السخاء وصورتاها: قلل ربح الذات ، أكثر من خسارة الذات.

٣- قاعدة الاستحسان: قلل ذمّ الآخر، أكثر مدح الآخر.

٤- قاعدة التواضع: قلل مدح الذات ، أكثر ذم الذات.

٥- قاعدة الاتفاق: قلل من اختلاف الذات والآخر، أكثر من اتفاق الذات والآخر.

٦- قاعدة التعاطف او التجانس: قلل من تنافر الذات والآخر ، أكثر من تعاطف أو انسجام الذات والآخر.

ويلحظ أنّ (ليتش) يربط هذه القواعد بضرورة إيثار الآخر(المتلقي) على حساب الذات؛ لأنّ هذا من شأنه أن يضمن نجاح الفعل الكلامي، وهو بذلك يحافظ على مبدأ التعاون بين المتفاعلين ، ويقوي وشائج التواصل بينهما.

وعند تتبع هذا المبدأ في المقامات وجَدت الباحثة تمثلًا له في هذا الحدث التخاطبي الذي دار بين الفتى وذلك الصديق القديم الذي تفضّل عليه بالوقوف إلى جانبه في شدته وعوزه: **((والله لَقَدْ أجْملتَ فأجْزَلْتَ وأكْرَمْتَ فأتْمَمْتَ، وصَيَّرتَنِي لكَ عَبْدًا رَقِيقًا، ولا أقُوْلُ صَاحِبًا وصَدَيْقًا، وَلَقَدْ صَدَقَتْ فَرَاسَةُ أبّي فِيْكَ، ولَسْتُ اقْدِرُ أنْ اكَافيكَ.... ولَسْتُ أصْلَحُ فَأقُولُ لَكُ اتَّخِذْنِي وَلَدًا، فاتَّخِذْنِي خَادِمًا عِنْدَكَ وَعَبْدًا، فَقَالَ الرَجُلُ:سأتّخِذَكَ ابْنًا وَوَلَدًا،وإنْ لم أصْلُحْ فَمَخْدُومًا وَسَيِّدًا،فَقَالَ: كَيْفَ لا تَصْلُحُ وأنتَ السَيّدُ والمَالِك...))**[٣].

اجتمعت في البنية التحاورية السابقة أكثر من قاعدة من قواعد التأدب الأقصى، فبعد أن بيّن الشاب لذلك الصديق القديم لوالده مقامه في الفضل والكفاية مظهرًا ذلك في ألفاظ حملت مدحًا للمقابل من قبيل:(أجملت، أجزلت، أكرمت فأتممت)محققًا بذلك قاعدة الاستحسان، طاب له أن يُحسن له أكثر فيكون له بمنزلة الخادم أو العبد وهو بذلك يحقق قاعدة السخاء، إذ أكثر من خسارة ذاته بوضع نفسه موضع العبيد والخدم، فلفظة عبد وخادم فيها تأدب أقصى؛ لتواضع الفتى أمام الرجل وذمه ذاته، وقد تقصدها؛ ليعطيه شعورًا بأنّه صاحب فضلٍ يخوله لأنْ يتمتع بالسلطة والسيادة عليه بعد أن استدرك بها

(١) ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ٢٤٦-٢٤٧، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٤٦-٢٤٧، واستراتيجيات الخطاب، ١١١-١١٢.

(٣) الآثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء،٣١٠

على قوله: (اتخذني ولدًا) الذي يُعد تلميحًا منه للرجل بأنّ به حاجة للتقرب منه وأن يحلّ منه منزلة الولد، ولكنّه أحس بأنّ ذكره ذلك قد يهدد وجهه الدافع ، إذ قد يعترض المخاطَب على تقربه منه ومن ثمّ قد يمتنع عن ذلك فاستدركه بالقول: اتّخِذني خادمًا وعبدًا، وفي المقابل نجد المخاطَب يستجيب لرغبة الفتى مؤكدًا له بأنّه سيكون له بمنزلة الابن محققًا بجوابه:(سأتخذك ابنًا وولدًا) قاعدة جليلة ومهمة من قواعد ليَتش هي:(الإكثار من مدح الأخر والإعجاب به)، ثم يحقق قاعدة السخاء باستدراكه بالقول:(إن لم أصلح فمخدومًا وسيّدا)بالإكثار من خسارة ذاته بوضعها موضع الخدم ما دفع بالحضور القوي للمبدأ الذي تنضوي تحته قاعدة الاستحسان التي حققها الفتى أيضًا في استعماله صيغ المدح بقوله: (أنت السَيّد المالك) للدلالة على استحسانه،وكذا استحضر قاعدة (أكثر من مدح الآخر) ،إذ قال الغلام :(كيف لا تصلح وأنت السيّد والمالك).

٣- مبدأ التواجه (الوجه)*:

هو مبدأ قدماه (بروان وليفنسون) في عملهما التداولي المشترك (الكليات في الاستعمال اللغوي ظاهرة التأدب) ، فأقاما توجههما على حماية الوجه(ماء الوجه) من خلال رغبة المتفاعلين الحفاظ كل منهما على وجه الآخر، ونصه: (لتصن وجه غيرك)*،ويستلزم وفقًا لهذا المبدأ أن يصون المتكلم وجه غيره بعدم إيراده ألفاظًا تؤثر في القيمة الاجتماعية للمخَاطَب، وهو على ضربين: وجه دافع (سلبي) يراد به رغبة المرء دفع الاعتراض من المقابل،ووجه جالب (إيجابي) يعني إرادة المرء جلب الاعتراف من المقابل بأفعاله، وأن تكون رغباته محترمة عند الآخرين(١)، ورأى الباحثان أنّ هناك جملة من الأفعال التي تعوق رغبات المتكلم أو المتلقي في دفع الاعتراض أو جلب الاعتراف، فالتهديدات التي تصيب الوجه فتسكب ماءه هي التي تشكل توجه التأدب، وعلى المتكلم إزالة تلك التهديدات أو إخفائها(٢)؛ لذا فقد اقترحا خططًا تخاطبية تخفف من آثار التهديد للوجه الدافع أو الوجه الجالب ينتقي منها المتكلم ما يراه

*ترجم هذا المبدأ بالتواجه عند طه عبد الرحمن، ينظر: اللسان والميزان ٢٤٣، وهو عند الشهري مبدأ الوجه، ينظر:استراتيجيات الخطاب ، ١٠٣ ويسمى أيضا التناظر: ينظر، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إحسان الباهي ، ، ١٣٢.

*يشيع في استعمالاتنا اليومية عبارة الوجه فنقول: ليس لفلان وجه ايّ ليس له قيمة اجتماعية، وفي هذا السياق يُعرف طه عبد الرحمن الوجه بقوله: ((عبارة عن الذات التي يدعيها المرء لنفسه والتي يريد أن تتحدد بها قيمته الاجتماعية))،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٤٣، فالوجه مصطلح تقني يمثل ذات المرء العلنية وقيمته الاجتماعية التي دأب على الحفاظ عليها ينظر: التداولية ،جورج يول ،٩٨ ، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ٢٤٣.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب ١٠٣، واستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية ١٦١.

(٢) ينظر:مبدأ التأدب في خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي "بحث"/عماد شعير، ٢٤٩.

ملائمًا لقوله ذي الصفة التهديدية، وتمثل هذه الخطط (الاستراتيجيات) سلمًا لدرجات التأدب[١]، وينزع فعل حفظ ماء وجه شخص أخر إمّا بالالتفات لرغبات وجهه السلبية ، كالحاجة إلى الاستقلال وعدم الاتكال على الأخر، والتمتع بحرية الفعل، وعدم تلقي الأوامر والاملاءات من الآخرين.

أمّا رغبات وجه الشخص الإيجابية فهي الحاجة لأن يكون محبوبًا ومقبولًا من الآخرين، وأن يُعامل على أنّه فرد من المجموعة نفسها يشاركه الآخرون رغباته ، وبتعبيرٍ آخر فإنّ الوجه السلبي يعني حاجة الشخص إلى الاستقلال ، في حين الوجه الإيجابي هو حاجته إلى الارتباط والاندماج[٢]، ويتم تفادي فعل تهديد الوجه عن طريق أفعال حفظ ماء الوجه التي تستعمل استراتيجيات تهذيب إيجابية ، واستراتيجيات تهذيب سلبية [٣].

١-استراتيجية التهذيب الإيجابي:

تفرض هذه الاستراتيجية أن يوظف المتكلم في خطابه ما يدفع له الإضرار بالوجه الجالب إلى أقصى حد[٤]، وتخلق هذه الاستراتيجية إطارًا تقاربيًا تعاونيًا بين طرفي التواصل من خلال سعي المتكلم إلى إيجاد مساحة تقاطع أو منطقة مشتركة مع السامع؛ لذا فيدخل في إطارها أساليب المنح والإقدام، والاستحسان، والاهتمام والمبالغة، والتعبير عن الألفة وتجنب الاختلاف والشقاق، وطلب الوفاق والاتفاق، والمبادرة الكريمة، والوعد بما يسر، وتقديم المبررات والأعذار كلما لزم الأمر[٥] .

وتوافق هذه الاستراتيجية ما وجده البحث في هذه المقامة قول المتكلم شعرًا[٦]:

ما كَذَبَتْ ولا بها من عارِ لكنَّ ذاك لَيْسَ باختياري

فإنّها مِن أحْسَنِ الجواري بَديعةٌ في أعْيُنِ النظّارِ

كالشّمسِ في رائعةِ النهَارِ فصُنتها كدُرَّة البحـــارِ

---

(١) هذه الأصناف من الخطط او الاستراتيجيات التي اقترحها الباحثان هي:

– الاستراتيجية الصريحة: أي ذكر القول المهدد دون تنميق.

– الاستراتيجية التلميحية: وفيها يلمح المخاطب الى القول المهدد دون ذكره أي استعمال التعريض.

–استراتيجية الصمت: الامتناع عن الكلام حفاظاً على وجه المرسل او المرسل اليه.

–التأدب السلبي: هو تهديد صريح مع تحسين للوجه الدافع.

–التأدب الايجابي: تهديد صريح مع تحسين للوجه الجالب.

ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ٢٤٣–٢٤٤، واستراتيجيات الخطاب، ١٠٥.

(٢) ينظر التداولية ، جورج يول، ١٠٠.

(٣) ينظر: نفسه،١٠٣.

(٤) ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي ،٢٤٤.

(٥) ينظر:تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ،بهاء الدين مزيد، شمس للنشر، ٦٥

(٦) مجمع البحرين، المقامة الصورية، ١٠٠.

حتى أرى كُفأً من الأصهارِ وأنني شيخٌ غَرَيَبُ الدَّارِ

ينزع المتكلم إلى إظهار تآزره مع ابنته والابتعاد عن مناطق الخلاف معها، واتفاقه فيما أدعت عليه من ظلمها ومنعها عن الزواج ، وإنّه يشاركها فيما تدعيه، وهذا ما تبدى في قوله: (ما كذبت ولا بها من عار)، وهذا من شأنه أن يحقق التقارب بينهما[١]، ويخلق شعورًا عند السامع بأنّ هدفه لا يتعارض وأهداف المتكلم ،ويتجلى ذلك من خلال سمات لغوية يبثها في خطابه منها المبررات والحجج بذكره الأسباب والمسوغات لفعله مبينًا وجهة نظره في تصرفه الذي أُعترض عليه؛ ليجلب اعتراف الآخر بفعله، بالتبرير لذلك بحججٍ استدرك بها بـ(لكن) واضعًا الآخر من خلالها في الوضع الذي يفرض عليه الاعتراف بقضيته،وبما أنّ ما بعد (لكن) أقوى مما قبلها فهو المؤسس الذي يريده المتكلم ليخفف من إراقة ماء وجهه أمام القاضي لما نُقل له عنه.

ومن صيغ التهذيب الإيجابية التي يستعمل فيها المتكلم ألفاظًا تخفف من حدة التهديد والإضرار بوجه المخاطَب ما جاء في هذه المقامة: **((إنْ شِئتَ أنْ تُجاوِرَنَا غَيرِ هذه الشَّيبة، وتَكْتَفِي ذُلَّ السُّؤَالِ وغُصَّةَ الخَيْبَة، وإلاّ فَخُذْ هَذه النِّحلة، واعْتَمِد الرِّحْلَة، قَالَ: حَبَّذا جِوارُكم، لولا ضَفَفٌ خَلَفْتُ، وَمَوعِدٍ أخْلَفْتُ))[٢].**

يصوغ المتكلم في سياق طلب القوم مجاورته لهم خطابًا يتسم بالرفض لكنّه خفيف الوطأة على مخاطبيه؛ لأجل التأدب الإيجابي وحفظ ماء وجوههم ، فيقوم بانتقاء مفردات لائقة تدل على أنّه يشاركهم رغبتهم تلك[٣]بقوله:(حبّذا جواركم)؛ ليدلل من خلالها على التقارب والتآزر، والتخفيف من شدة محتوى الرسالة وما تحيل إليه من معنى (الرفض) المضمر الذي لم يبلغ مخاطَبيه به بصورة مباشرة، بل عدل إلى تقديم المبررات والأسباب المانعة والأعذار المسوغة للرفض بانتقائه حجة فاعلة رئيسة تبرر رفضه المضمر هي كثرة عياله الجوعى الذين ينتظرون إيابه سريعًا، ومن ثمّ يضع الآخر الوضع الذي يفرض عليه الاعتراف بطرحه .

٢- استراتيجية التأدب السلبي:

فيها يستعمل المتكلّم في خطابه ألفاظًا تقلل من تهديد الوجه الدافع للمخاطَب؛لحمله على أداء أمورٍ مطلوبة منه، كالتحذير، والنصح، والوعيد، والإنذار[٤]؛ ولمّا كانت هذه الاستراتيجية تخلق سياقًا تفاعليًا

(١) ينظر: التداولية، جورج يول، ١٠٦.

(٢) مجمع البحرين، المقامة النجدية ،٣١٠-٣١١.

(٣) ينظر: التداولية، جورج يول١٠٠،.

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ١٠٤ ،والمكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام التخاطبي إنموذجاً"أطروحة دكتوراه "،ليلى كادة، ١٣٧.

تفاعليًا ينأى عن الإمتزاج بين الطرفين وعدم تقريب مساحة الالتقاء بينهما ، كان على المتكلم تجنب المباشرة مع السامع كي لا يلحق الأذى بوجهه أو يحرجه بأن يوظف السؤال أو الملطفات في إنجاز عمله وألّا يجبره على الفعل ،بل يترك له حرية الاختيار وأن يخبره بعدم رغبته في حمله على إنجاز فعلٍ ما[١]، ووجد البحث تمثلًا لهذه الاستراتيجية في هذه المقامة التي يحاول فيها المتكلم (القاضي) أنْ ينجز كلامه ضد الشيخ الذي أُتهم بسوء الخلق والتضييق على زوجه بطريقة لا تلحق الأذى به أو تريق ماء وجهه، فيقول له متبعًااستراتيجية التأدب السلبي محاولًا صون وجه مخاطَبه الدافع:

((أرَى أنّ تَسْتَبْدِلَ بِها مَنْ تُوَافِقُ هَوَاكَ، وَتَرْثِي لِبَلوَاك، وَفِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لدِيْنِكَ ودُنْيَاكَ))[٢].

لجأ المتكلم لأجل الإنكار على المخاطبَ سوء خلقه محذرًا إياه من عاقبة ذلك إلى دفع الإضرار بوجه المخاطَب مما يسببه هذا الإنكار من تهديدٍ وإنقاصٍ وإهانة قد تسبب فقد ماء وجهه،بانتخاب خطابٍ خفيف الوطأة ،مكتفيًا بالتلويح بسوء خلقه مع زوجه وعدم قدرته على كفاية أودها علّه يراجع نفسه فيذعن للقوة الإنجازية فيطلقها[٣]، لأنّ الخطاب متى ما حمل في طياته ما يُسيء للمتلقي كالتقليل من شأنه أو المبالغة في لومه أو الإيغال في النصح والإرشاد انتهى بصاحبه بنتيجة تناقض الهدف المنشود، فبدل حمله على الإذعان لِما جاء به يحمله على الرفض القاطع رفضًا انفعاليًا من غير اقتناع ؛ لأنّ المرسِل يكون حينها قد هدد مناطق المرسَل إليه وأساء إليه[٤]؛ وعليه اتّخذ المتكلم جانب التلطف موطنًا لقصده باستعمال بعض الممهدات اللغوية في قوله: (ترثي لبلواك، توافق هواك، فيه صلاح دينك ودنياك) فهي تعبيريات تأدبية تخفف من محتوى الرسالة الذي قد يكون قاسيًا أو مؤلمًا للمخاطب.

ومنه أيضا قول المتكلم (الأمير) لتلك المرأة التي جاءت تطلب القصاص من قاتل أبيها: **((يا أمةَ الله، إنّ المنايا على الحَوايا*، وإنّ ما عِنْدَ الله خَيْرٌ وأَبْقَى، فإنْ شِئْتِ قَبُولَ دِيةٍ فَذَلِكَ أبَرُّ وأَتْقَى))[٥].**

اختار المتكلم ألفاظًا تلطف من حدة التهديد لوجه المخاطبة الدافع،وذلك بان يحترم هويتها ويعترف لها بكيانها موظفًا استراتيجية التأدب السلبي مشعرًا إياها بالاعتراف بحقها ، فيمتنع عن الطلب المباشر بفعل كلامي موجه: (اقبلي الدية واعفي عن الجاني)؛ لأنّها تؤذي وجه المخاطب[٦]؛ ولتجنب أثارة الشعور بالإكراه الذي قد تتسبب فيه صيغة نحوية مباشرة كهذه ، ينتخب صيغةً يُترك الأمر فيها موكولٌ إليها

(١) ينظر:تبسيط التداولية ،٦٥.

(٢) مجمع البحرين، المقامة الانطاكية، ٢٠٧.

(٣) ينظر: سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية "أطروحة دكتوراه" ،سامية بن يامنة ، ٢٤٩.

(٤) ينظر:الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه،أ.د:سامية الدريدي، ٣٨.

*الحوايا: جمع حوية كساء يجعل سنام البعير، اراد: انّ المنايا تساق الى اصحابها على حوايا الجمال فلا يقدرون الفرار منها؛ لأنّها من قضاء الله، ينظر: هامش مجمع البحرين ،٢٢٨.

(٥) مجمع البحرين، المقامة الانبارية، ٢٢٨.

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ١٠٤.

ليس إكراهًا، ويتبين ذلك من خلال استعمال صيغة الشرط: (إنْ شئتِ)؛ ليشعرها أنّها ليستَ مجبرة على الأمر، وفي ذلك اعتراف بحريتها وبحقها في القبول أو الرفض، وتتبع المخاطبة الاستراتيجية نفسها بصون وجه المتكلم بعدم اعتراضها على خطابه قائلة: ((إنْ كُنْتَ تَرَى الدِيَّةَ أولى مِن القَوَد وأخلى عن الأَوَد، فذلك أجْمَل...))[1]. مستعملةً أسلوب الشرط الذي ترك الأمر موكولًا للمخاطب في اختيار الأنسب والأصلح .

المبحث الثاني

متضمنات القول (المضمر)

إضاءة مفهومية:

ليس الكلام أن نقول ما نريد قوله بصراحة دائمًا، بل قد يضمر المتكلم أكثر مما يُعلن فيحمل المخاطَب على التفكير في شيء غير مصرح به ، فيأتي بكلامه مشحونًا بكثافة مقصدية ،ضاربًا صفحًا عن ذكر

(١) مجمع البحرين ٢٢٨، القَوَد: القصاص بالقتل، ينظر:لسان العرب ٣٧٢/٣(قود)، و هامش مجمع البحرين ٢٢٨.

أمورٍ أو أفكار يودعها في خطابه من دون قولها[١]، إذ يجنح إلى تقديم قضايا بينة لكنّها تحمل قضايا أخرى متوارية خلفها، يمكن استنتاجها من هذه القضايا البينة المعبر عنها تعبيرًا سليمًا[٢]، وهذه القضايا المزروعة في حنايا الكلمات والعبارات التي لا يقع التعبير عنها بصورة مباشرة تسمى (المتضمنات)، وهو المصطلح الذي شاع استعماله عند أكثر الدارسين مقابلًا عربيًا للمصطلح (Limplicite)الانكليزي[٣]،لكنّ (ريتا خاطر) اختارت ترجمته بـ(المضمر) عند ترجمتها لكتاب أوريكيوني الذي كان في لغته الأصل بعنوان (Limplicite).

ومتضمنات القول أو (المضمر) من المفاهيم التداولية التي تتصل بتلك الأمور والأفكار والأقوال المبيتة المضمّنةالتي يتم التلميح إليها بين السطور، والتي يمكن للخطاب أن يحتويها عبر قولٍ معين، لكن تحقيقها في الواقع رهن خصوصيات السياق التعبيري الأدائي[٤]، أيّ أنّ هناك في القول قولين:قولٌ صريح احتواه الملفوظ،وقولٌ ضمني لا يظهر إلا من خلال ممارسة عمليات استدلالية استنتاجية تتطلب استدعاء ما يحيط بالملفوظ من عوامل أخرى غير لغوية،كالسياق ،والمعارف المشتركة بين أطراف العملية التخاطبية[٥]، بما يضمن نجاح التواصل بين المتخاطبين، فلامناص بغية قراءة تلك المتضمنات والخوض في غمار تحليلها من تكبّد فائضٍ من العمل التأويلي يقوم على معرفة قوانين الخطاب والقواعد التحادثية التي ترعى عملية ترميز هذه المحتويات[٦]، والأمر هنا لا يخلو من بعض المفارقة، فبالرغم من أنّ هذه المحتويات الضمنيةتتطلب عملًا إنتاجيًا وتأويليًا زائدًا في عدة سياقاتٍ فإنّ المتكلم يجنح إلى ركوب مطيتها من خلال المواربة وعدم الوضوح في كلامه، لأسبابٍ قد تتعلق باللياقة لتذليل عقبة وجود بعض المحرمات والأمور التي يجب عدم ذكرها بشكلٍ مباشر[٧]، أو ليضمن عدم جرح مشاعر السامع[٨]، وقد يكون الأداء الحسن والإبلاغ الفعّال هما الهدف من اللجوء لهذه المضمرات (المضمنات) الخطابية[٩]؛ لأنّها تضفي على الكلام اللذةوالمتعة، فتكمن متعة المتكلم الذي يُرَمِّز في كلامه في حجب نيته التواصلية التداولية الحقيقية، وأن يراها تفتضح بعد حين وبحسب رغبته، و تكمن متعة السامع في

---

(١) ينظر:التداولية ، جورج يول ،٥١، والخطاب تمثيل للعالم، ١٠٨.

(٢) ينظر:النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ١٥٦.

(٣) ينظر:التداولية عند العلماء العرب، ٣٠ ، وخصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي ،حورية رزقي ، ٢٠١، الخطاب تمثيلٌ للعالم ، ١٠٨

(٤) ينظر: المضمر،٢٠.

(٥) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ٩٩، والخطاب تمثيل للعالم ،٩٦.

(٦) ينظر: المضمر ١٠،، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ١١٢، والخطاب تمثيل للعالم ،١٠٨.

(٧) ينظر:المضمر، ٤٩٨

(٨) ينظر:الخطاب تمثيلٌ للعالم ،١٠٨.

(٩) ينظر:نفسه، ١٠٩

التوصل إلى فكّ هذا الترميز الذي تشكله هذه المضمنات[١]، اتكاءً على كفاءته التداولية التي إذا ما خانته خانته عجز عن استنتاج المقصود من الرسالة الكلامية المرَمَّزة ، ثَمَّ يتعذر تحقيق المقبولية ؛ لذلك فإنّه وبالرغم من كون الصياغة المضمرة (المضمّنة)أكثر فعالية ومتعة من الصياغة البينة لكنّها تكون أكثر مجازفةً وذلك حين يقع المتلقي في خطر اللامقروئية[٢]؛ لذا فإنّ المتكلم لايجنح إليها إلا إذا اطمأن واعتقد أن المتلقي قادرٌ على الوصول إلى المعنى الضمني أو له إمكانية استدلالية تمكنه من الوصول إلى مضمون الخطاب [٣].

وتتعلق متضمنات القول برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب خفية وضمنية من قوانين الخطاب تحكمها سياقات الخطاب العامة، وهذا المتضمن (المضمر) منه ما هو مركوزٌ في ذهن المتكلم وموسومٌ بحامل له في الملفوظات، ومنه ما هو مدلول عليه بالاحتكام إلى مقام إنتاجه[٤]يستنتجه المتلقي بالتعويل على كفاءته اللغوية والتداولية ومعطيات السياق[٥]، وعلى أساس ذلك دأب معظم التداوليين على إدراج نمطين في متضمنات القول هما:الافتراض السابق، والأقوال المضمرة[٦]، ستجتهد الباحثة في تفصيلهما والتمثيل لهما في المقامات العثمانية.

أولًا: الافتراض السابق

يشكل الافتراض السابق* مجالًا من مجالات التداولية الذي يهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والمخاطَب أو ما ينبغي أن يكون معروفًا قبل إجراء الخطاب[٧]، وهو واحدٌ من أبرز المفاهيم التداولية التي يعول عليها التداوليون كثيرًا في عملية التواصل ونجاحه؛ ذلك أنّ المتكلم يقوم بتوجيه أفكاره وبثها

---

(١) ينظر:المضمر، ٤٩٧-٤٩٨.

(٢)ينظر: نفسه، ٥٣٤-٥٣٥.

(٣)ينظر: المحاورة مقاربة تداولية، ١٦٤.

(٤)ينظر:المضمر، ٢٩-٣٠ ، والتداولية عند العلماء العرب ٣٠، ٣١.

(٥) ينظر:الخطاب تمثيلٌ للعالم، ١١٦-١١٧.

(٦) ينظر:التداولية عند العلماء العرب،٣٠، ٣٢ ، والخطاب تمثيلٌ للعالم، ١٠٩، ولسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،حمو الحاج ذهبية ، ١٣٦.

*ويترجم بالمسبق خطأً؛ لأنّه غير مسبوق بشيء بل سابق على المذكور، فهو شيء يسبق التفوه بالكلام، ينظر: التداولية جورج يول، ٥١، وتحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ،٢٣٠.

(٧) ينظر: اللسانيات التداولية ،١٨٤ .

لسامعه على أساس إيمانه بامتلاك السامع معلومات تؤهله لفهم قصديته[١]، فلو قال المتكلم للسامع في مقام تواصلي معين: كيف حال زوجتك وأولادك؟ ففي الملفوظ افتراضٌ سابق مضمونه أنّ المخاطب متزوج وله أولاد،وأنّ هناك علاقة ما تربط بين المتخاطبَين تسمح بطرح هذا السؤال،ووجود هذه الافتراضات مهم لنجاح عملية التواصل، على العكس من ذلك فإنّ انتفاء وجودها يُنشىء سوء الفهم بين أطراف العملية التواصلية ومن ثمَّ الإخلال بعملية الاتصال[٢].

وتُعامل هذه الافتراضات على أساس أنّها من المسَلّمات العقلية والواقعية[٣]، فهي خلفية تواصلية يتضمنها القول في ذاته[٤]، وهذا ما أشارت إليه (اوريكيوني) حيث ذكرت أنّ الافتراض السابق، يمثل جملةً من المعلومات المدرجة بطريقة آلية في القول الذي يتضمنها؛ لأنّها حاضرة في الذاكرة الجماعية بالرغم من غيابها لسانياً عن النص يستنتجها المخاطب من معطيات السياق الذي قيلت فيه[٥]، فهي معلومات مدسوسة خفية تشكل عددًا من القضايا المقبولة والمتعارف عليها بين المتخاطبين[٦]، وتمثل جملة من التصورات والاعتقادات والتقويمات عن الذات والآخرين والأشياء والمعاني يشترك فيها المتكلم والمخاطَب وجمهور الناطقين[٧].

ويميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات السابقة، الأول: الافتراض المنطقي (الدلالي) الذي يكون مشروطًا بالصدق بين قضيتين ، فإذا كانت الأولى صادقة يجب أن تكون الثانية صادقة أيضًا[٨]، والثاني والثاني الافتراض التداولي الذي ينفرد بميزة عن العلاقات الاستدلالية الأخرى توصف بالاطراد عند النفي[٩]، فالقضية الأساس يمكن أن تنفى من دون أن يؤثر ذلك في الافتراض السابق، فلو تلفظ المتكلم بقولٍ من قبيل:باع زيدٌ سيارته،ثم قال: لم يبعْ زيدٌ سيارته، فبالرغم من تناقض القولين يكون الافتراض السابق وهو أنّ لزيد سيارة لا يزال قائماً في الحالين[١٠]، وهو ما أقرته اوريكيوني قائلةً:((توازي مكانة الافتراضات التداولية التواصلية بالنسبة إلى القيم الكلامية المنطوقة مكانة الافتراضات الدلالية بالنسبة إلى المحتويات الجميلية وهي تشاطر كل الخصائص التي تتحلى بها الافتراضات الدلالية إلاّ أنّها تنفرد

(١) ينظر: آفاق جديدة ،٢٦، والتداولية عند العلماء العرب ،٣٠-٣٢.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ،٣٠-٣١ .

(٣) ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ،٢٣٠.

(٤) ينظر: التداولية جورج يول ،٥١-٥٣.

(٥) ينظر: المضمر: ٤٨، و الشعرية،تزفيطان تودوروف، ٣٠.

(٦) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة ،٩٩ .

(٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ١٥٢.

(٨) ينظر: التداولية جورج يول، ٥٣، وآفاق جديدة، ٢٨-٢٩، ومحاضرات في فلسفة اللغة ،٥٥.

(٩) ينظر: التداولية جورج يول، ٥٣.

(١٠) ينظر: آفاق جديدة، ٢٨-٢٩، والخطاب تمثيلٌ للعالم، ١١٠.

بميزة أنّها قابلة للدحض، ويمكن التعليق عليها بشكل السني لغوي انعكاسي))[١]، فهذه الافتراضات تبقى تبقى محافظة على يقينيتها(صحتها) حتى وإن نفيت بخطاب مناقض لها، وبذلك فإنّ الافتراض السابق لا يتغير أو يلغى على عكس الاستلزام الحواري الذي يمكن تغييره أو إلغاؤه[٢]، وقد وردت في المقامات خطابات تخدم هذا المنحى التداولي من الافتراضات السابقة التي تكون المعرفة المشتركة فيها سببًا في طي الخطاب أو بعضًا منه فيترك تأويل هذا المطوي للمتلقي[٣]، ويمكن لمح مثل هذا الإخفاء المتعمد لبعض المعلومات في قول المتكلم في هذه المقامة مخاطبًا ذلك الغلام الذي أنكر معروف مولاه قائلًا له: **((أُفّ لَكَ يا عُقَق يا اِبْنِ شَارِبِ الْفَلَقِ ، أتَجْزِي جَزَاءَ سِنمار، وَلَا تَخَافُ مِنَ الْعَارِ))**[٤].

فالمتكلم وهو يسوق خطابه إلى المرسل إليه يفترض أنّهما يمتلكان معرفة مشتركة بـ(سِنمّار) هذا وقصته التي صارت مضربًا للمثل*؛ لذا فالمخاطَب عارفٌ ببعض المعلومات التي لم تُذكر في الخطاب مما يؤهله لفهم قصد المتكلم، وعليه فإنّ الافتراض السابق المتمخض عن هذا الخطاب هو الجزاء الذي ناله (سنمّار) ردًا على صنيعه، لكن ليس قصد المتكلم السؤال عن تلك الحادثة التي صارت مضربًا للمثل، بل يحمل الخطاب قصدًا تواصليًا وغرضًا تداوليًا هو الإشارة إلى أنّ المخاطَب ممن يقابل الإحسان بالنكران، والفضل والجميل بالجحود، وعليه فإنّ ((وجود هذه الفرضيات يعتبر ضرورة للتواصل،وبدونها لا يمكن أن يكون التواصل ممكنًا؛لأنّ انعدامها سيتوجب صياغة صريحة للمعلومات الخفية وراء الأقوال المنجزة))[٥]، وبما أن علاقة الافتراض تتسم بالاطراد عند النفي والإثبات، فإنّه حتى عند نفي هذا القول (ما تُجزى جزاء سنمّار) فإنّ الافتراض بوجود الجزاء الذي ناله هذا المذكور سيبقى ثابتاً(صحيحًا).

وشبيه بذلك ما رصده البحث في وصف الخفاجي في مقامته للقائه مع الملك (النضر بن كنانة)وما لاقاه من طلاوة حديثه وحسن ضيافته وعطائه ، فيقول:**((فَلَمّا ارْتَوى الحَدِيثُ من أعذبِ المَوارِدِ والمَصَادِرِ، ورَجَعَ الحِوارُ حارَّ النَّوادِرِ، بارِدَ البَوادِرِ، قَالَ: لا فَضَّ الله فَاكَ ، ولا أفَضَّ في مَهْدِ الهَنا مَثْوَاكَ ، فَقَدْ تَرَكْتَ بُنَيَّات الطَرِيقِ ، وَجَلَوْتَ خَرَائِدَ فِكْرِكَ في مَعْرِضٍ أنِيْق، وَلَمْ تَنْثُرْ دُرَرَ المَدَامِعِ إلاّ مِن دُرٍّ مُودَعٍ**

---

(١) المضمر، ٧١.

(٢) ينظر: آفاق جديدة، ٣٨-٣٩.

(٣) ينظر: الأفق التداولي ، ١٦٤.

(٤) مجمع البحرين،المقامة الساحلية ،١٦٦.

*سِنمّار: رجلٌ من الروم بنى للملك النعمان بن امرئ القيس قصره المعروف بالخورنق في ظهر الكوفة، فلمّا فَرغ منه ألقاه من أعلاه؛ لئلا يبني مثله لغيره فسقط ميتًا فضُرب المثل بجزائه ينظر: مجمع الأمثال،أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت٥١٨ه)، ١/١٥٩، وهامش مجمع البحرين، ١٦٦.

(٥) القاموس الموسوي للتداولية، ٢٤٩.

في صَدَفِ المَسَامِع، ومَا أَقْصَرَ الليلَ على الراقِدِ ، وأَهْوَنَ السُّقْمَ على العائدِ .وَقَدْ أَصَبْتَ دَارَ المُقَامة، فأَنْتَ جارُ أبي دُؤَاد بدَارِ الكَرَامَة)) [١].

بما إنّ المتكلم ينطلق من حقيقة أنّ مخاطَبه يملك نواة المعرفة، فذلك يقوده في كثير من الأحيان إلى أن يعدل عن التفصيل في القول مكتفيًا بكلامٍ مقتضب يحمل فائضًا من المعنى يُعول في فهمه على المخزون المعرفي لمخاطَبه، ففي قوله :(فأنت جار أبي دُؤاد) يفترض المتكلم أنّ المخاطَب مطلعٌ على سيرة أبي دُؤاد هذا في إكرام من يجاوره وبرّه[٢]؛ لذا اكتفى بهذا القدر من الكلام، والاقتصاد باللفظ دون التفصيل معتمدًا على معرفة مخاطَبه في الوصول إلى المعنى المكتنز في عبارته هذه التي تحمل وعدًا منه بالإكرام وحسن الجوار و الضيافة لمخاطَبه، ويتأتى للمخاطَب فهم هذا القصد المضمر من المخزون المعرفي مستعينًا بما عرف من سيرة أبي دُؤاد المشار إليه في الخطاب.

إنّ من شروط الافتراض السابق أن يكون المتحاورون مناسبين لإنجاز الفعل[٣]، ومن هذه الأفعال الأمر، الذي يشترط فيه أن يكون التكليف معلومًا للمكلف ، وكون المكلف قادر على فعل ما أُمر به أو الكفّ عنه، وأن يعرف المكلف أنّ ما أُمر به صادر ممن له حق التكليف، وهذه الشروط تسمى شروط صحة التكليف[٤]، وتتوفر هذه الشروط في هذا الخطاب الصادر من الملك لجنوده بعد أن جعل عليهم خليفةً وقد أمره بأوامر تخص معاملته الرعية، فيقول في هذه المقامة: **((وقَدْ أَمَرتَهُ أنْ يَكونَ لِنَاشِئكم أبًا، ولِكَهْلِكم أخًا، ولِذِيّ التَقْويس والكِبَر ابنًا))** [٥].

فالافتراض السابق يتمثل بالفعل الإنجازي الدال على الأمر، إذ يفترض قوله:(أمرته)أنّ المتكلم صاحب سلطة ومنزلة أعلى من المأمور، وإنّ المأمور يمتثل لأمره ويقع تحت سلطته، وهو قادر على فعل الأمر.

ومن الافتراضات السابقة التي تنبني على معلومات مشتركة بين المتخاطبين قول المتكلم في هذه المقامة التي ينتقد فيها ظلم القضاة وفسادهم في عصره فيصفهم بالقول :**((وقُضاةٍ بَلغ سَيْلُ الظُلْم بهم الزُّبى ، وشَرِقَتْ أفواهُ التِّلاع والرُّبى ، مِن كلِّ منقوصٍ لايظهرُ رفعهُ ،إذ رَقَّ دِينهُ وجَفا طَبْعُهُ، أحْولَ عَقْلُهُ**

---

(١) ريحانة الألبا، ٣٧٩/٢-٣٨٠.

(٢) هو أبي دُؤاد الأيادي الشاعر يُضرب به المثل في حسن الجوار ؛ إذ كان يبرّ من يجاوره ويكرمه ويخلف عليه إن هلك له شاة أو بعير أو عبد ، وإن مات وداهٌ ، ينظر:ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، ١٢٧/١، وريحانة الألبا ، هامش ٣٨٠/٢.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي،هشام عبد الله الخليفة ، ٣٨١.

(٤) ينظر: نفسه، ٣٧٩.

(٥) التحفة المرضية، ٢١٠.

يرى الواحدَ مع الرِشا اثنين،ويبيع دِينَهُ نَسِيئةً بالدَّين، وَيستَفتي فِرعَون في قِسمةِ الأَحياء قَبْلَ الأموات))[١].

فالافتراض السابق في هذا النص ينبني على معلومات مشتركة بين المتكلم والمتلقي تضمها عبارة (يستفتي فرعون في قسمة الأحياء قبل الأموات)التي تفترض سابقًا أنّ القاضي كان يمارس ظلمًا ضد الرعية، وهذا المعنى لم يُصرح به في القول، بل يُفهم من الذخيرة المعرفية التي يمتلكها المتخاطبون عن شخصية فرعون وما عرف به من الظلم والاستبداد، وبموجب ذلك تكون الطاقة الاختزالية ممكنة بقدر ما يكون السامع مستطلعًا مضمونها الخبري؛ لأنّ للغة طاقة استيعابية تسمح بنشوء قانون للتناسب العكسي بين التصريح بالكلام ، وعلم السامع بمضمون الرسالة [٢] .

إنّ المتكلم -من وجهة النظر التداولية- لا يذكر في كلامه إلّا ما كان يعلم أنّ مخاطَبه يحتاج إلى معرفته معتمدًا في ذلك على قدرة متلقي الخطاب على استحضار المحذوف المطوي من الخطاب لوضوحه أو لشهرته، فتكون عناية المرسِل للخطاب على حسب حال السامع ومعرفته بالمعهود[٣]، ومما استحضر فيه المتكلم المعهود فطوى من الكلام ما وجد نفسه في غنى عن التعبير عنه قوله في هذه المقامة شعرًا[٤]:

وَقُلْ لابنِ هِنْدٍ من لِسانٍ مُهنَّـــدٍ أ آكـــلةُ الأَكْبادِ أغْرتْكَ بالوَتْـرِ
ورَيْحانةُ الزَّهْراءِ قَدْ فَاح عَرْفُها وهَبّـَت بها النّفحات طيّبةَ النَّشرِ

يقابل المتكلم في ملفوظه هذا بين بذرتين، البذرة الزكية الطيبة المتمثلة بفاطمة الزهراء "ع"، والبذرة الخبيثة المتمثلة بهند بنت عتبة والتي ينعتها بـ(آكلة الأكباد) تذكيرًا بتلك الحادثة الشهيرة حين لاكت كبد الحمزة "ع" بعد انتهاء معركة أحد، حيث بقرت بطنه وأخرجت كبده وبادرت بمضغه ، فاشتهرت على إثرها بهذا اللقب[٥]، وتحمل هذه العبارة (أكلة الأكباد)افتراضًا سابقًا يستحضر المتكلم فيه سبب هذا النعت الذي طوى ذكره في الملفوظ ؛لأنّه معلومٌ عند المتلقي من قبل، مُسلمًا به ؛ ليؤدي التفاهم، والتواصل بين طرفي الخطاب فهو يُعد اللحمة التي ينسجم بها الخطاب[٦]، ويُتوصل إليه بالركون إلى المعرفة التاريخية لهذه الحادثة التي على إثرها اشتهرت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بهذه الصفة ؛ مما يُسهم بفيض من التوقعات تُسعف المتلقي والتي تسبق عملية التلفظ، إذاً فالافتراض السابق أسهمفي

(١) ريحانة الألبا ، المقامة الساسانية، ٣٩٣/٢.
(٢) ينظر:الأفق التداولي ، ١٦٦.
(٣) ينظر:الأفق التداولي، ١٦٥.
(٤) ريحانة الألبا ، المقامة الساسانية، ٣٧٩/٢.
(٥) ينظر:تاريخ الطبري،محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ٥٢٤/٢. .
(٦) ينظر:مبادىء التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين،د.محمود طلحة، ١١٨.

إيصال الرسالة التبليغية التي تجاوزت وصف التاريخ أو تسجيل أحداث ماضية إلى إيقاظ الإحساس بدناءة هذا النسل ووحشيته وتاريخه الملطخ بدماء آل الرسول، متفاديًا التكرار والحشو أثناء الكلام، مكتفيًا بالتضمين وتاركًا للمخاطَب القدرة على الاستنتاج لفهم المقصود مع افتراضه أنّ المخاطَب قادرٌ على استنتاج هذا المعنى الملوّح به ؛ لأنّهما –أيّ المتكلم والمخاطَب- ينطلقان في كلّ تواصل لساني من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل الخلفية التواصلية الضرورية لنجاح عملية التواصل[١] .

ويرتبط الافتراض السابق بجملةٍ من الكلمات والعبارات والبنى التي عُدت مؤشرات لافتراضاتٍ سابقة كامنة عند وجودها في سياقات مع متكلمين، وقد صنفها جورج يول إلى أنواع متعددة هي[٢]:

١- الافتراض السابق الوجودي:

((تفترض العبارات المعرفة وجود الغرض الذي تشير إليه سواء أكان ذلك في العالم الحقيقي أو الخيالي الذي يقدمه الخطاب أو يبينه))[٣]، مثل: أرجوك أن تتجاوز عن الخطأ الذي وقع مني أمس، فأداة التعريف في لفظ (الخطأ) يتضمن افتراضًا سابقًا بوجود خطأ محدد قد وقع، وإنّ كلًا من المتكلم والمخاطب على علمٍ بطبيعته[٤]، ويرد مثال ذلك في هذه المقامة في قوله: **((قُلتُ: حَيّا الله الشَيْخَ، فَمَنْ أنتَ؟ ومِمِنْ؟ قال: أنا المُبَارِكُ بن رَيْحَان، مِن بُطُونِ قَحْطَان، وإنّي لأَرَى الفَتَاةَ قَدْ شَغَفَتْكَ حُبًّا، وخَلَبَتْ مِنْكَ لُبًّا فإنْ كُنْتَ تَمْلِك النَقدين، فابْذِلْ اللُّجين، واغْتَنِمْ قُرَّة العَين))**[٥].

يَرد هذا المشهد الحواري بين الشيخ وذلك الرجل المفتتن بابنته، المتلوع للزواج بها، وذكر (الفتاة) معرفة بـ(ال) العهد -التي تشير إلى أنّ هناك عهدٌ متبادل بين المتخاطبين عن هذه الفتاة -يوحي بافتراض سابقٍ أنّ ثمة فتاةٍ معهودة عند المخَاطَب والمتكلم، بما أشارت به (ال) إلى معلومات سابقة مختزلة متفق عليها[٦] تقع في قبال (الافتراض السابق)في عُرف التداوليين، إذ تكون معهودة بين أطراف العملية التواصلية على العكس من التنكير، وهي أشبه ما تكون بالعقد بينهم،وقد أكدَّ ذلك سيبويه حينما قرر أنّ المراد بـ(الألف واللام) الشيء بعينه معروفًا دون سائر أمته[٧]؛ وبذلك تقرر أنّ الافتراض السابق في الحوار السابق هو وجود فتاة معهودة ومعروفة عند الطرفين ينصرف الفكر إليها ما إن يُنطق بها آخذًا

(١) ينظر:التداولية عند العلماء العرب، ٣٠-٣١.

(٢) ينظر: التداولية، جورج يول، ٥٤-٥٨.

(٣) المضمر، ٧٣.

(٤) ينظر: آفاق جديدة ،٣١.

(٥) مجمع البحرين،المقامة الهزلية ،٨٣.

(٦) ينظر: النحو المصفى،محمد عيد، دار نشر الثقافة ، ١٩٧٥م ، ١٨٧.

(٧) ينظر: كتاب سيبويه، ٥/٢.

بالتصور افتراض علم المخاطَب بها ، وهذا متأتٍ مما أضفته (ال العهدية) من استعمال يراد به الإحالة إلى ما سبق تداوله بين طرفي الخطاب وأصبح جزءًا من المعرفة المشتركة بينهما[١]، من دون ذكر لفظي سابق له في عملية التخاطب بل يتوصل إليه عن طريق معرفة سابقة، إذ يرسل المتكلم إشارات يحفز بها ذهن المخاطَب لتذكيره بعهدٍ سابق مرتبط بذلك الاسم المقترن بتلك العلامة، وهذا يعني أنّ المتكلم عندما يبلغ المتلقي خطابًا ما فإنّه يقوم بتوظيف اللغة على وفق أسلوب معين بناءً على قدرة المتلقي في استيعاب المعنى المقصود من ذلك الخطاب[٢]؛ لذا أُطلق على هذا النوع من الافتراضات أيضًا الافتراضات السابقة للمناسبة اللغوية[٣]، فالكفاية اللغوية ترى أن يكون المخاطَب عالمًا باختصاص باختصاص اللفظ بما جرى عليه في التركيب النصي،والكفاية التداولية ترى علم المخاطَب السابق للفتاة ومعرفته بها، وهاتان الكفايتان لا تخرجان عن مفهوم الافتراض السابق الذي يُبلور نتيجة الخلفية المعرفية[٤]، وهذا الافتراض يتميز بميزة عدم التأثر بالنفي ، فمن خلال تتبع ما يلي نصل إلى الافتراض الافتراض السابق:

-الفتاة (ما) شغفتك حبًّا.

-الافتراض السابق: وجود فتاة معهودة ومعروفة عند الطرفين سيظل قائمًا مع النفي.

ويظهر الافتراض السابق الوجودي أيضًا في ألفاظ مخصوصة دالة على أفراد خارجية كأسماء العلم ، التي تفترض عند استعمالها أن يُلتزم بوجود الكيانات المسماة[٥]، ويمكن لمح هذا النوع من الافتراض في قول المتكلم محدثًا رفيقه عن ابنته:**((إنّ لَيلى قَدْ فَصلَتْ عَنْ مَجْلِسِنَا المَعهُود، ولَنَا مَوعِدٌ انْتَظِرَهَا بِهِ أنْ تَعُود))** [٦].

بحسب سياق النص فإنّ المتكلم والمخاطَب على معرفة سابقة، وتربطهما علاقة وطيدة، وكيف لا؟! والمخاطَب راوية المتكلم وشاهده وجليسه في مشاهده كلّها؛ لذا فخطاب المتكلم معه قائمٌ على اشتراكات بينهما، هذه الاشتراكات تُعد ضرورة لإقامة التواصل، فيوجه إليه الكلام على أساس مما يُفترض سلفًا أنّه معلومٌ عنده[٧]، فقوله:(إنّ ليلى قد فَصَلَتْ عن مَجلسنا المعهود) يخبر فضلًاعن المنطوق الصريح بوجود فرد اسمه(ليلى)يلتزم المتكلم بوجوده ويُقرّ المخاطَب أيضًا بوجوده سابقًا في الواقع ، وبذلك فإنّ

(١) ينظر: النحو المصفى، ٨٧، واستراتيجيات الخطاب ،٥٢.

(٢) ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل،محمود أحمد نحلة ، ٨٢.

(٣) ينظر:الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديث أنموذجًا، ١٩٧. .

(٤) ينظر:التداولية، جورج يول،١٣٠.

(٥) ينظر: المضمر، ٧٣، والتداولية جورج يول، ٥٤، ومحاضرات في فلسفة اللغة ،٤٧.

(٦) مجمع البحرين، المقامة البغدادية،٤٩.

(٧) ينظر: آفاق جديدة، ٢٦.

قوله هذا يحمل افتراضًا سابقًا بأنّ اسم (ليلى) يشير إلى مسمى متحقق بالفعل، وإنّ نفي القضية أو إثباتها لا يؤثر في صدق هذا الافتراض بوجود مسمى ما موجود بالفعل[١].

٢- الافتراض السابق الواقعي:

يرتبط الافتراض الواقعي بالصدق، بمعنى أنّه يفترض سابقًا صحة المعلومة التي تُذكر بعده[٢]؛ لأنّه يحتوي على افتراضات سابقة واقعية، فالقول: لم أدرك أنّه كان مريضًا، يحمل افتراضًا سابقًا واقعيًا أنّه كان مريضًا[٣]،وتعمل هذه الافتراضات على التواصل بين المتخاطبين بما يملكانه من مخزون معرفي/ذهني يشمل كلّ ما يعرفه كلاهما عن عالم الواقع وعن عوالم ممكنة أخرى[٤]، ويرتبط الافتراض السابق الواقعي بألفاظ وعبارات تحتوي افتراضات سابقة واقعية تدل عليه من قبيل الأفعال الواقعية: يدري، يعلم ، يدرك ، يعرف، يرى...يمكن معاملة المعلومات الافتراضية التي تليها على أنّها معلومات حقيقية[٥]، وقد جاء هذا النوع من الافتراض في قول الخفاجي في هذا النص من مقامته الذي يقول فيه :**((أما ترى عَمْرًا لَمّا بَارزَ عليّا وَجَدّلتْه شَعُوب ، كَشَفَ سَوْءتَه ، ولَبِسَ عارًا شَقَّ عَليه الجيُوب))**[٦].

أراد المتكلم بيان كيف أنّ الخوف والجبن يكونان سببًا في إحاطة العار والذلّ بصاحبه، فيكشف لنا خطابه افتراضًا سابقًا واقعيًا يقع في قوله: (عَمْرًا لمّا بارز عليًّا ...)، فهذا الملفوظ كان في الواقع عبارة عن معلومات وحقائق سردها المتكلم، والسياق الخارجي يكشف لنا هذه المعلومات باسترجاع تلك الحادثة التاريخية المعروفة التي ذكرت لنا أنّ الإمام علي (ع) وعمرو بن العاص حين تبارزا رمى الأخير بنفسه عن فرسه كاشفًا عورته ليصرف بذلك الفعل عليًّا(ع) عن قتله[٧]، فهذه المعلومة التي عرضها المتكلم في خطابه هي مما يعرف سابقًا؛ لأنّها من القضايا التي تعتمد في صحتها وصدقها على حصولها في الواقع، وتشهد على صحتها الشواهد التاريخية، وبناءً على ذلك يمكن القول إنّ المحتويات التي تصاغ على شكل افتراضات ينبغي أن تتطابق مع حقائق معروفة في السابق ومقبولة من المرسَل

(١) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة ،٤٨.

(٢) ينظر:التداولية ، جورج يول،٥٥.

(٣) ينظر:نفسه، ٥٤.

(٤) ينظر:التداولية عند العلماء العرب ،٣١.

(٥) ينظر: التداولية ، جورج يول،٥٥، ونظرية الفعل الكلامي، ٢٠٧.

(٦) ريحانة الألبا، ٣٧٦/٢.

(٧) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، ١/ ١٦٥، وعمرو بن العاص، ١٦٧.

إليه باستنادها-مثلًا- إلى معرفته الموسوعية أو أن تتلاءم مع بديهيات يفترض أن يتقاسمها الأشخاص المنتمين إلى الجماعة المتكلمة بعامتهم ، ويفترض أنّهم يعرفونها حق المعرفة أو أنّهم يسلمون بها[١] .

ومنه أيضًا قول المتكلم واعظًا في هذه المقامة:**((قد عَلِمْتَ أَيُّها الشَيْخ أنّ المَالَ زِيْنَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا،وعَلَيهِ نَمُوتُ ونَحْيَا ،فإنّه يَقْضي لُبَانةَ الأوْلى بالمَسَرّة ،ويُسَهّلُ طَرِيْق الأُخْرى بالمَبَرّة))** [٢].

يضم خطاب المتكلم افتراضًا سابقًا واقعيًا في عبارة(المالُ زينة الحياة الدنيا) هو أنّ للحياة الدنيا زخارف وزينة وتعلقات مادية تجذب الناس نحوها،وهذا الافتراض افتراضٌ حقيقي واقعي مدرك استمده المتكلم من ثقافته الدينية المقتبسة من القرآن الكريم* الذي أشار لهذه الحقيقة في عدة آياتٍ،وحقيقته متأتية من صدق القائل وهو الله جل وعلا،وبمّا أنّ المال واحدٌ من هذه الزخارف والتعلقات المادية فإنّ المتكلم يحث على السعي لتحصيله مبررًا لذلك بأنّ للمال جمالٌ ونفعٌ،أمّا في الحياة الدنيا فبقضاء حاجاتها بالتنعم،وإمّا في الآخرة فبإنفاقه في البرّ ووجوه الخير فيقي صاحبه نارًاقد يصلاها؛ولمّا كان الافتراض –كما يرى ديكرو- هو((العنصر الدلالي الخاص بالقول أو التحويلة إلى استفهام :هل"أ"؟،أو إلى نفي :لا "أ"))(٣)؛لذا يتوصل إليه في الملفوظ الآنف من خلال تتبع الآتي:

-هل المال زينة الحياة الدنيا؟

-(ليس) المال زينة الحياة الدنيا.

فنحصل على شيء مضمر تشترك فيه الأقوال الثلاثة –الإثبات والنفي والاستفهام- هو إنّ:للحياة الدنيا زخارف وزينة تجذب الناس إليها.

٣- الافتراض السابق المناقض للواقع:

هو على العكس تمامًا من الافتراض السابق الواقعي، فالذي يُفترض سابقًا غير متحقق في الواقع ، يعني أنّ الذي يُفترض سابقًا ليس غير صحيح فحسب، وإنّما هو عكس ما هو صحيح أو(مناقض للحقيقة)[٤]،فقولنا:(إذا حصل شيء) ففي الواقع هو لم يحصل ،فهذا غير صحيح ومناقض للواقع ،فهذه

---

(١) ينظر:المضمر،٢٨٥-٢٨٦.

(٢)مجمع البحرين،المقامة الجدلية، ٢٣٢. .

*من هذه الآيات قوله تعالى:((المال والبنون زينة الحياة الدنيا)).الكهف/٤٦،((إنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر)).الحديد/٢٠.

(٣) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،١١٢.

(٤) ينظر: التداولية جورج يول، ٥٧.

العبارة غير صحيحة أثناء قولها من المتكلم ،لكن يفترض سابقًا أنّ السامع والمتكلم على معرفة مسبقة بعدم صحتها ،وهذا ما وجدته الباحثة في قول المتكلم في هذه المقامة شعرًا[١]:

إذا ما مَسَّني ضَنَكٌ ، فَعِنْدي جُوارِشُ حِيْلَةٍ وشَرابُ مكرٍ

فالمتكلم يتعرض لتوقعٍ سابقٍ أنّه قد يصيبه ضيق أو يقع في مأزق ما بالرغم من أنّ هذا التوقع لم يحدث في الواقع بعد، فذكرّ أنّه مستعد لمثل هذا المأزق حال حدوثه،فقد توقع حصول هذا الضنك الذي لم يحصل بعد وقرر مواجهته ، ومن ثمّ فإنّ افتراضه هذا غير متحقق في الواقع فهو يناقض الحقيقة.

ويخلق التركيب الشرطي الذي يُسمى عادةً (الشرط المناقض للواقع) افتراضًا سابقًا أنّ المعلومة في العبارة الشرطية ليست صحيحة وقت الكلام، فالقول: لو كنت صديقي لساعدتني تحمل افتراضًا سابقًا هو:(لست صديقي)[٢]، ومما وجدته الباحثة تمثلًا لذلك، قول المتكلم في هذه المقامة: **((لَو قَدِرْتُ أنْ أَدْفَعَ المَوْتَ لبَقِيْتُ إلى الأَبَد، وَلَو شَفَى الطَبِيبُ كُلَّ مَرِيْضٍ لَمْ يَمِتْ أَحَد))[٣].**

اشتمل ملفوظ المتكلم على تركيب شرطي وقت التلفظ بالخطاب تكرر مرتين وهو قوله: (لو قدرت أن أدفع الموت)، الذي يحمل افتراضًا سابقًا هو: انتفاء قدرة المتكلم على دفع الموت عن نفسه، فلو كان قادرًا على ذلك لأمكنه الخلود، لكن ذلك لم يتحقق في الواقع ، فما يتحدث عنه غير موجود في الحقيقة، وأيضاً قوله:(لو شفى الطبيب كلّ مريض...) فالمتكلم يذكر هذا الاحتمال المناقض للواقع وهذا يدعو إلى افتراض سابق مفاده: انتفاء قدرة الطبيب على شفاء كلّ المرضى، إذ ما كان سيقع يدل على أنّه لم يقع،فكلّ من سمع (لو فعل) سيفهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ؛ لأنّ (لو) تستعمل في فرض المحالات لامتناع جزائها[٤]، ومن ثَمّ امتناع إمكانية وقوع الفعل، فعندما توضع في سياق لغوي فأنّها تستثمر أشياء غير محققة واقعًا، فاتضح جليًا أنّ المعلومة في العبارة الشرطية نقيض الواقع ، إذ لم يقدر أحد على ردّ الموت،ولمْ يشفِ الطبيب كلّ مريضٍ،فالمتكلم يذكر هذا الاحتمال الذي لا صلة له بالحقيقة بالرغم من عدم تحققه في الواقع،إذ ليس ثمة خلود أو بقاء لأحدٍ في هذه الدنيا ؛ ليذكر القوم به على سبيل الوعظ والإرشاد، ويتوصل إلى استجلاء هذا الافتراض عن طريق المعرفة المسبقة بخصائص العالم المحيط بطرفي الخطاب[٥]، ومن هذه المعرفة المسبقة يُفهم أنّ شرط الأداة (لو) ممتنع الجزاء، أيّ أنّ

---

(١) مجمع البحرين،المقامة الطبية،١٨٥، وجوارِش :وهو من جَرش، أي حكّ الشيء الخشن بمثله ودلكه، ينظر:لسان العرب٦/٢٧٢(جَرش).

(٢) ينظر: التداولية ،جورج يول، ٥٧.

(٣) مجمع البحرين،المقامة الشامية، ٢٩.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية ،٤/٤٥١، و الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ)، ١٢٥-١٢٦، وآفاق جديدة ،١٣١.

(٥) ينظر:استراتيجيات الخطاب، ٣٢٣. .

امتناع الثاني دلّ على امتناع الأول؛لأنّها موضوعة ليكون جزاؤها مقدر الوجود في الماضي والمقدر الوجود في الماضي يكون ممتنعًا فيه، فيمتنع الشرط (الملزوم) لامتناع الجزاء(لازمه)؛ لأنّ الملزوم ينتفي بانتفاء لازمه [١] .

٤- الافتراض السابق البنيوي:

في هذا النوع تحلل بعض الجمل عرفيًا وبانتظام على أنّها تفترض سابقًا ذلك الجزء من البنية الذي افترضت صحته، إذ بإمكان المتكلم استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنّها مفترضة سابقًا (أيّ صحيحة) فيقبلها السامع على أنّها صحيحة، مثل بنية الجملة الاستفهامية: متى انصرف؟ فنوع الافتراض السابق يقود السامع إلى الاعتقاد أنّ المعلومة الموجودة صحيحة بالضرورة؛ لانّ الافتراض السابق:(انصرف) يلازم السؤال (متى انصرف)[٢]، جاء مثل هذا النوع من الافتراض السابق في هذا المشهد الحواري بين سهيلٍ والخزامي في واحدة من مقامات اليازجي:**((قَالَ: الله أَكْبَر، قَدْ هَانَ عَلَيَّ المَوْتُ الأَحْمَر،قُلتُ: نَفْسِي فِداءُ نَفْسِكَ،فَكَيفَ أَمْرُ حَبْسِكَ؟ قَالَ: أُخِذْتُ مِن أَرْضِ الجَزِيرِة على غَيْرِ جَرِيْرة،والله أَعْلَمُ بالسَرِيرة))[٣].**

تفترض بنية الاستفهام:(كيف أمْرُ حَبسِك؟) معلومة سابقة عند المتكلم هي تعرض المخاطَب للحبس، وهذا ما جعله يتساءل عن سبب الحبس ،فيفترض سابقًا أنّ المخاطَب قد حُبس وهذا أمرٌ مفروغٌ منه، ومعلومة الحبس قدمها المتكلم بوصفها معلومة صحيحة ومعتقدة لديه، يقبلها المخاطَب على أنّها صحيحة؛لأنّ بنية السؤال تجعل المخاطَب يتأكد من وجود الشيء وتحققه في الواقع ، بمعنى آخر السامع مجبر على تصديق هذا القول؛ لأنّ الشكل الذي جاء عليه التساؤل يفرض ذلك، وهي طريقة بارعة في جعل المعلومة التي يعتقدها المتكلم هي نفسها التي يتوجب على السامع تصديقها[٤].

٥- الافتراض السابق المعجمي:

يؤخذ في هذا النوع من الافتراض استعمال المتكلم لتعبير معين على أنّه يفترض سابقًا مفهومًا آخر غير مذكور، فيفسر استعمال صيغة بمعناها المؤكد عادة بالافتراض السابق ((أنّ معنى آخر غير مؤكد قد تم فهمه، فكلما ذَكرتَ أنّ شخصًا (تمكن) من انجاز شيء ما يكون المعنى المؤكد أنّ ذلك الشخص نجح بطريقة ما، وعند قولك أنّ شخصًا (لم يتمكن) من انجاز شيء ما يكون المعنى المؤكد أنّ ذلك الشخص

(١) ينظر:شرح الرضي على الكافية، ٤٥١/٤ .

(٢) ينظر: التداولية،جورج يول، ٥٦-٥٧.

(٣) مجمع البحرين،المقامة التغلبية ،٧٣.

(٤) ينظر: التداولية جورج يول، ٥٦.

لم ينجح، ولكن في كلتا الحالتين هناك الافتراض المسبق (غير المؤكد) أنّ ذلك الشخص (حاول) القيام بذلك الشيء، فتُفسير (تمكن) عادة على أنّها تؤكد (نجح) وتفترض مسبقًا حاول))[١].

ومثاله قول المتكلم في هذه المقامة: **((ها أنا قَدْ اعتَمْدتُ الأَوْبة، واعْتصَمْتُ بالتَوْبَة، .... إنّي قَدْ تَجَرَدْتُ عَنْ عَرَضِ الدنيا إلى الغَايَة القُصْيا))[٢].**

فبما إنّ المتكلم أعتمد الأوبة، واعتصم التوبة، وتجرد عن عرض الدنيا ، فيقتضي ذلك أنّه قبل هذا لم يكن من الزاهدين، وإنّه كان يخوض في الباطل وما يبغي به متاع الدنيا، بما تحمله هذه العبارات من معانٍ معجمية تدل على تحول المتكلم من حال الفسق والذنوب إلى حال التوبة والزهد*، فالافتراض السابق هو تراجع المتكلم عن أفعاله الباطلة وتوبته عن ذنوبه، فصار الأمر مؤكداً في ذهن المتكلم الذي استغل الأفعال الماضية المنجزة في عباراته ليجعله مؤكدًا في ذهن السامع أيضًا، وحتى عند نفي هذه العبارات سيظل الافتراض قائمًا على النحو الآتي:

-(ما) اعتمدت الأوبة.

-(ما) اعتصمت بالتوبة.

-(ما) تجردتُ عن عَرض الدنيا.

-الافتراض السابق: أنّ المتكلم كان ممن يخوض بالباطل وبملذات الحياة.

ومنه أيضًا قول المتكلم شعرًا[٣]:

أتَلفْتُ مَالِي في النَّدى لا في الصبابةِ والمدُامَة

يتضمن خطاب المتكلم بتوظيفه الفعل (أتلفتُ) افتراض سابق معجمي: أنّه كان له مالٌ، قد أتلفه بالكرم وقضاء حاجات الناس، وهو المعنى المباشر من سياق خطابه التواصلي،أمّا المعنى القصدي أو التداولي فيُفهم منه أنّ المتكلم رجلٌ كريم، ويمكن استنتاج الافتراض السابق كالآتي:

-أتلفتُ مالي.

-(ما)أتلفتُ مالي.

-الافتراض السابق: للمتكلم مالٌ.

ثانيًا : الأقوال المضمرة:

---

(١) التداولية جورج يول، ٥٥.

(٢) مجمع البحرين، المقامة القدسية، ٣٢٢.

التوبة :الرجوع عن الذنب، ينظر:لسان العرب،١/٢٢٣(توب)، والأوبة:الرجوع كالتوبة ، ينظر:لسان العرب،١/٢١٩(أوب).*

(٣) مجمع البحرين، المقامة البصرية، ١٢٤.

قد يوارب المتكلم في كلامه فلا يقصد ما يقوله حرفيًا، بل يتجه إلى ركوب مطية التعبير الضمني عامدًا؛لأنّ ثمة حالاتٍ تكون فيها الصراحة غير مرحبٍ بها، بسبب وجود قيودٍ تفرضها العلاقات الإنسانية والاجتماعية أحيانًا على عملية التواصل،ومراعاة هذه القيود يجعل بعض الأمور صعبة القول أو مستحيلة تقريبًا[١]، أولأسبابتتعلق باعتباراتٍ فنية عبرت عنها اريكيوني بـ(الحاذقة)[٢]،كون الخطابات الخطابات المضمرة تحمل سحرًا ولذةً يفوق ما تضفيه الوقائع المباشرة[٣]؛ لأنّها تفرض نوعًا من التشويق التأويلي[٤]، فهذه الوقائع تجعل المتلقي أمام خطابٍ لا يقف عند حدود معناه الشكلي بل يكتنز قولًا مضمرًا ينتظر تأمله الدقيق واستنباطه كي يبصر النور، وعليه تكون الأقوال المضمرة((محتويات ضمنية تداولية، أيّ استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفظ المشارك بفضل استدلال عفوي إن قليلًا أو كثيرًا ، يعتمد على مبادىء –قوانين الخطاب- تحكم النشاط الخطابي))[٥]، وقد مثّل التداوليون لذلك بقول القائل: إنّ السماء ممطرة ، فقد لا يقصد القول حرفيًا بل من الممكن أنّه يرمي من ورائه قولًا ما من قبيل المكوث في البيت، أو الإسراع إلى العمل، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج ، أو...، فقائمة التأويلات التي يمكن استنباطها مفتوحة مع تعدد السياقات التي ينجز فيها الخطاب[٦]، وهذه التأويلات التي فهمها السامع أوصلها المتكلم من غير أن يُصرح بها في ملفوظه، وعليه يظهر أنّ القول المضمر هو استبدال بقيمة الصفر خطيًا لا ذهنيًا[٧]، فهو لا يظهر على سطح التعبير اللغوي المنطوق بل يكون مدسوسًا خفيةً وراء إيحاء العبارة ومقاصد المتكلم ، واكتشاف قيمته المضمرة من مهمة المتلقي الذي سيكون نصًا جديدًا غير النص الظاهر من دون أن يتقاطع معه، وذلك في ضوء توفر المعلومات السياقية، وامتلاكه الكفاءة الألسنية والتداولية[٨].

ومن صور الإضمار التي تضمنتها المدونة الإجرائية –محل الدراسة- ما رصدته الباحثة في هذه المقامة:**((قال سُهَيْلُ بنْ عبّاد: شَخِصْتُ مِنْ حَلَبَ الشَهْبَاء ، إلى المَوصِلَ الحَدْبَاء، حَتَى إذا دَخَلْتُها أَتَيتُ الخَان ، وإذا شَيْخُنَا الخِزامِيُ في حُجْرَةٍ على الخِوان، .....، ثُمَّ جَلَسْنَا نَتَناولُ ما طَهَتْ ليلى من الألوانِ،وهي تَخْتَلِفُ إلينا باللحُومِ والألبَان،.....وكانَ في الحَضْرَةِ فَتىً مِن رَكْبِ القَيْرَوان،عَلَيهِ مُطْرَفٌ**

([١]) ينظر:المضمر،٤٥٩، والتداولية واستراتيجية التواصل ،ذهبية حمو الحاج ، ٢٣١.

([٢]) ينظر:المضمر،٥٠٨.

([٣]) ينظر:نفسه ،٤٩٧.

([٤]) ينظر: نفسه،١٠.

([٥]) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ١١٩.

([٦]) ينظر:التداولية عند العلماء العرب، ٣، والخطاب تمثيلٌ للعالم، ١١٥.

([٧]) ينظر:المضمر، ٢١– ٢٢ ، والمضمر في القصص القرآني، مثال من رحلة موسى "ع"مع العبد الصالح ،صاحب أبو جناح، ٤٩

([٨]) ينظر:المضمر،٢٣.

من الأُرْجُوان، فعَلِقَ الجَارِية وافتَتَنَ بِها، لِمَا رأَى مِنْ ظَرْفِها وأدَبِها، فَقَال:لَيْسَ في المَوصلَ ، إنْ شَاءَ الله إلا صِلَةُ الحَبْلِ، واجتِمَاع الشَمْل، فَقَالتْ: إذا اجتَمَعَ الرَجُلُ بأَهْلِه ، فسيُغنيهِ الله من فَضلهِ))[1].

ينطوي قول الفتى في الملفوظ السابق:(ليس في الموصل إلّا صلة الحبل، واجتماع الشمل)على قول مضمر، وبالرغم من أنّ هذا القول قد يولد عند السامع عدة تأويلاتٍ كلّها جائزة وممكنة، إذ قد يكون القصد من قول الفتى: إنّ الموصل هو مكان محطّ سفره، أو تفاؤله باسم الموصل كمكان للوصل بمن فارق، أو إنّه مكان لاجتماعه بأهله بعد غياب السفر، غير أنّ التأويل المناسب يحدده سياق هذا الملفوظ، فالفتى قد تعلق قلبه بالفتاة وافتتن بها وكان يضمر في نفسه رغبة الزواج منها، بيد أنّه لم يصرح بهذه الرغبة في قولٍ بينٍ ، بل جنح إلى المواربة لإيصال هذا القصد؛لأنّه أراد المحافظة على قيمته الاجتماعية أمام المخاطَب، فتمسك بإظهار الوجه الجالب حين أراد التعبير عن رغبته للفتاة بالزواج منها، إذ من الممكن أن تعترض على ذلك وتمتنع، ومن ثَمّ يجابه طلبه بالرفض؛لذا فهويتدارك ذلك باستعمال التلميح الذي يخفف من حدة الأفعال المهددة ويترك هامشًا من الحرية للمتكلم والمتلقي من خلال توجيه المتلقي نحو هذا التأويل أو ذاك من دون أن يترتب على المتكلم مسؤولية هذا التأويل[2]، ناهيك عن أنّ الحشمة تأبى عليه إطلاق العنان للتعبير عن رغبته تلك بشكل بين، وهو ما وسمته اوريكيوني ب(قانون الحشمة)[3]؛ ولأجل مراعاة هذا القانون نفسه انتخبت الفتاة أيضًا للتعبير عن الموافقة ملفوظًا حمل مضمرًا وذلك في قولها:(إذا اجتمع الرجل بأهله ، فسيغنيه الله من فضله)، فهذا الملفوظ يحمل مضمرًا هو:إنّي أوافق ،لا بل أشجعك على هذا الأمر أيضًا.

ومن الأقوال المضمرة أيضًا ما جاء في هذه المقامة التي يبدي فيها أحد الحاضرين إعجابه بذلك الشيخ وبتفوقه الأدبي وبراعته اللغوية لغرائب اللغة وشواردها وذلك في أحد نوادي العرب وجلساتها الجماعية التي يُذاكر فيها الشعر والعلم، فيدور بينهما هذا الحوار:**((قال:لله دَرُّكَ! لَقَدْ جَمَعْتَ فأوعَيت، وَقَدَحْتَ فأوْرَيْتَ،فإنْ شِئتَ فَسَلْ، قَالَ :أجَلْ، ولكن خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلْ، فإنْ أبطأتَ في الجَواب فَلِي عَليكَ ناقةٌ حَمْراء،وعلى قَومِكَ فَرَسٌ غَرَّاء ، قَالَ: هَاتْ ، وبالله التَوفيق، إلى سِواء الطَريق، فقال:ما هي بُرَق العَرب المَذكورة،ودَاراتها المَشْهُورة؟ فضاقَ الرَجلُ ذَرْعًا في الجَواب، وقَال:اللهم اهدِنا صِرَاط الحقّ والصَواب، ثمَّ قَالَ: قَدْ وَجِبَتْ راحلةُ الشيخِ عَلينا، لِيَسْهُلَ وَفْدهُ إلينا، فَقَالَ الشيخُ:قَدْ عَلِمْتُمْ يَا قَوم أنّ الخَيرَ مَعْقودٌ بنواصي الخَيل ، وهي التي يَنجو بها الوَافدُ مِن جَوانحِ النَهار، وطَوارق الليل))** [4].

([1]) مجمع البحرين، المقامة الموصلية ،١٤٢-١٤٣ .

([2]) ينظر:المضمر،١٠، ٥١١.

([3]) ينظر:نفسه، ٤٢٠ ، ٤٩٨ .

([4]) مجمع البحرين، المقامة الخزرجية، ٣٨-٣٩.

يكشف ملفوظ المتكلم السابق في قوله:(إنّ الخيرَ معقودٌ بنواصي الخيل وهي التي ينجو بها الوافد من جوانح النهار، وطوارق الليل) عن معنى متوارٍ خلف ألفاظه، فلم يعد الإخبار هو هدف المتكلم من قوله هذا، وبالرغم من أنّ هذا الملفوظ يثير عدة تأويلات من مثل :الحثّ على اقتناء الخيل ، واستحباب تربيتها، أو تفضيلها على غيرها من الحيوانات ، أو بيان مكانتها ، وغيرها من التأويلات التي يمكن أن يولدها هذا الملفوظ ، إلّا أنّ تسييق الخطاب وإدراك حيثياته ومقام إنجازه وكلّ ما يحيط به من ظروف أثر في استخلاص المقصود من النص[1]، وبالرجوع لسياق النص نجد أنّ المتكلم في سياق إظهارٍ لبراعته اللغوية وإحصائه الدقيق لشوارد اللغة وعويصها واضعًا شرطًا على الحاضرين عند تفوقه عليهم هو إكرامه بناقةٍ حمراء وفرسٍ غرّاء، وبما أنّ القوم لم يحفظوا هذا الشرط، إذ أكرموه بالجائزة الأولى(الناقة الحمراء)وسكتوا عن الجائزة الأخرى (الفرس الغرّاء)، جعله هذا يبادر بتذكيرهم بحفظ الشرط وطلب الجائزة لكن عن طريق التلميح لا التصريح ، وعليه فإنّ ملفوظه الإخباري السابق يحمل مضمرًا مفاده طلب جائزته من القوم .

ورصد البحث أيضًا قولًا مضمرًا في قول ذلك الشيخ هذه الحادثة اللغوية التي دارت بين تلك الإعرابية وقومٍ من الطلبة المجتمعين في أحد مدارس بغداد الذين لم يفهموا لَحن كلامها، وذلك في هذه المقامة:**((قَالوا:سلامٌ يا كَريمةَ الأَعراب !فَمَا بَالكِ تَلحَنينَ في الإعراب؟ قَالتْ :أما سَمِعتم أنّ خَيرَ الكَلامِ ما كان لَحناً ، أوَلَمْ تيْأسوا أنّ الكِتَاب قَدْ أقامَ لَهُ وَزنًا؟.....قَالوا: إنْ أَعرَبتِ عَنْ المُعَجم ، نَفَحْناكِ بالمَشُوف المُعلَم، قَالَ:والشيْخُ بينَ ذَلكَ يُقَلّبُ وَجْههُ في السَّماء، .....فَلَمّا جَلتِ المَكْنون، واجْتَلتِ المَوزون، قَال:يا أُولي الألبَاب، إنّ الله يَرزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيرِ حِساب، وإلّا فَفوقَ كلِّ ذيّ علمٍ عَليم ، وإنّ الفضَلَ بيدِ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ ، واللهُ ذو الفَضْلَ العَظيم))** [2].

بعد أن تبين تلك الإعرابية وجه الكلام الذي أشكل على القوم يرضخ كلُّ واحدٍ منهم لها بدينار، مما يثير ذلك حفيظة شيخ الطلبة ، فيبادر بالقول:(يا أولي الألباب،إنّ الله يَرزُقُ مَنْ يَشاءُ بغير حساب، وإلاّ فَفوقَ كلِّ ذيّ علمٍ عَليم ، وإنّ الفضَلَ بيدِ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ ، واللهُ ذو الفَضْلَ العَظيم)، ففي هذا الملفوظ يضمر الشيخ قولًا مفاده:إنّ تلك النعمة التي صدرت من القوم إلى الإعرابية من غير نظر إلى استحقاقها، ولولا ذلك لكان هو أحقّ منها بالعطاء؛ لأنّه أطول باعًا منها، وهذا التأويل يفرضه السياق الذي أنجز فيه الملفوظ ، فالشيخ أستاذٌ للطلبة وهو أعلم من تلك المرأة بأمور اللغة فكان الأجدر أن يُسأل هو عنها وأن

([1]) ينظر:التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ٢٤٩.

([2]) مجمع البحرين، المقامة البغدادية، ٤٦-٤٨، وقولهم :المَشوف المُعلم يراد به الدينار، ينظر:مجمع البحرين هامش مجمع البحرين، ٤٧.

يكون العطاء من نصيبه، وهذا ما فهمه القوم المخاطَبين معلقين على قوله بالقول:((إنّ هذا لهو الحقُّ المُبين))[١].

ونجد أيضًا تمثلًا لقولٍ مضمر في سياق هذه المقامة التي يقول مؤلفها:**((قَالَ سُهَيلُ بنُ عَبَّاد:دَخَلْتُ بلادَ العَرَبِ، في التِماسِ بَعْضِ الإِرَبِ، فَقَصَدْتُ نَادِي الأَوْسِ والخَزْرَج، لأَتَفَرَّجَ وأَتَخَرَّج، وآخُذَ مِن أَلسِنَتِهِمْ بَعْضَ المَنْهَج، .....وإذا شَيْخُنَا مَيْمون بنُ خِزَام ، قَدْ تَصَدّرَ في ذَلِكَ المَقَام ، وهو يَقُول: مَنْ أَراد أن يَعْرِف جُهَيْنَةَ، أو شَاعِر مُزَيْنَة ، فَلِيَحضَرْ لِيَسْمَعَ ويَرى، فإنّ كُلَّ الصَيّدِ في جَوفِ الفَرا، فَعَمَدَ إليهِ رَجُلٌ وقَال: أَطْرِقْ كَرَى،إنّ النَعَامَة في القُرى، فقال الشيْخُ: كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبة ، فَكُنْ سائلًا أو مَسْؤولًا؛ لِنرى ما في القِداح مِنْ الأنْصِبة ، قَالَ :إنّما يُسألُ العالِم))** [٢].

يحمل ملفوظ الرجل السابق:(إنّما يُسْألُ العالِم) معنىً مضمرًا يمكن أن يُحمل على أكثر من تأويل ، وهذا من خصائص الأقوال المضمرة التي يمكن أن تتضمن قائمة من التأويلات المفتوحة بتعدد سياقاتها المقامية التي تنجز ضمنها[٣]، فقد يكون مراد المتكلم مدح المخَاطب ، فيكون القول المضمر الذي يحمله الملفوظ :يحق أن تُسأل لأنّك عالم ، أو أن يكون مراده الذم والاستهزاء به، فيكون المعنى :بأنّك لست من أهل العلم فلا تكون جديرًا بالسؤال، وترى الباحثة وبعد الرجوع إلى معطيات السياق وخصوصياته أنّ المعنى الثاني هو الأقرب؛ ذلك أنّ المتكلم في سياق هذه الحادثة اللغوية أراد الاستخفاف بما يقوله الشيخ والنظر إليه نظرة المشكك بعد أن حاول الأخير إثبات أنّ عوده ندي وأنّ عنده من العلم ما لا يملك غيره، بدليل قوله في السياق اللغوي السابق :(أطرق كرى إنّ النعامة في القُرى)، وهو مثلٌ يضرب لمن يتكلم وليس عنده علم[٤] .

ونستشف أيضًا قولًا مضمرًا يمثل صرخة استنهاض مضمرة رافضة لِما آل إليه حال المجتمع العربي في العصر العثماني ، وذلك في قول الخفاجي في مقامته التي يقول فيها على لسان النضر بن كنانة بعدما تطرحه النوى عنده:**((هذه نائِبَةٌ نَابَتْ ، ومُصِيبَةٌ عَمَّتْ وما طَابتْ، وسُيوفُ الله ما أزَمتْ أفواهُ أغْمادِها، وخيلُ الله إذا قيل لها ارْكبي يُركبُ سَابقُ جِيادِها، وكَمْ بينَ عُودَيْن كَمِينُ نار، يُورى بالقَدْحِ ويبدو لهُ أُوَار، وَقَدْ يأتي من الأحْرَار ، مَنْ يقول النارَ ولا العارَ))** [٥].

---

(١) مجمع البحرين،٤٨.

(٢) مجمع البحرين، المقامة الخزرجية، ٣٥.

(٣) ينظر:التداولية عند العلماء العرب، ٣٢.

(٤) أيّ :لا تستكبر فإنّ النعامة التي هي أعظم منك قد صيدت وحبست في القرى ، ينظر:مجمع الأمثال ٤٣١/١، وهامش مجمع البحرين٣٥.

(٥) ريحانة الألبا ،٣٧٦/٢.

فهذا الملفوظ (قد يأتي من الأحرار مَن يقول النارَ ولا العارَ)الذي أنطقه الخفاجي لشخصيته المقامية يمثل الرفض المضمر الذي يستنهض به همة الشعب واستنهاضه والتحريض على رفض الذلّ والهوان، فهو يضمر نداء الثورة والرفض لحياة الخنوع،فلا حياة بلا كرامة، ويستنهض همة الشعوب للوقوف بوجه الحكام الظالمين والمحتلين، والإشارة إلى زمن بقي فيه الشعب مهاودًا للاحتلال والنظم الاجتماعية البالية بعد أن تبدل حال البلاد والعباد وما آل إليه في العصر العثماني، هادفًا من وراء ذلك إلى تحقيق موقف يدفع باتجاه واقع أفضل، مما نستشف معه روح النقد والثورة التي اعتملت داخل نفس المؤلف على أوضاع الوهن والضعف ، وهذا هو حال كتّاب المقامة منذ بديع الزمان، إذ جعلوا من فنهم المقامي نافذة يطلون منها على الأوضاع المجتمعية وما يسود فيها في كلّ عصر[١] .

ومن الأقوال المضمرة التي ضمّنها الخفاجي أيضًا في مقاماته قوله في مقامته التي يصور فيها رحلته إلى القسطنطينية طالبًا من يعزُّ العلم والعلماء، لكنّ سعيه يخيب ومطلبه لا يُكتب له النجاح فيقول:**((رَضِيْتُ من الغَنِيمَةِ بالإياب ، وعُدْتُ إلى تَمَائِمَ لي ضَيَّعَها الشَبَاب))** [٢].

فالخفاجي لم يكن قصده وصف حال رحلته للقسطنطينية وإيابه منها فحسب، إنّما ينم قوله هذا عن مضمرٍ يتوصل إلى استكناهه باستحضار المتلقي لمعلوماتٍ ومعارف شتى تساعده على جلاء المقصود، منها معرفة المرسِل[٣]، فالنص ما هو إلّا وسط ينقل فكر المؤلف إلى المتلقي (القارىء) ذلك الفكر المحمول الذي يشير إلى عدة أمور خارج النص عاشها الباث شكلت أساس تجربته الفنية[٤]، وإذا علمنا أنّ الخفاجي من العلماء الذين لم تعجبهم الحال التي وصلت إليها الدولة من غلبة الجهل وانقراض العلماء فارتحل إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة ليذكر للوزير ذلك على سبيل النصح لكنّ الأخير قابل هذا النصح بالشر بنفيه وتجريده من منصبه فعاد معزولًا عنه ، فكان ذلك سببًا في كتابة مقامته هذه [٥]، من هنا ندرك أنّ في ملفوظه محتوى مضمر يكمن وراء هذا المحتوى البين، هو انعدام الرجاء وخيبة الأمل والمسعى في إيجاد ما يرغب ويتمنى ، إذ لم يجد ما كان يتوقعه من وجود الأفاضل ممن يقدر العلماء والأدباء ويعزّ مِن شأوهم ومنزلتهم.

---

(١) ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ٢٤٥.

(٢)ريحانة الألبا ، المقامة الرومية، ٣٥١/٢. .

(٣) ينظر:في تحليل الخطاب ،د.حاتم عبيد، ٤٤، وسلطة النص (قراءات في توظيف النص الديني)،عبد الهادي عبد الرحمن، ٣٩.

(٤) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر،د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، ٦٤ .

(٥) ينظر:خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،محمد أمين بن فضل الله بن محب الحموي (ت١١١١هـ)، ٣٣٤/١.

ونجد تمثلًا لقولٍ مضمر في واحدة من مقامات ابن ميمون الجزائري التي يصور فيها تغريب محمدبكداش عن الجزائر ونزوله عند ملك تونس: **((ثم أنّ المولى –أيده الله- قال :ضاق بالتغرب ذَرْعي، وأُجتُث منه أصلي وفرعي، فقال له الأمير المذكور: لاشكَ أنّي كُنْتُ كلما أَرَدْتُمْ الرَحِيْلَ تَصَامَمْتُ ، ونَكَثْتُ من عُرَى التَلَوِي ماكنتُ أَبْرَمْتُ ...فتَعَيَّن عليَّ تَجْديدُ العَهْد الرَائِق، وكفُّ أيدِي تلك العَوَائِق))**[1].

قول المتكلم السابق: (ضاق بالتغرب ذرعي ، واجتث منه أصلي وفرعي) تعبيرًا عن ضيقه وبثه لشكواه مما قاساه من كربٍ بسبب تغربه عن وطنه وأهله، وهذا المعنى الظاهر من الملفوظ ، لكن المعنى المضمر المقصود الذي يريده الباث هو الطلب الموجه للمتلقي بالسماح له بالعودة إلى دياره بعد أن غُرب ونفي عنها[2]، وإزالة كلّ العوائق التي تحول أمام عودته ، وهذا المعنى يفرزه سياق القول الذي يُعد معيناً للمتلقي على معرفة المقاصد واستيعابها[3]، فالمتكلم (محمد بكداش) غُرب عن وطنه الجزائر مجبرًا بعد أن كاد له أعداؤه وأغروا صدر صاحبه الداي حسن الشريف عليه وعكروا صفو علاقتهما ، لينتهي الأمر بنفيه ، ومن ثمّ نزوله عند ملك تونس الذي كان يضع العراقيل أمام عودته وأصحابه لوطنهم كلمّا عقدوا العزم على ذلك؛ اختباراً لنواياهم، فكان ملفوظه هذا بمثابة الحجة لقولٍ أضمره تاركًا استنباطه والتوصل إليه للمتلقي الذي يبدو أنّه فهمه وتأثر به فبادر إلى مساعدته ومنْ معه والسماح لهم بالعودة لبلادهم بعد أن أعطاهم الزاد والخيل[4]، وبذلك فقد شكّل هذا المضمر وسيلة حجاجية استعملها الباث في الضغط على متلقيه وتغيير قناعاته، وعليه يمكن القول :إنّ المتكلم قد لا يعتمد على الكلام الصريح المعلن في إقناعه للمخاطَب بل قد يتخذ من الإضمار مطيته في العروج لذلك، فتكون خلف البنيات اللفظية قوة اقناعية تجبر المتلقي إلى الذهاب خلف ما يريده الباحث منه.

([1]) التحفة المرضية ،١٣٨.

([2]) ينظر:نفسه،٨٨.

([3]) ينظر:الأفق التداولي ١وما بعدها ، والتداولية في البحث اللغوي والنقدي، ٢٥٢ وما بعدها.

([4]) ينظر: التحفة المرضية، ١٣٨.

الخاتمة وأهم نتائج البحث:

في الختام يمكن إيجاز ما توصلت إليه هذه الإطروحة من نتائج على النحو الآتي:

١- على الرغم من قيام المقامة على أصول فنية وتقاليد أدبية منذ أنأرساها مبتدعها الهمذاني والتي بلغت ذروتها عند الحريري لكنّها تجاوزت تلك الأصول في العصور اللاحقة ولاسيّما في العصر العثماني، اذ لم تعد ذلك الفن الذي يجب ان يلتزم بالكدية والتسول والاحتيال، بل جاءت لتعبر عن احداث العصر والفتن والحروب ولتظهر هموم المجتمع والكتاب فضلًاعن معالجة مواضيع واقعية حية منتزعة من الحياة والعصر الذي عاش فيه الاديب.

٢- مثلت المقامات حيزًا التقت فيه الشعرية القائمة على التخييل واثارة اندهاش القارئ بالصور والأساليب البلاغية مع الخطابية القائمة على الاقناع وحمل الأفكار والمحاجة فيها، فكانت مثالًا بارزًا على تداخل الشعرية بالخطابية وتقاطعهما في منطقة المحتمل، الاحتمال توهيمًا في الشعري، والاحتمال ترجيحًا في الخطابي.

٣- بين التحليل التداولي أهمية النظر الى النص الادبي بوصفه فعلًا تواصليًا، ما يسهم في تحرر القراءة من سلطة النص المطلقة ويخلق حوارًا بين الذات المنشئة والذات القارئة ويخلص النصوص من بوتقة الدراسة المحايثة التي سجنته داخلها المناهج البنيوية ويتيح للقارئ استغلال قدراته الاستدلالية ومعارفه الموسوعية وبذلك يحتل القارئ مكانة ويَمثل في خطاب المؤلف.

٤- إنّ الاشاريات تتميز بالتذبذب وعدم الثبات في مفهومها، فقد يلجأ المتكلم إلى التلاعب بها بإخراجها عن دلالتها الأصلية فيحولها في السياق الاجتماعي من وظيفتها الدلالية في دلالتها على المرجع الى وظيفة تداولية بانعكاسها بوصفها مؤشرًا على قصده وغايته من استعمالها.

٥- إنّ ممارسة التلفظ من المتكلم تجعل من الأنا دائم الحضور وهو لا يعول على ذكرها دائمًا؛لأنّها موجودة حاضرة في كفاءة المرسل إليه.

٦- إنّ كل خبر يخلو من ضمير المتكلم في بنية الخطاب فإنّه يوجد في بنيته العميقة، وهذا يدل على أنّ أثر الاشاريات في السياق التداولي غير مقتصر على العناصر الظاهرة على سطح الخطاب، بل ان هناك عناصر خفية يكون لها الحضور الأقوى وهو ما يعطيها وظيفتها التداولية في الخطاب.

٧- تتحد الذاتية التلفظية بعلاقتها بالضمير الشخصي فكلما كان الضمير الشخصي حاضرًا في بنية الخطاب السطحية أمكننا الحديث عن خطابٍ ذاتي، وكلما غابت الذات كان الحديث عن الخطاب موضوعي.

٨- وجد البحث أنّ استعمال الاشاريات الشخصية في المقامات بقيمتها الحقيقية تكون قاصرة في بعض الأحيان عن إيصال قصده؛ لذا فقد لجأ المتكلم الى انتهاك هذه القيمة من خلال استعمال الضمائر

بقيمة منزاحة بانعكاسها مؤشرًا على وفق قصده ومراعاة لمواءمتها للمقام الذي تنتج فيه وباختلاف المواقف الاجتماعية، معولًا على تعاون المخاطب وقرائن أخرى تجعل فهم القصد التلويحي ممكنًا.

٩- للاشاريات الشخصية – الضمائر خاصة – في خطاب المقامات اسهام كبير في توضيح العلاقة الاجتماعية بين طرفي التخاطب، فقد مثلت خير تمثيل الاستراتيجية التضامنية في كثير من نماذج الخطاب، ولا سيّما في مواطن النصح، فضلًاعن اسهامها في اظهار الأثر العاطفي وشحن الخطاب بشحنة عاطفية يعبر من خلالها المتكلم عن درجات الحميمية لمخاطبه وكسب وده، ناهيك عما فيها من تأشير الانتماء والاتفاق مع معيّن.

١٠-يعد الخطاب المقامي معينًا ثرًا للمقاربة التداولية بفضل ما يتضمنه من قضايا لغوية وسياقية وما ينماز به من لغة ايحائية وأقوال حجاجية وأبعاد سياقية وتبعًا لذلك يمكن ولوج هذ النوع من الخطابات من جانبين: الأول منها التصريحي، والآخر: المضمر عن طريق الاليات التداولية.

١١-في الفن المقامي مساحة واسعة لدراسة هذا الموروث الفكري والقيمي على وفق مباحث الاستلزام الحواري، واهم ما استثمر في ذلك الأدوات البلاغية؛ لإيصال مقاصد المتكلم الى مخاطبيه، والاستتار خلف بعضها بغية النأي بالنفس عن ردة فعل المناوئين.

١٢-كثير من الحوارات التي جاءت ضمن النصوص المقاماتية خرقت واحدًا او اكثر من مبادئ التعاون والحوار الغرايسي، وهذه الخروقات تلونت بلون ظاهري ولم تؤثر في عملية التواصل؛لأنّ المقام كان رافدًا يمد المتحاورين بشفرات فك الخروقات، ومن ثم تلافي تأثيرها في التواصل والتفاهم بين أطراف الحديث.

١٣-بالرغم من ذكر (غرايس) للجانب التهذيبي في عباراته غير أنّ الكثير من الباحثين عاب عليه اقتصاره على ضبط الجانب التبليغي مقصيًا الجانب التهذيبي ولعل مرد ذلك ان غرايس لم يقم له كبير وزن، ولم يتفطن الى انه قد يكون الجانب التهذيبي هو الأصل في كثير من الأحيان في خروج العبارات عن افادة المعاني الحقيقية المباشرة.

١٤-كان للافتراضات السابقة اثر في عملية التواصل، وباعث في الاقتصاد اللغوي في خطابات المقامات، اذ بيَّنت ما تركته دقة الافتراضات من أثر جلي في بناء شكلها اللغوي.

١٥-حملت المقامات اقوالًا ضمنية ضاق المقام بالتصريح بها من المتكلم، فأضمر من المعاني التي انطوت على إشارات للمخاطب ضمن استراتيجية تلميحية تقيه سطوة السلطة وردة الفعل المحتملة من المخاطب، وتجنبه الحرج وتنأى به عن المساءلة، فضلًاعن ان التلميح أبلغ من التصريح وأكثر أثرًا.

١٦-على الرغم من كون الصياغات المضمرة (المضمنة)، أكثر فعالية ومتعة من الصياغات البينة لكنّها تكون أكثر مجازفة؛ وذلك حين يقع المتلقي في خطر اللامقروئية، وعلى هذا الأساس فالمتكلم لا

يجنح اليها الا اذا اطمأن ان المتلقي قادر على الوصول إلى المعنى المضمن وأنّ لديه إمكانية استدلالية تمكنه من الوصول الى مضمون الخطاب.

١٧-تتجسم الأعمال اللغوية بتحققها في أقوال، لكن هذه الأعمال لا تطابق القوة المنجزة دائمًا، فقد يُعبر المتكلم عن قصده بتجاوز الدلالة الشكلية الحاملة له، فتتعدد القوة الانجازية للفعل ويكون للجملة الواحدة أكثر من غرض انجازي، منه ما نصت عليه الصيغة التركيبية بمعنى حرفي ظاهر، ومنه ما يحتاج الى استدلال وتحليل لسياق الكلام وملابساته، فيخصص الغرض الانجازي تبعًا للمقامات التخاطبية المختلفة.

المصادر

المصادر

اولًا: القرآن الكريم

الكتب:

ـ أ ـ

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د.ط) ،٢٠٠٢م.
- أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ط)، (د. ت).
- الابعاد التداولية عند الاصوليين، مدرسة النجف الحديثة انموذجاً، قضاء ذياب غليم الحسناوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي – بيروت، ط١، ٢٠١٦.
- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٣م.
- الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية)، د. جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥.
- الاثار الفكرية، تشمل على ما تسير العثور عليه من نظم ونثر المرحوم عبد الله فكري باشا، جمعها نجله: امين فكري باشا، المطبعة الكبرى الاميرية بولاق، مصر، ط٥، ١٣٦٥هـ، ١٨٩٧م.
- اثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، د. محمد رشدي حسن، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٩م.
- الأدب في العصر المملوكي، محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية (د. ط)، (د. ت).
- الأساليب الانشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- أساليب الحجاج في الخطاب، دراسة تطبيقية، د. الغالي بنهنوم بن المهدي، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ٢٠٢٠م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الاوسي، بيت الحكمة، ط١،(د.ت).
- الأسلوبية والأسلوب،عبد السلام المسدي ،الدار العربية للكتاب ،تونس،ط،١٩٨٢م.
- أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، مركز الطباعة والنشر التابع لمركز الاعلام الإسلامي، ط١، ١٤٣٨هـ.

- استراتيجيات الخطاب عند الامام علي (عليه السلام)، مقاربة تداولية، د. باسم خيري، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط١، ٢٠١٧م.
- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
- الاستعارات التي تحيا بها، جورج لا يكوف، مارك جونسون، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر،(د.ط) ،(د.ت).
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادراوي، منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- الاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية ،محمد قاسم محمد البهادلي،مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية ،ط١٤٤٣،١هـ،٢٠٢١م.
- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- أسرار العربية، أبو البركات الانباري (ت ٥٥٧هـ)، عني بتصحيحه محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي،(د.ط)،(د.ت).
- الأسلوب وفاعلية السياق، دراسة في تجليات الصورة الاستعارية في القرآن الكريم، منير عبده علي انعم، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٤م.
- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية لكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٢م.
- إشكالية القراءة واليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٤م.
- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر مقاربة في الأصول المعرفية، عبد الغني بارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)، ٢٠٠٥.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش طبعة مشتركة: كلية الآداب بمنوبة، والمؤسسة العربية للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م.
- الأصول في النحو، ابن السراج (ت ٣١٦)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت،(د.ط) ،(د.ت).
- اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معرية بأشراف وتنسيق: د. عز الدين مجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، (د.ط)،٢٠١٢م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

- ❖ الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، د. علي محمود حجي الصراف، مكتبة الاداب، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- ❖ الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ادريس مقبول، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- ❖ الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، جامعة منوبة، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- ❖ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم، اشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، منوبة.
- ❖ الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، (ت ٧٣٩)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣،(د.ت).

ـ ب ـ

- ❖ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، بيروت، لبنان، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- ❖ البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، الأستاذ الدكتور: قدور عمران، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
- ❖ بلاغة الاقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات خفاف، منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- ❖ البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، د. محمد العمري، افريقيا الشرق، ط٢، ٢٠١٢م.
- ❖ بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٦٤، ١٩٩٢م.
- ❖ البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة معارف بالإسكندرية، ط٢،(د.ت).

ـ ت ـ

- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية،(د.ت).
- ❖ تاريخ الطبري، محمد بن حرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- ❖ تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦)، د. إبراهيم خليل احمد كتبة زيد (د. ط).
- ❖ تبسيط التداولية من أفعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

- التبصرة والتذكرة، أبو محمد عبد الله بن علي بن الحق الصميري، تحقيق: فتحي احمد مصطفى علي الدين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، قطب الدين الرازي (ت ٤٩٣هـ)، مطبعة البابي الحلبي وأولاده،ط٢ ،١٩٤٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية لنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ابن ميمون الجزائري، تحقيق: د. عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٨١.
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب السنوي في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٣م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١،(د.ت).
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو نظرية المسالك والغايات، د. محمد يونس علي، كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٣م.
- التحليل اللغوي للنص، مدخل الى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥.
- التخاطب،مبادئه وقواعده واستراتيجياته وآدابه،أ.د:هاتف الثويني ،دار الرافدين ،ط١،بيروت،لبنان ،٢٠١٩م.
- التخييل وبناء الانساق الدلالية، نحو مقاربة تداولية، سعيد جبار، رؤية للتوزيع والنشر، القاهرة، (د.ط)،٢٠١٣م.
- تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
- التداوليات علم ستعمال اللغة، تنسبق وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد – الأردن، ٢٠١٤، ط٢.
- التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة، اشراف وتقديم: د. حافظ اسماعيلي علوي، ود. منتصر امين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، الالوكة،ط١.

- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العقابي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢-١٢م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،د.مسعود صحراوي، دار الطليعة – بيروت،(د.ت).
- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، أ. د: بشرى البستاني مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط١، ٢٠١٢م.
- التداولية في التفكير البلاغي، دراسة في غرر البلاغة لهلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨هـ)، د. قالط بن حجي العنزي عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
- التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، اعداد وتحرير: محمد امطوش دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع العراق، ط١، ٢٠١٤.
- التداولية من اوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- التداولية واستراتيجية التواصل، ذهبية حمو الحاج، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٥م.
- التداولية وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات)، د. باسم خيري خضير، الشركة العربية المتحدة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣.
- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، د. محمود احمد نحلة، دار التوني للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م.
- التلوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم، د. فلاح حسن كاطع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- تهذيب اللغة، محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- التهذيب في فقه الامام الشافعي، الامام أبو محمد الحسين بن محمد بن الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المنادي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

- ث -

- ثلاثة كتب في الاضداد، الاصمعي، السبحتاني، ابن السكيت نشرها: اوغشت هفنر، المطبعة الكاثوليكية للإباء السيوعيين بيروت، ١٩١٧.
- ثمارالقلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، (ت ٤٢٩هـ)، دار المعارف القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي، بحث في المشاكلة والاختلاف، احمد محمد ويس، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

- ج -

- جامع أحاديث الشيعة الذي أُلف تحت أشراف فقيد الإسلام المحقق العلامة الإمام آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي،الحاج إسماعيل المعزّى الملايري،انتشارات واصف لاهيجي ،قم ،١٣٣٣هـ.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط٢٨، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- الجزائر خلال الحكم التركي، صالح عباد، دار الالمعية، ط١، ٢٠١٢م.

- ❖ جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/أحمد الهاشمي ،منشورات اسماعيليان،ط١٤٢٨،٥هـ.

- ح -

- ❖ حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ❖ الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م.
- ❖ الحجاج في الخطاب السياسي (الرسائل السياسية الاندلسية خلال القرن الهجري الخامس انموذجاً)، عبد العالي قادا، كنوز المعرفة للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.
- ❖ الحجاج في الشعر العربي بنية واساليبه، أ. د: سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م.
- ❖ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١.
- ❖ الحجاج مفهومه ومجالاته، اعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ٢٠١٠م.
- ❖ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (١٣٣٥هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ❖ الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط) ،٢٠١٠م.
- ❖ الحوار ومنهجية التفكير النقدي، احسان الباهي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.

- خ –

- ❖ الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، احمد المتوكل، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

❖ الخطاب القرآني ،دراسة في البعد التداولي/د.مؤيد ال صونيت ،مكتبة الحضارات ،بيروت،لبنان ،ط١،١٤١٣هـ،٢٠١٠م.
❖ خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
❖ خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، محمد امين بن فضل الله بن محب الحموي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.

- د -

❖ دائرة الاعمال اللغوية، د. شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، مراجعات ومقترحات، ط١، ٢٠١٠م.
❖ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
❖ دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبي فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
❖ دليل الناقد الادبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء،(د.ط)، ٢٠٠٠م.
❖ دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة وقدم له وعلق عليه: د. كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٢.

- ذ -

❖ الذاتية في اللغة، اميل بنفيست، ترجمة: حميد سمير، وعمر طي، مجلة نوافذ (٩)، جمادي الأولى، ١٤٢٠هـ، سبتمبر ١٩٩٩م.

- ر-

❖ رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبي القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٣م.
❖ رواد النهضة الحديثة، ماروف عبود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،(د.ط) ،(د.ت).
❖ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،(د.ط)،(د.ت).

- س-

❖ الساق على الساق في ما هو الفارياق، احمد فارس الشدياق، باريس ١٢٧٠هـ، ١٨٥٥م.

- سلطة النص، (قراءات في توظيف النص الديني)، عبد الهادي عبد الرحمن سينا للنشر، الانتشار العربي، ط١، ١٩٩٨م.
- السؤال البلاغي، الانشاء والتأويل، بسمة بلحاج، حومة الشكلي، دار محمد علي للنشر بالاشتراك مع المعهد العالي للغات، تونس، ط١٢، ٢٠٠٧.
- سوسيولوجيا اللغة، بيار أشار، ترجمة: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- السياق وبناء المعنى، مقاربة تداولية للمقامة الاهوازية رحيمة شيتر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٩.
- سيموطبقيا التلفظ بين النظرية والتطبيق، د. جميل حمداوي مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥م.

- ش-

- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك(ت٦٧٢هـ)، بهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ٢٠٠٩م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، ضبطه وجمعه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت)، د. ط).
- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له ووضع وامشه وفهارسه:دإميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط١،١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.
- الشعريات والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم يوسف وغليسي، منشورات مخبر السرد العربي، دار اقطاب الفكر (د. ط)، ٢٠٠٦م.
- الشعرية، تزفيطان طودوروف، ترجمة: شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.

- ط-

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

-ع-

- العالم والنص والناقد، ادورد سعيد، ترجمة: عبد الكريم محفوظ منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)،٢٠٠٠م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١١م.
- علم أساليب البيان، د. غازي يموث، دار الاصالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- علم اللغة البراجماني، الأسس، التطبيقات، المشكلات، بيتر ارنست، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق،(د.ط)، ٢٠١٤.
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،(د.ط)،(د.ت).
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، ط١، ٢٠١١م.

- ف-

- الفروق اللغوية ،أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)،تحقيق:محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر،(د.ط)،٠د.ت).
- فعل القول من الذاتية في اللغة، ك – اوريكوني،، ترجمة: محمد نظيف، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.
- الفعل زمانه وابنيته، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور،رجاءعيد،منشأة معارف بالأسكندرية ،ط٢،(د.ت).
- الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، د. الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
- فن المقامات بين المشرق والمغرب، د. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٩.

- ❖ فن المقامات في الادب العربي، عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط٢.
- ❖ فنون النص وعلومه، فرانسو راسيتي، ترجمة: ادريس الخطاب دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٠م.
- ❖ فوات الوفيات،محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)،تحقيق:إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت،ط١،١٩٧٤م.
- ❖ في بلاغة الحجاج،نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات ،د.محمد مشبال،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان،الأردن ،ط١،١٤٣٨هـ،٢٠١٦م.
- ❖ في البلاغة العربية، علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- ❖ في البلاغة العربية، علم المعاني، محمود احمد نحلة، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠م.
- ❖ في التداولية الخطاب الادبي، المبادئ والاجراء، نواري سعودي بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م.
- ❖ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م.
- ❖ في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ في النقد والادب، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- ❖ في تحليل الخطاب، د. حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م.
- ❖ في مناهج الدراسات الأدبية، حسين الواد، منشورات الجامعة، المغرب، ط٢، ١٩٨٥.
- ❖ في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.
- ❖ في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- ق-

- ❖ القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة: عز الدين مجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة: تونس، ٢٠١٠م.

❖ قضايا اللغة العربية واللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة الى النص، احمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م.

- ك-

❖ كتاب الازهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي (٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
❖ كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، فارس بن يوسف الشدياق، مدينة باريس، ١٢٧٠هـ، ١٨٥٥م.
❖ كتاب سيبويه، ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة،(د.ط)،(د.ت).
❖ كتاب علم الادب (علم الانشاء والعروض)، الاب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الإباء اليسوعيين في بيروت، ط٢، ١٨٩٧م.
❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
❖ الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
❖ كنز الرغائب، منصور فهمي، مطبعة الجوائب بالاستانة العلمية،، ط١.

- ل-

❖ لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الافريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
❖ اللسان والميزان والتكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
❖ اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، د. مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ودار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
❖ لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط٢، ٢٠١٢م.
❖ لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والاجراء، د. نعمان بو قرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

- اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطوير، د. احمد المتوكل، دار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، د. احمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.
- اللغة والخطاب، عمر امكان، افريقيا الشرق، ٢٠٠١م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لانيز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٧م.

- م-

- مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، د. محمود طلحة عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق احمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ط)،(د.ت).
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- مجمع الامثال، أبو الفضل احمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان،(د.ط)،(د.ت).
- مجمع البحرين، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت (د. ط)، (د. ت).
- مجمل اللغة، احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣م.
- المحاور، مقاربة تداولية، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
- محيط المحيط،المعلم بطرس البستاني (ت١٣٠٠هـ)،اعتنى به وأضاف زياداته :محمد عثمان ،دارالكتب العلمية ،(د.ت)،(د.ط).
- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ.
- مدخل الى اللسانيات التداولية، الجيلاني دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)،١٩٨٦.

- مدخل الى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل فرانشيسكوا يوس راموس، ترجمة: يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط١، ٢٠١٤م.
- مدخل الى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، ترجمة: الهام أبو غزالة، علي الحمد، مكتبة التربية، نابلس، مطبعة دار الكاتب، سيمراميس، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عادل زيدان، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.
- المرتجل في شرح الجمل، أبو محمد عبد الله احمد بن الخشاب، تحقيق ودراسة، علي حيدر،(د.ط)، دمشق، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي، د. احمد المتوكل دار الكتاب الجديدة، ط١، ٢٠٠٩م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- المشيرات المقامية في القرآن، د. منى الجابري، دار الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي،(د.ط)، ٢٠٠٩.
- المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، وجدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٩م.
- المضمر، اوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة: بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- المطول في شرح تخليص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت).
- المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل الى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٤م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.
- معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق:د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د.ط)،(د.ت).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- معجم المصطلحات التعبيرية، محمد وحروج، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط١.
- المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، علي توفيق الحمد، يوسف الزعبي، دار الامل، اربد، الأردن، ١٩٩٣م.
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني، للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
- المعنى في لغة الحوار، مدخل الى البراجمانية (التداولية)، جيني توماس ترجمة: د. نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- المفاخرات والمناظرات، عني بها، د: محمد حسان الطيان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- مفتاح العلوم السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ضبط: هيثم طعمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨، ٢٠٠٨م.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع، أ. د: عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، ٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ترجمة: سعيد علوش مركز الانماء القومي.
- مقامات الحنفي وابن ناقبا وغيرهما، استنبول، مطبعة احمد كامل، ١٣٣٠ه،.
- مقامات الورغي ورسائله، محمد احمد الورغي (ت١١٩هـ)، تحقيق عبد العزيز الفيزاني، الدار التونسية للنشر،(د.ت).
- المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- المقامات، السرد، والانساق الثقافية، عبد الفتاح كليوط، ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.
- المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٦.
- المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية، عبد الله فكري باشا، مطبعة المدارس الملكية، ط٢، ١٢٩٠ه،.

- المقتضب، أبو العباس بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،أبي الحسن حازم القرطاجني ،تحقيق:محمد الحبيب بن خوجة ،الدار العربية للكتاب بتونس،ط٣،٢٠٠٨م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين سلسلة كتب شهرية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، مفيد الزيدي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، (د. ط)، ٢٠٠٩.

- ن-

- نتائج الفكر في النحو، أبو قاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلي (ت ٨١٥هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- النحو المصفى،محمد عيد،دار نشر الثقافة ،(د.ط)،١٩٧٥م.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة،عباس حسن ،مكتبة المحمدي،بيروت،لبنان،ط١ ،١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م.
- النداء في القرآن واللغة، د. احمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصًا، الازهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب (د. ط)، (د. ت).
- النظريات الشعرية (بناء لغة الشعر، اللغة العليا)، جون كوين، ترجمة: وتقديم وتعليق: د. احمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م.
- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية، ماري آن بافو، جورج الياسرفاني، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠١٢م.

- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلام، اوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق ١٩٩١م.
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د. محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
- نظرية التلويح الحواري، د. هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠١٣م.
- نظرية الصلة او المناسبة في التواصل والادراك، دان سبيربر ديدري ولسون، ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٦م.
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان – ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.
- نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، ٦٥٦هـ، نبيل خالد رباح، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د. ط).

- هـ -

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر،(د.ت).

- و-

- وفيات الأعيان،ابن خلكان البرمكي(ت٦٨١هـ)،تحقيق:احسان عباس،دار صادر،بيروت ،ط١ ،١٩٩٤م.
- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٨٢هـ.

- ي-

- يتيمة الدهر، عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

الرسائل والاطاريح الجامعية

- آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم، دراسة موضوعية، "رسالة ماجستير"، نعيمة عبد الله البرش، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٨م.
- الأبعاد التداولية في تفسير التبيان للطوسي (ت٤٦٠هـ) "أطروحة دكتوراه"، احمد شنيشل مساعد، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧م.
- الابعاد التداولية في نهج البلاغة "أطروحة دكتوراه"، سيرى خلف سمير ديوان السعيدي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦م.
- الاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية "رسالة ماجستير"، محمد قاسم محمد، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٨م.
- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة، دراسة تداولية "أطروحة دكتوراه"، محمد مدور، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب، الجزائر، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
- تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث، د. حمون هنة "أطروحة دكتوراه"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب، الجزائر، ٢٠١٤م.
- تداولية النص الشعري، جمهرة اشعار العرب نموذجاً "أطروحة دكتوراه"، شيتر رحيمة، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.
- التفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني (ت ١١٠٧ه)، دراسة في البعد التداولي "أطروحة دكتوراه"، واثق غالب هاشم، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٩م.
- جماليات التشكيل البلاغي في المقامات العثمانية "أطروحة دكتوراه"، مجدي عايش عودة او لحية، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقنع، مقاربة تداولية "رسالة ماجستير"، سارة قطاف، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الخطاب تمثيل للعالم، دراسة في بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية الخطاب المسرحي إنموذجاً، عمر بلخير "رسالة ماجستير"، جامعة الجزائر معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٦-١٩٩٧م.
- سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية، "أطروحة دكتوراه"، سامية بن يامنة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، ١٤٣٢ – ١٤٣٣هـ، ٢٠١١ – ٢٠١٢م.

- قراءة الشعر الجاهلي في ضوء نظريات الحجاج "أطروحة دكتوراه"، نابلس صلال هيول التميمي، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠١٤م.
- القصدية والتأويل في العربية "اطروحه دكتوراه"، مرتضى هاتف بريهي، كلية الآداب، جامعة القادسية، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.
- كتاب البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي، دراسة في ضوء تداوليات الخطاب "أطروحة دكتوراه"، عذراء سعيد عبد، كلية الآداب، جامعة القادسية، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.
- كتب المجالس الأدبية، دراسة تداولية "أطروحة دكتوراه"، ماجد ناصر حسين كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠٢٠م.
- المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيبويه "رسالة ماجستير"، عمار احسان عبد الله، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٣م.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني، دراسة تداولية "أطروحة دكتوراه"، كرفاوي بن دومة، كلية اللغة والادب العربي والفنون، الجزائر، ٢٠١٧م.
- المكون التداولي في نظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجاً "أطروحة دكتوراه"، ليلى كادة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٢م.

البحـــــوث

- آليات التداولية في تحليل الخطاب، عبد القادر عواد، مجلة البيان، الكويت، العدد (٤٩٢)، يونيو، ٢٠١١م.
- الأداة حتى في الصحيحين، دراسة نحوية تطبيقية، حسين الحكمي، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد ٤٣، المجلد ١٩، ذي الحجة ١٤٢٨هـ.
- الاستدلال الحجاجي التداولي واليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، العدد (٢)، المجلد (٤٠)، ٢٠١١م،ديسمبر.
- الاستراتيجية التوجيهية في سورة مريم دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، د. لمى عبد القادر خنياب، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد (٢٤)، ٢٠١٧م.
- الاشاريات التداولية في شعر احمد مطر، عبد الغفار فتاح حسن، أ: دلخوش جار الله دزهبي، twejer, soran. Edu. Iq.
- اشارية البنى المطلقة، د. لطيف حاتم الزاملي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد (١٩)، المجلد (٨)، ٢٠٠٩م.

- الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية في القصص القرآني، د. دلخوش جار الله حسين دزهبي، م. م. سوزان رضا عزيز، مجلة الآداب العدد (١١٦)، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- الاقناع والمغالطة، يوسف عبقري، مجلة دراسة أدبية، العدد (٥)، السنة (٣)، ١٩٨٦.
- البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد الى امثلة عربية، عثمان بن طالب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٨٥م.
- البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، د. حمو الحاج ذهبية، مجلة الأثر، العدد (٧)، ٢٠١٣.
- بنية الخطاب السردي، حسناء بنسليمان، مجلة علامات، جدة السعودية، المجلد (٥٤)، العدد (١٤)، ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م.
- التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين، مقاربة تداولية د. لخدوش جار الله حسين، مجلة جامعة زاخو، المجلد (٣)، العدد (٢)، ٢٠١٥م.
- التجريب وانفتاح النص في مقامات بديع الزمان الهمذاني "بحث"، د. لمياء عبد الحميد القاضي، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد (١)، العدد (٥٧)، أكتوبر – ديسمبر، ٢٠٢٠م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، مجلة الثقافة، العدد (١٩)، ابريل، ٢٠٠٩م.
- تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن بني ((مجالس دمشق نموذجًا))، ليندة قياس، مجلة أبو ليوس، جوان ٢٠١٨م، المجلد (٥)، العدد (٩).
- تعدد القصود في المحادثة القرآنية، قراءة تداولية في قصة إبراهيم (عليه السلام)، أ. د: لمى عبد القادر خنياب، مجلة المصباح، العدد (٤١)، ربيع ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.
- الحجاج تقنية دعائية في مناجيات الامام السجاد (عليه السلام) الاستفهام الحجاجي انموذجًا، أ. م. د: لمى عبد القادر خنياب، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد العشرون، العدد (١)،٢٠١٧م.

- خصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي، الحديث النبوي انموذجًا، أ: حورية رزقي، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الرابع عشر والخامس عشر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان ٢٠١٤م.
- الخطاب التداولي في المقام والتحليل، المقامات الحريرية نموذجًا، سمية حسين حسن عليان، مجلة التراث، العدد (٢٣)، ٢٠٢٠م.

- خطاب الملطفات الدعائية، دراسة تداولية، د. رجاء احمد ال بهيش، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد (٤٢)، حزيران ٢٠١٣م.
- خطابية الشعر عند الخوارج في العصر الاموي، قطري بن الفجاءة انموذجاً د. غيثاء قادرة، باسل نزيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الاداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٧)، العدد (٦)، ٢٠١٥م.
- الخطابية في شعر الفرزدق، ميمية مدح الامام زين العابدين (عليه السلام)، انموذجاً، فاتن فاضل كاظم، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد (٢٦)، العدد (٨)، ٢٠١٨م.
- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، أبو فرومة حكيمة، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، تيرني وزو، العدد الثالث، مايس، ٢٠٠٣م.
- دلالة الفعل الكلامي في الخطاب القانوني بين البنية المقولية والكفاية الانجازية، أ. م. د: محمد عبد مشكور، م. د: مرتضى جبار كاظم، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد (٢٠)، العدد الثاني والثمانون،٢٠١٤.
- الراوي متكلمًا في الخطاب المقامي البديعي "بحث"، رخروخ عبد المجيد، مجلة جسور المعرفة، لمجلد (٧)، العدد (١)، مارس ٢٠١٢.
- في تداوليات القصد، ادريس مقبول، مجلة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد (٢٨)، العدد (٥٩)، ٢٠١٤م.
- القصدية في النص الادبي، دراسة لسانية، ميلود مصطفى عاشور، د. اياد عبد الله، د. زين الرجال عبد الرزاق، مجلة الرواق، جامعة لندن المفتوحة، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠١٥م.
- قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للقراء (ت ٢٠٧هـ)، دراسة تداولية، أ. م. د. رحيم كريم الشريفي، زينب عادل محمود الشمري، مجلة كلية الآداب للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد (٣٢)، نيسان، ٢٠١٧م.
- قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبية، tevue. Ummto. Dz.
- القيمة الحجاجية لأسلوب القصر، محمود طلحة، مجلة الخطاب،جامعة مولود معمري (تيزي وزو)،دار الأمل ، الجزائر، العدد (٣)، ٢٠٠٨م.
- مبدأ التأدب في خطاب الرئيس المصري محمد انور السادات في الكنسيت الإسرائيلي، عماد شعير، مجلة الخطاب، العدد (١)، المجلد (١٥)، جانفي ٢٠٢٠م.
- مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية ،الخطاب المسرحي نموذجًا،عمر بلخير ،إنسانيات ،العدد(١٤-١٥)،ماي-ديسمبر،٢٠٠٠م.

- المضمر في القصص القرآني، مثال من رحلة موسى (عليه السلام)، مع العبد الصالح صاحب أبو جناح، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، المجلد (١٠)، العدد (٣٥)، ٢٠١٥.
- المفارقات واس الحوار، احسان الباهي، مجلة التواصل اللساني مخبر المركز الوطني للبحث العلمي، العدد (٩)، ١٩٩٤.
- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، عالم الفكر، الكويت، المجلد (٢٨)، العدد (٣)، يناير مارس، ٢٠٠٠م.
- المقاربة النقدية التداولية للنص الادبي التراثي "المقامة القريضية لبديع الزمان الهمذاني نموذجاً" دلال وشن، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٧)، العدد (٦)، ٢٠١٩م.
- المقاربة النقدية التداولية للنص الادبي التراثي، المقامة القريضية لبديع الزمان الهمذاني نموذجاً، دلال وشن، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد (٢٧)، العدد (٦)، ٢٠١٩م.
- النداء بين التداولية واراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء، د. اسيل سامي امين، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، ٢٠١٢م.
- نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخيلي بين سيرل وجينات منصور مصطفى، مجلة الأثر، العدد الخاص: اشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

Abstract

The deliberative approach represents a new trend that has been imposed for the time being in the modern language lesson to reveal new and modern perspectives in language use and study. The choice to examine this approach was in one of our Arabic literature codes, namely, the art of mattresses, which is limited to the Ottoman era. I have concluded the study to discuss the principle of dialogue and the ways in which the principle of cooperation is spoken, as well as the principles of criticism and understanding. Chapter III presents the achievements of verbal acts in two ways to monitor these achievements: Direct words classified by Circus

And the second: The fourth chapter, the final chapter, was devoted to the study of pilgrims in the Code. Each of the four chapters of the dissertation was preceded by an introduction to the subject to be studied, followed by a conclusion, which included the most important findings of the research and obtained by a list of the main sources and references from which the research benefited and which varied between ancient, modern and translated books, letters and translations

In conclusion, I put this modest effort in your hands. If it is right, it is God's good luck. If I make a mistake, it is my self and my belief that I have striven with all my energy, and God is good, and thank God, Lord of both worlds.

The Republic of Iraq
Ministry of Education and Scientific Research
University of Qadisiyah - College of Arts

Maqamat in the Ottoman era (printed) a pragmatic study

A doctoral thesis submitted to the college of Arts – University of Al-Qadisiyah, which is part of the requirements of obtaining a doctorate degree in Arabic language literature

By

Jinan Jasim Khudair

Supervisor

Prof. Dr. Luma Abdelkader Khneyab

2022 A.D 1443 A.H